

تَبَسُّمٌ

Tabassam

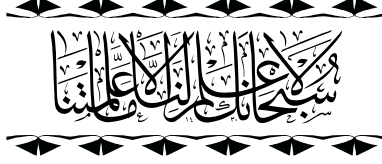


لِلدَّاعِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

السَّيِّدِ أَحْمَدَ الطَّلْحِيَّ

الطبعة الأولى

تَبَسُّمٌ
Tabassam



مُحْفَوظَةٌ
جَمِيعُ حَقُوقِهَا

الْكِتَابُ: تَبَسُّمٌ
تَأْلِيفُ: السَّيِّدُ أَحْمَدُ الطَّلْحِيُّ
النَّاشِرُ: مُؤَسَّسَةُ السَّيِّدِ أَحْمَدِ الطَّلْحِيِّ لِلأَعْمَالِ الدَّعَوِيَّةِ
سَنَةُ الطَّبَاعَةِ: 2020 م
بَلَدُ الطَّبَاعَةِ: الْقَاهِرَةُ، مِصْرُ
الْمَقَاسُ: 24 × 17
رَقْمُ الإِنْدَاعِ: 9707 / 2017
الترقيم الدولي: 9-78-977-2556-81-6



السَّيِّدُ أَحْمَدُ الطَّلْحِيُّ



للأعمال الدعوية

Ahmed El Talhy

www.eltalhyofficial.com

تَبَسُّمٌ
Tabassam

تَأَلِيفٌ
الدَّاعِيَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ
السُّيُدَةُ حَمْدَةُ الطَّلْحِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النِّيَّةُ

اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ كُلَّ نَفْسٍ وَلَمَحَةٍ
وَطَرْفَةٍ يَطْرَفُ بِهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكُلَّ شَيْءٍ
هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ أَوْ قَدْ كَانَ أَوْ قَدْ كَانَ لَكَ بَيْنَ يَدَيَّ ذَلِكَ
كُلَّهُ .

نَوَيْتُ بِالتَّعَلُّمِ وَجَهَ اللَّهُ تَعَالَى، وَنَشَرَ الْعِلْمِ وَتَعَلِيمِهِ،
وَبَثَّ الْفَوَائِدَ الشَّرْعِيَّةَ، وَتَبَلَّغَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِزْدِيَادَ
مِنَ الْعِلْمِ، وَإِحْيَاءَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ، وَدَوَامَ ظُهُورِ الْحَقِّ،
وَخُمُوعِ الْبَاطِلِ، وَإِظْهَارِ الصَّوَابِ، وَالرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ،
وَالاجْتِمَاعَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالِدُعَاءَ لِلْمُسْلِمِينَ،
وَلِلسَّلَفِ الصَّالِحِينَ، وَدَوَامَ خَيْرِ الْأُمَّةِ، بِكَثْرَةِ عُلَمَائِهَا،
وَإِعْتِنَامِ ثَوَابِهِمْ، وَتَحْصِيلِ ثَوَابِ مَنْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ هَذَا
الْعِلْمِ، وَبَرَكَاتِ دُعَائِهِمْ لِي وَتَرْحُمِهِمْ عَلَيَّ، وَدُخُولِي
فِي سِلْسِلَةِ الْعِلْمِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ
وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَهُمْ، وَعِدَادِي فِي جُمْلَةِ مُبَلِّغِي

الْوَحْيِ وَأَحْكَامِهِ، وَإِزَالَةِ الْجَهْلِ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ غَيْرِي
لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنِّي نَوَيْتُ التَّعْلَمَ وَالتَّعْلِيمَ، وَالتَّذَكُّرَ وَالتَّذْكَيرَ،
وَالتَّنْفَعَ وَالتَّنْفِيعَ، وَالتَّوْبَةَ وَالتَّوْبَةَ، وَالتَّوْبَةَ وَالتَّوْبَةَ، وَالتَّوْبَةَ
وَالتَّوْبَةَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ وَالدُّعَاءَ إِلَى الْهُدَى وَالدَّلَالَاتِ عَلَى الْخَيْرِ، ابْتِغَاءً
وَجْهَ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ وَقُرْبِهِ وَثَوَابِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَشُكْرَ اللَّهِ
عَلَى نِعْمِهِ⁽¹⁾.



(1) أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ:

فَضْلاً وَلَيْسَ أَمْرًا، أَنْ تَقْرَأَ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ كُلَّمَا قَرَأْتَ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِي، أَوْ
رِسَالَةٍ مِنْ رِسَائِلِي، وَاهْدِ ثَوَابَهَا لِرُوحِ الْعَلَّامَةِ الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ
وَالدَّلَّالِ عَلَيْهِ، حَامِلِ لِيوَاءِ الْحُجَّةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِمَامِ زَمَانِهِ وَفَرْدِ عَصْرِهِ
وَأُوَانِهِ، الْمُسْنِدِ وَالْمُحَدِّثِ وَالْمُفَسِّرِ وَالْمُجَدِّدِ صَاحِبِ الْأَسَانِيدِ الْعَوَالِي
جَامِعِ الْأَوَائِلِ بِالْأَوَاخِرِ، صَاحِبِ الْفَيْضِ الْقُدُوسِيِّ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ الْإِمَامِ
الْمُجَدِّدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ السُّنُوسِيِّ الْحَسَنِيِّ الْإِدْرِيْسِيِّ الْخَطَّابِيِّ
عَلَيْهِ سَحَابُ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، جَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنْ سَبَابِ
الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا وَجَمَعْنَا بِهِ فِي دَارِ الْمَقَامِ مَعَ جَدِّهِ الْمُصْطَفَى عَلِيِّ الْمَقَامِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْدَمَةُ الْمُؤَلِّفِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ
فَخِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَرْحَمِ الْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.
وَبَعْدُ:

أَحْمَدُ اللَّهُ حَمْدًا كَثِيرًا، وَنَشْكُرُ رَبَّنَا شُكْرًا جَزِيلًا،
وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَيَّ مَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ تَنْزِيلًا.
أَنْ جَعَلْنَا مِنْ أُمَّةٍ هَذَا الْحَبِيبِ الْمَحْبُوبِ، إِنْ قَصِدِي
وَمُرَادِي أَنْ أَرَى ابْتِسَامَةَ رَسُولِ اللَّهِ بِسَبَبِ هَذَا الْكِتَابِ،
وَمُرَادِي أَرَى وَجْهَ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ
لِي وَلِكُلِّ قَارِيٍّ وَعَامِلٍ بِهَذَا الْعِلْمِ: لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ
وَأَبْشِرْ وَتَبَسَّمْ فَأَنْتَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ.

لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ جَمْعِنَا لِشَمَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

مُجَرَّدَ مَعْرِفَةِ عِلْمٍ تَارِيخِيٍّ تَمِيلُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ، وَتَجَنِّحُ
إِلَيْهِ الْقُلُوبُ، وَيُتَحَدَّثُ بِهِ فِي الْمَجَالِسِ، وَيُسْتَشْهَدُ بِهِ
عَلَى الْمَقَاصِدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ
مِنْ جَمْعِنَا لِشَمَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَوَائِدُ أُخْرَى مُهِمَّةٌ فِي
الدِّينِ.

مِنْهَا: التَّلَذُّذُ بِصِفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ وَشَمَائِلِهِ الرَّضِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْهَا: التَّقَرُّبُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَاسْتِجْلَابُ مَحَبَّتِهِ
وَرِضَاهُ بِذِكْرِ أَوْصَافِهِ الْكَامِلَةِ، وَأَخْلَاقِهِ الْفَاضِلَةِ، كَمَا يَتَقَرَّبُ
الشَّاعِرُ إِلَى الْكَرِيمِ بِذِكْرِ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ، وَخِصَالِهِ النَّبِيلَةِ.
وَلَا شَكَّ أَنَّ جَمْعَ شَمَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنَشْرَهَا هُوَ
أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ مَدْحِهِ بِالْقَصَائِدِ.

وَقَدْ رَضِيَ عَمَّنْ مَدَحَهُ بِهَا ك: حَسَّانَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ،
وَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ، وَكَافَتْهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَرْضَى عَمَّنْ
يَعْتَنِي بِجَمْعِ شَمَائِلِهِ وَنَشْرَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْهَا: تَعَرُّضُنَا لِمُكَافَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْنَا،

وَإِنْقَاذِهِ إِيَّانَا مِنْ ظُلُمَاتِ الضَّلَالِ إِلَى أَنْوَارِ الْهُدَى، وَمِنْ الشَّقَاوَةِ
الْأَبَدِيَّةِ إِلَى السَّعَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ كُبْرَى لَا يُمَكِّنُ
مُقَابَلَتَهَا بِشَيْءٍ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَتِهِ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**
فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى بِهِ مُرْسَلًا عَمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ
أَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ،
دَائِنِينَ بِدِينِهِ الَّذِي ارْتَضَى وَاصْطَفَى بِهِ مَلَائِكَتَهُ، وَمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ
مِنْ خَلْقِهِ، فَلَمْ تُمَسِّسْ بِنَا نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَلَا بَاطِنَةً نَلْنَا بِهَا حَظًّا فِي
دِينٍ وَدُنْيَا، أَوْ رُفِعَ بِهَا عَنَّا مَكْرُوهٌ فِيهِمَا، أَوْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمَا، إِلَّا
وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** سَبَّبَهَا وَالْقَائِدُ إِلَى خَيْرِهَا، وَالْهَادِي
إِلَى رُشْدِهَا⁽¹⁾.

وَمِنْهَا: أَنَّ مَعْرِفَةَ سَمَائِلِهِ الشَّرِيفَةِ تَسْتَدْعِي مَحَبَّتَهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**،
لَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَى حُبِّ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ وَمَنْ اتَّصَفَ بِهَا،
وَلَا أَجْمَلَ وَلَا أَكْمَلَ مِنْ صِفَاتِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ
أَنَّ مَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَكُنْ مَطْبُوعًا عَلَى قَلْبِهِ بِطَابِعِ الضَّلَالِ يُحِبُّ

(1) وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ قَوْلِهِ: (فَجَزَاهُ اللَّهُ... إِلَى آخِرِهَا) عِبَارَةٌ إِمَامِنَا الشَّافِعِيِّ
نَقَلْتُهَا مِنْ «رِسَالَتِهِ» الَّتِي رَوَاهَا عَنْهُ صَاحِبُهُ الرَّيْبُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

تَبَسُّمٌ Tabassam

صَاحِبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بَيِّقِينَ، وَبِمَقْدَارِ زِيَادَةِ مَحَبَّتِهِ وَنَقْصِهَا تَكُونُ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَنَقْصِهِ، بَلْ رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَالسَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ وَنَعِيمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَدَرَجَاتُهُمْ فِيهَا، جَمِيعٌ ذَلِكَ يَكُونُ بِمَقْدَارِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةً وَنَقْصًا، كَمَا أَنَّ سَخَطَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَالشَّقَاوَةَ الْأَبَدِيَّةَ وَعَذَابَ أَهْلِ النَّارِ وَدَرَكَاتِهِمْ فِيهَا يَكُونُ بِمَقْدَارِ بُغْضِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةً وَنَقْصًا.

وَمِنْهَا: اتِّبَاعُهُ وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِيهَا يُمَكِّنُ بِهِ الْإِقْتِدَاءَ، كَسَخَائِهِ وَحِلْمِهِ، وَتَوَاضُعِهِ، وَزُهْدِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَغَيْرِهَا مِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ، وَشَرَائِفِ أَحْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَذَلِكَ مُسْتَوْجِبٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الَّتِي فِيهَا سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الْمَتَّبِعِينَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي شَرَعِهِ الْقَوِيمِ، وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَحَشَرْنَا تَحْتَ لِيَوَائِهِ، فِي زُمْرَةِ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

أَحْمَدُ الطَّلْحِيُّ

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

حَارَفِكْرِي لَسْتُ أَدْرِي مَا أَقُولُ أَيُّ طُهْرٍ ضَمَّهُ قَلْبُ الرَّسُولِ

كَيْفَ نَشْكُرُ وَمَنْ سَنَشْكُرُ إِنْ لَمْ نَشْكُرِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَلَى نِعْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي مَنْ عَلَيْنَا بِهَا أَلَا وَهِيَ نِعْمَةُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، نِعْمَةُ اللَّهِ إِلَيْنَا، وَمِنْتَهُ عَلَيْنَا، هُوَ
الَّذِي عَلَّمَنَا فَقَالَ: «مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ» (1)

وَأَيُّ مَعْرُوفٍ خَيْرٌ مِنْ مَعْرُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
لِأُمَّتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْبَرَزَخِ وَالْآخِرَةِ، وَفِي الدُّنْيَا تَرَكَنَا عَلَى
الْمَحَبَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَخَذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَاشْتَاقَ
وَبَكَى عَلَى أَنْاسٍ مِنْ أُمَّتِهِ لَمْ يُخْلَقُوا، وَقَالَ: «وَاشْوَقَاهُ
لِإِخْوَانِي»، وَفِي الْبَرَزَخِ يَدْعُو اللَّهُ لَنَا وَيَسْتَغْفِرُ لَنَا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وَهُوَ الْقَائِلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ،

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (5109) بِلَفْظٍ «وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ».

وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَإِنْ وَجَدْتُ
خَيْرًا حَمَدْتُ اللَّهَ، وَإِنْ وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ اسْتَغْفَرْتُ
لَكُمْ» (1).

وَفِي الْآخِرَةِ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَيَقُولُ: إِلَهِي لَا
أَسْأَلُكَ فَاطِمَةَ ابْنَتِي وَلَا خَدِيجَةَ زَوْجَتِي، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ
أُمَّتِي أُمَّتِي، وَلَمْ يَرْفَعْ نَظْرَهُ عَنِ أُمَّتِهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْبَرْزَخِ وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَبَعْدَ سُجُودِهِ يَأْمُرُهُ رَبُّهُ أَنْ يَرْفَعَ
رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ وَسَلِّ تَعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ ﴿وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«لَنْ أَرْضَى وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ» (2)، فَيَأْمُرُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ
أَنْ أُخْرِجُوا كُلُّ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ
اللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مَعَ
صَاحِبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(1) أَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ (308 / 5).

(2) لَمْ أَجِدْهُ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَأَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي
تَلْخِيصِ الْمُتَشَابِهِ فِي الرَّسْمِ (1 / 173) بِنَحْوِهِ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ
الْإِيمَانِ (2 / 164) بِمَعْنَاهُ.

أَفَلَا يَكُونُ هُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالشُّكْرِ، فَقَدْ عَلَّمَنَا فِي
قَوْلِهِ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»⁽¹⁾.

فَنَحْنُ أُمَّتُكَ الْمُقَصِّرُونَ نَشْكُرُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى
كُلِّ لَمْحَةٍ عَيْنٍ وَتَنَفُّسِ نَفْسٍ وَطَرْفَةِ رِمَشٍ، وَحَرَكَةِ
عُضْوٍ، وَسُكُونِ جَسَدٍ كَانَ لِأَجْلِنَا، وَنَشْهَدُ بِأَنَّكَ أَدَيْتَ
الْأَمَانَةَ وَبَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ وَكَشَفْتَ الْعُمَّةَ،
وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا عَلَمَ
الْهُدَى مَا هَبَّتِ النَّسَائِمُ وَمَا نَاحَتْ عَلَى الْأَيْكِ الْحَمَائِمُ.
سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَرْنَا رَبُّكَ أَنْ نَكُونَ مَعَ
الصَّادِقِينَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

وَأَنْتَى لِي يَا سَيِّدِي أَنْ أُنَاجِيكَ بِمُفْرَدِي فَهَذَا أَنَا أَدْخُلُ
عَلَيْكَ مَعَ أَحْبَابِكَ الصَّادِقِينَ، وَأُنَاجِيكَ كَمَا نَاجَاكَ شَهِيدُ
المِحْرَابِ الإمامُ السَّعِيدُ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ رَمَضَانَ

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1954)، وَأَبُو دَاوُدَ (4811).

البُوطِي رَحْمَةُ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ:

سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ:

لَوْ كَانَ الْخُلُقُ الْإِنْسَانِي الرَّفِيعُ مُمَثَّلًا فِي شَخْصٍ
وَفِي كِيَانٍ لَطَاطًا الرَّأْسُ لِسُمُوِّ أَخْلَاقِكَ وَكَمَالِ إِنْسَانِيَّتِكَ
وَصَفَاءِ لُطْفِكَ، رَأَيْتُكَ يَا سَيِّدِي وَأَنْتَ فِي أَعْلَى قِمَمِ
النَّصْرِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ لَا تَنْحَنِي إِلَّا بِذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ لِرَبِّكَ.

سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ:

أَسْعَدَنِي اللَّهُ بِدِرَاسَةِ سِيرَتِكَ، وَأَنَا دُونَ سِنِّ الشَّبَابِ،
ثُمَّ أَكْرَمَنِي رَبِّي بِتَدْرِيسِ سِيرَتِكَ لِأَحْبَابِي، فَوَاللَّهِ إِنَّهَا
كَانَتْ مِنْ أَسْعَدِ لَحْظَاتِ حَيَاتِنَا عِنْدَمَا كُنَّا نَسْبَحُ فِي بَحْرِ
جُودِكَ وَكَرَمِكَ، وَنَحَلُّقُ فِي سَمَاءِ لُطْفِكَ وَعَفْوِكَ فَرَأَيْنَا
بِبَصَائِرِنَا مَا حُرِّمَتْ مِنْهُ أَبْصَارُنَا.

وَتَحَقَّقْنَا بِقَوْلِ الْقَائِلِ:

إِنَّ مِنْ أَسْعَدِ لَحْظَاتِ الْمُحِبِّ أَنْ يَجْلِسَ مَعَ مَنْ
يُحِبُّ، وَأَنْ يَتَحَدَّثَ وَأَنْ يَسْمَعَ الْحَدِيثَ عَمَّنْ يُحِبُّ.

فَعِشْنَا مَعَكَ فِي الْخِيَالِ الْبَعِيدِ أَيَّامَ حَيَاتِكَ مَعَ أَصْحَابِكَ،
ثُمَّ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَرُدَّنَا الْوَاقِعُ إِلَى دُنْيَانَا الَّتِي نَتَقَلَّبُ فِي
غَمَارِهَا الْيَوْمَ فَتَتَفَرَّقُ وَنَحْنُ نُكْوَى بِنَارِ الْحَيْنِ وَالشَّوْقِ
إِلَيْكَ.

سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ:

لَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّكَ قُلْتَ: «طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَرَأَى،
وَطُوبَى لِمَنْ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرِنِي وَأَمَنَ بِي»⁽¹⁾،
وَلَقَدْ رَوَيْنَا فِي الصَّحِيحِ قَوْلَكَ يَوْمَ سَلَّمْتَ عَلَى أَهْلِ
الْبَيْعِ: «وَدِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُ إِخْوَانِي»⁽²⁾.

وَهَا نَحْنُ يَا سَيِّدِي إِخْوَانُكَ الْمُؤْمِنُونَ بِكَ نُبَادِلُكَ
الْيَوْمَ شَوْقًا بِشَوْقٍ، وَحُبًّا بِحُبٍّ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِنَا الْحَيْنُ
إِلَيْكَ كَمَا اشْتَدَّ بِكَ الْحَيْنُ إِلَيْنَا، فَبِلِسَانِي وَقَلْبِي
وَرُوحِي وَعَقْلِي وَجِسْمِي وَكُلِّ جَوَارِحِي أَنَا وَمَنْ وَصَلَهُ

(1) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (11673)، وَابْنُ حِبَّانَ (7230).

(2) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (12579)، وَأَبُو يَعْلَى (3390).

كِتَابِي هَذَا أَقُولُ بِاسْمِي وَاسْمِهِمْ.

نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى رَبِّي عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَصَحْبِكَ أَجْمَعِينَ.
وَإِنَّا عَلَى الْعَهْدِ وَالْوَعْدِ الَّذِي وَعَدْتَنَا إِيَّاهُ فِي
آخِرِ خُطْبَةٍ لَكَ: «أَيُّهَا النَّاسُ مَوْعِدُكُمْ مَعِيَ لَيْسَ الدُّنْيَا،
مَوْعِدُكُمْ مَعِيَ عِنْدَ الْحَوْضِ، وَاللَّهُ وَلَكَأَنِّي أَرَاهُ مِنْ مَقَامِي
هَذَا، أَيُّهَا النَّاسُ أَبْلِغُوا مِنِّي السَّلَامَ كُلَّ مَنْ تَبِعَنِي مِنْ
أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

فَإِنَّا نَسْأَلُ اللَّهَ مُبِحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ نَكُونَ مَعَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ،
وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، وَعِنْدَ الْحَوْضِ، وَعِنْدَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ،
وَعِنْدَ دُخُولِكَ إِيَّاهَا، وَعِنْدَ وَقُوفِكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَأَنْ يُحَقِّقَنَا رَبَّنَا بِقَوْلِهِ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح:
٢٩] نَسْأَلُهُ أَنْ نَكُونَ مَعَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْبَرَزَخِ وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ آمِينَ! اللَّهُمَّ آمِينَ! اللَّهُمَّ آمِينَ!

أَحْمَدُ الطَّلْحِيُّ

إِهْدَاءٌ

عِنْدَمَا أَمْسَكْتُ بِقَلَمِي وَوَضَعْتُهُ عَلَى دَفْتَرِي،
وَأَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ (إِهْدَاءَ هَذِهِ الرَّسَالَةِ) أَحْجَمْتُ
وَأَمْسَكْتُ وَوَقَفْتُ وَتَأَمَّلْتُ، مَنْ أَنَا وَمَاذَا أَفْعَلُ...؟
فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا سِوَى الْعَدَمِ، وَرَأَيْتُ الْحَقَّ مُسْبِغَ
النُّعْمِ، فَمِنْهُ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ، وَمِنْهُ الصِّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ،
وَمِنْهُ الْعِلْمُ وَالْفَهْمُ، وَمِنْهُ التَّوْفِيقُ وَالسَّدَادُ، وَمِنْهُ النُّورُ
وَالْإِرْشَادُ، وَمِنْهُ الْحَقُّ وَالْإِمْدَادُ، وَمِنْهُ الْأَجْرُ وَالْإِسْنَادُ.
فَتَبَسَّمتُ لِأَنِّي تَحَقَّقْتُ بِعَجْزِي وَخُضُوعِي وَانْكِسَارِي.
ثُمَّ تَبَسَّمتُ وَسِرَرْتُ وَسَعِدْتُ عِنْدَمَا تَذَكَّرْتُ
-أَعْظَمَ نِعْمَةٍ وَأَكْبَرَ مَنَّةٍ إِلَيْنَا-: حَبِيبَنَا وَنَبِيَّنَا وَرَسُولَنَا
وَقَائِدَ رَكْبِنَا إِلَى الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

قُرَّةَ الْعُيُونِ، وَرُوحَ الْأَرْوَاحِ، زَيْنَ الْمَلَايحِ، حَبِيبَ
الْمَلِكِ الْفَتَّاحِ، فَلَمْ أَجِدْ وَلَنْ أَجِدَ أَحَدًا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ

يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ وَالشَّنَاءَ، وَأَنْ تُهْدَى إِلَيْهِ الْأَرْوَاحُ قَبْلَ الْأَشْبَاحِ
فَضْلًا عَنِ أَوْزَاقِ جُمِعَتْ مِنْ كَلَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
فَتَذَكَّرْتُ مَا قَالَهُ سُلْطَانُ الْعَاشِقِينَ سَيِّدِي الْإِمَامُ عُمَرُ بْنُ
الْفَارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَالِي سِوَى رُوحِي، وَبَادِلِ نَفْسِيهِ
فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفٍ
فَلَأَنْ رَضِيَتْ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي
يَا حَيَّةَ الْمَسْعَى إِذَا لَمْ تُسْعِفِ
وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوْدِيْعِ مِنْ
أَلَمِ النَّوَى شَاهَدْتُ هَوْلَ الْمَوْقِفِ
أَهْفُو لِأَنْفَاسِ النَّعِيمِ تِعَلَّةً
وَلَوْجِهِ مَنْ نَقَلَتْ شَذَاهُ تَشَوُّفِي
فَلَعَلَّ نَارَ جَوَانِحِي بِهَبُوبِهَا
أَنْ تَنْطَفِي وَأَوْدُ الْأَا تَنْطَفِي
يَا أَهْلَ وُدِّي أَنْتُمْ أَمَلِي وَمَنْ
نَادَاكُمْ يَا أَهْلَ وُدِّي قَدْ كُفِي

عُودُوا كَمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَا
كَرَمًا فَإِنِّي ذَلِكَ الْخَلُّ الْوَفِي
وَحَيَاتِكُمْ وَحَيَاتِكُمْ قَسَمًا وَفِي
عُمْرِي بِغَيْرِ حَيَاتِكُمْ لَمْ أَخْلِفِ
لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدِي وَوَهَبْتُهَا
لِمُبَشَّرِي بِقُدُومِكُمْ لَمْ أَنْصِفِ
لَا تَحْسَبُونِي فِي الْهَوَى مُتَصَنِّعًا
كَلَفِي بِكُمْ خُلُقٌ بِغَيْرِ تَكْلُفِ
أَخْفَيْتُ حُبَّكُمْ فَأَخْفَانِي الْأَسَى
حَتَّى لَعَمْرُكَ كِدْتُ عَنِّي أَخْفِي
وَكَتَمْتُهُ عَنِّي فَلَوْ أَبْدَيْتُهُ
لَوْجَدْتُهُ أَخْفَى مِنَ اللَّطْفِ الْخَفِيِّ
وَإِنْ اكَتَفَى غَيْرِي بِطَيْفِ خَيْالِهِ
فَأَنَا الَّذِي بَوْصَالِهِ لَا أَكْتَفِي
وَقَفًا عَلَيْهِ مَحَبَّتِي وَلِمَحَبَّتِي
بِأَقْلٍ مِنْ تَلْفِي بِهِ لَا أَشْتَفِي

لَوْ قَالَ تَيْهًا قِفْ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا
لَوْ قَفْتُ مُمَثَّلًا وَلَمْ أَتَوَقَّفِ
لَوْ كَانَ مَنْ يَرْضَى بِخَدِّي مَوِطًا
لَوْضَعْتُهُ أَرْضًا وَلَمْ اسْتَنْكِفِ
لَا تُنْكِرُوا شَغْفِي بِمَا يَرْضَى وَإِنْ
هُوَ بِالْوِصَالِ عَلَيَّ لَمْ يَتَّعْطَفِ

أَهْدِيكَ يَا رُوحِي بِسَمْتِكَ الَّتِي أَضَاءَتْ أَرْجَاءَ
الْمَدِينَةِ حِينَ دَخَلْتَ حَتَّى قَالَ أَصْحَابُكَ عِنْدَمَا قَدِمَ سَيِّدُنَا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ⁽¹⁾ لَعَلِّي أَنَا
وَأَحِبَّابِي وَأَهْلِي وَأَصْحَابِي وَكُلُّ مُحِبٍّ وَقَارِيٍّ النَّصِيبَ
الْأَكْبَرَ مِنْ بَسْمَتِكَ وَرِضَاكَ عَنَّا فِي الدُّنْيَا وَالْبَرَزَخِ
وَالْآخِرَةِ فَكَلَّمْنَا نَقُولُ لِحَضْرَتِكَ النَّبَوِيَّةِ: **نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ**
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَأَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ.

(1) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ» أَحْمَدُ (13829)، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3618)، وَابْنُ مَاجَةَ (1631)، ابْنُ جَبَانَ (6634).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقدِّمَةُ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
فَخْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَرْحَمِ الْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الحَمْدُ لِلَّهِ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
صَاحِبِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ الَّذِي مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ
خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّمًا صَلَوَاتُ رَبِّي
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

(تَبَسُّمٌ)

تَبَسُّمٌ: مَشْرُوعٌ نَحِيًّا بِهِ وَنُحِيًّا بِهِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ خَيْرِ
الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنُظِرْهَا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
لِنَفْتِدِي بِنِعَالِي خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَهُوَ الَّذِي قَالَ: «مَنْ أَحْيَا

سُنَّتِي أَحْيَا اللَّهَ قَلْبَهُ»⁽¹⁾.

وَإِنَّ هَدَفَنَا وَأَمَلْنَا وَرَجَاءَنَا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ
يَكُونَ هَذَا الْمَشْرُوعُ مُحَرِّكًا لِمَشَاعِيرِ الْحُبِّ عِنْدَنَا مَعَاشِرَ
الْمُسْلِمِينَ لِرَسُولِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ نُعْطِيَ الْجُمْهُورَ
الطَّاقَةَ وَالْحَافِزَ لِلِاقْتِدَاءِ بِتَعَالِيمِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
وَالِاقْتِدَاءِ بِسُنَّتِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، كَمَا نَأْمَلُ أَنْ نُقَدِّمَ
الْفُرْصَةَ لِكُلِّ النَّاسِ مُسْلِمِينَ وَغَيْرِ مُسْلِمِينَ لِلتَّفَكِيرِ
فِي شَخِصِيَّةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَخْلَاقِهِ
الْعَظِيمَةِ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْمَشْرُوعِ بِأَسْلُوبٍ بَسِيطٍ
وَحَدِيثٍ، وَقَدْ نَحَوْتُ فِيهِ نَحْوَيْنِ: الْكِتَابِ وَالتَّقْدِيمِ
الإعلاميِّ حَيْثُ سُجِّلَ هَذَا الْكِتَابُ فِي ثَلَاثِينَ حَلَقَةً
تَلْفِيزِيُونِيَّةً، تَمَّ عَرْضُهَا عَلَى قَنَاةِ «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا
النَّبِيُّ» الْفَضَائِيَّةِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ لِعَامِ (1435 هـ) بِرِعَايَةِ

(1) لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ بِلَفْظِهِ، وَلَكِنْ وَرَدَ قَرِيبًا مِنْ مَعْنَاهُ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي مَعْرِفَةِ
الصَّحَابَةِ (5809): عَنْ كُرْدُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«مَنْ أَحْيَا لَيْلَتِي الْعِيدِ وَلَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ»،
وَإِحْيَاءُ لَيْلَةِ الْعِيدِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِسُنَّةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كَرِيمَةٍ مِنْ سَعَادَةِ الدُّكْتُورِ نَاصِرِ بْنِ مَسْفَرِ الزَّهْرَانِيِّ
رَئِيسِ مَشْرُوعِ «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ»، وَالْآنَ نُسَخِّهُ
كِتَابِيَّةً مَطْبُوعَةً بَيْنَ أَيْدِيكُمْ.

إِنْ هَدَفْنَا مِنْ خِلَالِ هَذَا الْمَشْرُوعِ هُوَ نَشْرُ مَحَبَّةَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَاتِّبَاعُ تَعَالِيمِهِ وَهَدْيِهِ وَكَأَنَّ
لِتَحْقِيقِ أَيِّ مَكَاسِبَ دُنْيَوِيَّةٍ فَانِيَّةٍ، فَهَذِهِ النُّسخَةُ الَّتِي بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ إِهْدَاءٌ وَكَأَنَّ لِلْبَيْعِ أَوْ الشَّرَاءِ بَلْ نُرِيدُ مِنْ خِلَالِهَا
أَنْ نُوفِّرَ الْجُهْدَ وَالْوَقْتَ وَالْمَالَ لِمَنْ يَبْحَثُونَ وَيُرِيدُونَ
التَّعَرُّفَ عَلَى شَخْصِيَّةِ رَسُولِنَا الْكَرِيمِ مِنْ خِلَالِ هَذَا
الْمَشْرُوعِ، وَلِأَنَّ الْإِتِسَامَةَ هِيَ بَلَسَمُ الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ
وَمِفْتَاحُهَا لِهَذَا تَمَّتْ تَسْمِيَةُ هَذَا الْمَشْرُوعِ بِهَذَا الْاسْمِ
وَالصِّفَةِ النَّبَوِيَّةِ الْكَرِيمَةِ:

«تَبَسَّمْ»

لِكَيْ نَتَحَقَّقَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل

عمران: ٣١].

خِدْمَةَ لِكِتَابِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَلِلْسُنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ
فَهِيَ مِنْ أَشْرَفِ الْأَعْمَالِ وَأَبْرَكِهَا وَلِرَغْبَتِي فِي الدُّخُولِ
فِي هَذَا الشَّرْفِ الْعَظِيمِ مَعَ مَنْ خَدَمُوا السُّنَّةَ وَأَحْيَوْهَا،
أَحَبَبْتُ أَنْ أُقَدِّمَ هَذَا الْعَمَلَ تَشْرُفًا بِخِدْمَةِ سُنَّةِ الْحَبِيبِ
المُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِإِبْرَازِ أَفْعَالِهِ فِي تَبَسُّمِهِ
وَكَظْمِهِ لَغَيْظِهِ وَشِدَّةِ تَمَاسُكِهِ عِنْدَ الْغَضَبِ، بَلْ فِي شِدَّةِ
غَضَبِهِ تَجِدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَبَسَّمَ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْ
أَحْوَالِهِ تَجِدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَبَسَّمَ، تَجِدُهُ فِي الْحِلْمِ
عَنِ الْجُهْلَاءِ قَدْ تَبَسَّمَ، وَفِي جَهْلِ الْجَاهِلِ عَلَيْهِ قَدْ تَبَسَّمَ،
وَفِي مُزَاحِ أَصْحَابِهِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَبَسَّمَ، وَإِذَا لَقِيَ
أَحَدًا مِنَ النَّاسِ تَبَسَّمَ، كَيْفَ لَا وَهُوَ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَفْعَالِهِ قَبْلَ أَقْوَالِهِ، فَكَانَ يَدْعُو وَيُوصِي أُمَّتَهُ
بِالتَّبَسُّمِ فَيَقُولُ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»⁽¹⁾.

وَلِمَكَانَةِ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَهَمِّيَّتِهِ وَحَاجَةِ الْأُمَّةِ الْيَوْمِ
وَكَُلِّ يَوْمٍ إِلَيْهِ وَلِعَلِّمْنَا بِأَنَّ سُنَّةَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1956)، وَابْنُ حِبَّانَ (529).

السَّيِّدُ أَحْمَدُ الطَّلْحِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَيْسَتْ فَقَطُ صَالِحَةٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ
فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ مُصْلِحَةٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَلَا أَهْمِيَّتَهَا
أَحْبَبْنَا أَنْ نُحْيِي وَإِيَّاكُمْ هَذِهِ السُّنَّةُ.
سُنَّةُ الْإِبْتِسَامَةِ فِي سَائِرِ أَحْوَالِنَا.

عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

أحمد الطلحي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى فخرِ
الْأَنْبِيَاءِ وَأَرْحَمِ الْمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.

يَا سَائِلِي عَنْ بَسْمَةِ الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْأَحِبَّةِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
هِيَ بَسْمَةٌ خَرَجَتْ فَفَاحَ عَيْرِهَا فِي الْكَوْنِ حَتَّى زَالَتْ الْأَكْدَارُ
هِيَ بَسْمَةٌ نَبَوِيَّةٌ مَمْرُوجَةٌ بِالْوَدِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَسْرَارِ
هِيَ بَسْمَةٌ تُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ⁽¹⁾

أَحَبَّتِي فِي اللَّهِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

فَمِفْتَاحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ هُوَ الْاِبْتِسَامَةُ: وَالْاِبْتِسَامَةُ

(1) كَلِمَاتُ الشَّاعِرِ وَالْمُحَدِّثِ الْأَسْتَاذِ الشَّيْخِ عَبْدِ السَّلَامِ إِبْرَاهِيمَ الْحَاسِي
الْأَشْعَرِيِّ الْمَالِكِيِّ الْجَيْدِيِّ اللَّيْبِيِّ كَتَبَهَا حَضْرًا لِمَشْرُوعِ تَبَسُّمٍ .. فَجَزَاهُ اللَّهُ
خَيْرَ الْجَزَاءِ.

هِيَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ مِنْ غَيْرِ حُرُوفٍ، وَهِيَ وَسِيلَةٌ مِنْ
وَسَائِلِ الْاِتِّصَالِ غَيْرِ اللَّفْظِيِّ، لَدَى الْكَائِنِ الْبَشَرِيِّ، هِيَ
الَّتِي تَبْتُ الْأَمَلَ فِي النَّفْسِ وَتُزِيلُ وَحْشَةَ الرُّوحِ لِأَنَّهَا
مِفْتَاحُ الْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الصَّافِيَّةِ، وَهِيَ جَوَازُ السَّفَرِ
لِلْقُلُوبِ، فَلَنْرِسْمَهَا دَائِمًا عَلَى شِفَاهِنَا لِنَجْتَازَ مَا يُعِيقُنَا
وَيُعَثِّرُ طَرِيقَنَا.

قَالَ اللَّيَالِي جَرَّعْتَنِي عَلَقَمًا

قُلْتُ ابْتَسِمْ وَلَيْنُ جَرَّعْتَ الْعَلَقَمَا

فَلَعَلَّ غَيْرَكَ إِنْ رَأَكَ مُرَّئِمًا

طَرَحَ الْكَابَةَ جَانِبًا وَتَرَنَّامًا

أَتَرَكَ تَغْنَمُ بِالتَّبَرُّمِ دِرْهَمًا

أَمْ أَنْتَ تَخَسِرُ بِالْبَشَاشَةِ مَغْنَمًا؟

فَاضْحَكُ فَإِنَّ الشُّهْبَ تَضْحَكُ وَالذُّجَى

مُتَلَاظِمٌ وَلِذَا نُحِبُّ الْأَنْجُمَا

وَلِذَلِكَ أَحِبَّتِي: لِأَبْدَ لَنَا أَنْ نُحَافِظَ عَلَى هَذِهِ

النُّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْمِنْحَةِ الْكَرِيمَةِ، وَعَلَى هَذِهِ الْفَوَائِدِ

الْجَلِيلَةَ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، فَالابْتِسَامَةُ لَهَا فَوَائِدُهَا
النَّفْسِيَّةُ وَالطَّبِيبَةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ، وَبِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى نَتَعَرَّضُ
لِهَذِهِ الْأَنْوَاعِ لِلابْتِسَامَةِ وَفَوَائِدِهَا وَمَوَاقِفِ الْحَبِيبِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَآلِ بَيْتِهِ وَسَلَفِ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
مَعَ الْابْتِسَامَةِ، فَعَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تَسْمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ
لَكَ صَدَقَةٌ»⁽¹⁾، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ
النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَيْسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ
الْحُلُقِيِّ»⁽²⁾ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالبَزَّازُ، فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ
نَرَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَدَّ التَّبَسُّمَ صَدَقَةً لَعَلَّ
بَعْضَنَا يَتَسَاءَلُ لِمَاذَا كُلُّ هَذَا الْاهْتِمَامِ بِالابْتِسَامَةِ؟ وَلِمَاذَا
جَعَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَرْتَبَةِ الصَّدَقَةِ؟

والجواب: أَنَّ حَبِيبَنَا الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
يَعْلَمُ تَمَامًا مَدَى تَأْثِيرِ الْابْتِسَامَةِ عِنْدَ النَّاسِ، فَكَمْ مِنْ

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(2) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ (427)، وَأَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ (6550).

ابْتِسَامَةٌ أَزَالَتْ هُمُومًا، وَكَمْ مِنْ ابْتِسَامَةٍ صَادِقَةٍ خَرَجَتْ
مِنَ الْقَلْبِ فَخَفَّفَتْ أَوْجَاعًا وَآلَمًا وَعُغُومًا.

أَحِبَّتِي: حِينَمَا نَبْتَسِمُ نُشْعِرُ الْآخِرِينَ بِأَنَّنا نُحِبُّهُمْ،
وَأَنَّنا نُقَدِّرُهُمْ وَأَنَّ لَهُمْ مَكَانَةً فِي قُلُوبِنَا، وَالنَّيِّجَةُ:
تَحْصُلُ الْأَلْفَةُ وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَنَسْقِيهَا بِمَاءِ
الابْتِسَامَةِ، فَتَنْبِتُ ثَمَرًا مِنْ الْمَحَبَّةِ وَالْأَلْفَةِ فَيَا سَمَاحَةَ
دِينِنَا وَعُلُوَّ خُلُقِ نَبِينَا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، بِفِعْلِ بَسِيطٍ جِدًّا
لَا يُكَلِّفُنَا شَيْئًا وَنَسْتَطِيعُ كُلُّنَا أَنْ نَقُومَ بِهِ، يُمَكِّنُنَا بِهَذَا
الْفِعْلِ أَنْ نَزْرَعَ شَجَرَةَ الْمَوَدَّةِ.

تَبَسَّمْ فِي وَجْهِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي، لَعَلَّ
ابْتِسَامَتَكَ تُذْهِبُ عَنْهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَلَمِ، كَمْ مِنْ هَمٍّ زَالَ
بِابْتِسَامَةٍ، كَمْ مِنْ كُرْبَةٍ زَالَتْ بِابْتِسَامَةٍ، كَمْ مِنْ سَعَادَةٍ
دَامَتْ وَكَانَتْ بِدَائِئِهَا ابْتِسَامَةً، فَتَبَسَّمْ فِي وَجْهِ أَخِيكَ
الْمُسْلِمِ وَارِسِمِ الْبَسْمَةَ عَلَى وَجْهِهِ وَأَبْشِرْ بِكُلِّ خَيْرٍ،
فَمَنْ رَسَمَ الْبَسْمَةَ عَلَى وُجُوهِ النَّاسِ، سَيُكَافِئُهُ رَبُّ
النَّاسِ لَا مَحَالَهَ، وَعَطَاؤُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

أَصَابَكَ هُمُ تَبَسَّمَ ، أَصَابَكَ مَكْرُوهٌ تَبَسَّمَ ، شَعَرْتَ
بِأَلَمٍ تَبَسَّمَ ؛ لِأَنَّكَ حِينَمَا تَبْتَسِمُ رَغَمَ كُلِّ أَلَمٍ شَعَرْتَ بِهِ ،
كَأَنَّكَ تَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنَا رَاضٍ بِمَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ ، وَهَذَا أَنَا
أَبْتَسِمُ لِأَنَّكَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا لَكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْخَيْرِ ، وَرَبُّ
الْخَيْرِ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ .

أَمْرٌ آخَرٌ :

ابْتَسَامَتُكَ وَأَنْتَ مَهْمُومٌ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ إِيمَانِكَ وَثِقَتِكَ
بِاللَّهِ ، وَهِيَ أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ الَّذِي يَقُولُ
فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ : «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»⁽¹⁾ .

ابْتَسَامَتُكَ رَغَمَ الْأَلَمِ تُظْهِرُ حُسْنَ الظَّنِّ وَتُشْعِرُكَ
أَنَّ الْأَلَمَ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ وَيَمْحُو عَنْكَ بِهَا السَّيِّئَاتِ حَتَّى
تَكُونَ فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا لَا تَعْرِفُ إِلَّا الْبَسْمَةَ وَالْأَمَلَ .

أَخِي تَبَسَّمَ وَلَا تَتَرَدَّدْ .

يَا سَائِلِي عَنِ بَسْمَةِ الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْأَحِبَّةِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (7405) ، وَمُسْلِمٌ (2675) ، بِرِوَايَاتٍ عَدَّةً .

هِيَ بَسْمَةٌ خَرَجَتْ فَفَاحَ عَيْبُهَا فِي الْكَوْنِ حَتَّى زَالَتْ الْأَكْدَارُ
هِيَ بَسْمَةٌ نَبَوِيَّةٌ مَمْرُوجَةٌ بِالْوَدِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَسْرَارِ
هِيَ بَسْمَةٌ تُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ
يَأْتِي الصَّحَابُ إِلَيْهِ حِينَ يُصِيبُهُمْ أَلَمٌ وَهَمٌّ يُزْعِجُ الْأَفْكَارَ
فَإِذَا بِهِ وَبِسْمَةٍ عَفْوِيَّةٍ عَنْهُمْ يُزِيحُ الْهَمَّ وَالْأَكْدَارَ
فَتَرَاهُمْ قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُمْ مِنْ بَسْمَةٍ خَرَجَتْ مِنَ الْمُخْتَارِ





الابْتِسَامَةُ

مَنْهَجُ حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى هَادِي الْأُمَمِ

فِي كُلِّ حِينٍ لِلصَّحَابَةِ يَتَسِمُ

مَلِكَ الْقُلُوبِ بِبَسْمَةِ بَرَّاقَةٍ

كُنْ مِثْلَهُ يَا صَاحِبِي وَلْتَتَسِمِ

كُنْ مِثْلَهُ مُتَفَائِلًا مُتَبَسِّمًا

لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمُ

أَحَبَّتِي: الْابْتِسَامَةُ هِيَ تَعْبِيرٌ عَنِ الشُّعُورِ بِالْارْتِيَاحِ

وَالْبَهْجَةِ وَالتَّفَاؤُلِ وَالْأَمَلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ فَهِيَ الْمَغْنَاطِيْسُ

الَّذِي يَجْذِبُكَ إِلَى عَالَمٍ أَكْثَرَ نَشَاطًا وَحَيَوِيَّةً، وَدَافِعٌ قَوِيٌّ

لِلنَّجَاحِ وَالطُّمُوحِ، فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَيْهَا الْيَوْمَ فِي عَصْرِ

اتَّسَمَ بِالْقَلْقِ وَالتَّوْتُرِ وَالحُرُوبِ وَالكَوَارِثِ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِنْ طَبَعِ النَّفْسِ السَّلِيمَةِ الْعُودَةَ
إِلَى فِطْرَتِهَا السَّلِيمَةِ، لِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا مَعَشَرَ
أَهْلِ الْمَحَبَّةِ أَنْ نَقْتَدِيَ بِرَسُولِ الْمَحَبَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
وَنَتَلَمَّسَ ابْتِسَامَتَهُ الشَّرِيفَةَ، لِأَنَّهَا هِيَ الدَّوَاءُ الشَّافِي
لَنَا فِيمَا نَمُرُّ بِهِ مِنْ فتراتٍ عَصِيْبَةٍ فِي حَيَاتِنَا، فَلَقَدْ كَانَ
رَسُولُ الْهُدَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَوْسَعِ النَّاسِ صَدْرًا
وَأَعْظَمِهِمْ قَدْرًا، وَأَعْلَاهُمْ شَرَفًا وَأَبَاهُمْ وَجْهًا، وَأَكْثَرِهِمْ
تَبَسُّمًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا كَانَ يَتَكَلَّفُ الضَّحْكَ،
وَلَا يَخْتَلِقُ الْإِبْتِسَامَةَ، بَلْ كَانَ يَمْتَلِكُ نُفُوسَ أَصْحَابِهِ
بِابْتِسَامَتِهِ الْمُشْرِقَةِ، وَضَحْكَتِهِ الْبَرِيئَةِ الْهَادِيَةِ اللَّطِيفَةِ،
لِيَكْسِبَ قُلُوبَهُمْ لِيَفُوزُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ أَقْبَلُوا
عَلَى هَدْيِهِ، وَارْتَضَوْا نَهْجَهُ، وَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ.

فَرَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَجَاوَزَ بِاتِّبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ
بِهِ الْمُلتَزِمِينَ بِتَعَالِيمِهِ مَتَاعِبَ الْحَيَاةِ وَضُغُوطِ الْمُجْتَمَعِ،
وَتَرَفَّعَ بِهِمْ عَنِ الْأَزْمَاتِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تُنَكِّدُ حَيَاةَ الْبَشَرِ،
وَعَانَقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِهِمُ السَّعَادَةَ وَرَاحَةَ الْقَلْبِ

فَكَانَتْ الْإِبْتِسَامَةُ شِعَارَهُ فِي حِلِّهِ وَتَرَحَّالِهِ، حَيْثُ كَانَ لَا يُرَى إِلَّا مُبْتَسِمًا، فَتَمَسَّحُ ابْتِسَامَتُهُ الْعَذْبَةَ أَلَامَ مَنْ يُقَابِلُهُ وَتُدَاوِي جِرَاحَ مَنْ يِرَافِقُهُ، كَيْفَ لَا وَهُوَ يَرَى سَيِّدَ الْخَلْقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهِ مُبْتَسِمَ الْوَجْهِ، سَهْلًا لَيْنًا صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»⁽¹⁾، وَبِاسْتِقْرَاءِ كُتُبِ السُّنَّةِ نَجِدُ أَنَّ أَكْثَرَ أَحْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْإِبْتِسَامَةُ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَانَ يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ فَيَضْحَكُ بِاعْتِدَالٍ دُونَ إِكْثَارٍ مِنْهُ أَوْ عُلُوٍّ فِي الصَّوْتِ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الرَّجَّاجُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التَّبَسُّمُ أَكْثَرُ ضَحِكِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»⁽²⁾، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ مَا سَبَقَ قَوْلُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ، قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ضَاحِكًا حَتَّى

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3641)، وَأَحْمَدُ (17704).

(2) تَفْسِيرُ الْبَغَوِيِّ ط. إحياء التراث (3 / 495).

أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، - وَهِيَ اللَّحْمَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي أَعْلَى
الْحَنَجْرَةِ - **إِنَّمَا كَانَ يَتَّبَسَّمُ**»⁽¹⁾، وَقَدْ وَصَفَ لَنَا الْإِمَامُ
عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَبِيبَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:
وَكَانَ جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمَ يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ؛
(يَعْنِي بِذَلِكَ بَيَاضَ أَسْنَانِهِ)⁽²⁾.

وَجَاءَ مِنْ طَرِيقِ سَيِّدِنَا هِنْدَ بْنِ أَبِي هَالَةَ كَمَا
أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بَابِ حَلِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُ شَوَاهِدُ «شُعْبِ الْإِيمَانِ» لِلْبَيْهَقِيِّ
وَ«الشَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ» لِلتِّرْمِذِيِّ، وَ«الشِّفَا بِأَحْوَالِ
الْمُصْطَفَى» لِلْقَاضِي عِيَّاضٍ، يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ
تَعْلِيقًا عَلَى ذَلِكَ: «وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ
أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَزِيدُ فِي مُعْظَمِ أَحْوَالِهِ عَنِ
التَّبَسُّمِ، وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَضْحِكًا؛ وَالْمَكْرُوهُ فِي
ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْإِكْتِثَارُ مِنَ الضَّحِكِ أَوْ الْإِفْرَاطُ؛ لِأَنَّهُ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4828)، وَمُسْلِمٌ (899).

(2) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَائِلِ (1/135).

يُذْهِبُ الْوَقَارَ»⁽¹⁾.

وَلَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ مُحِبٍّ وَقَارٍ مَا لِلإِبْتِسَامَةِ
مِنْ تَأْثِيرٍ بَالِغٍ وَمَفْعُولٍ سَاحِرٍ عَلَى الْآخِرِينَ، فَقَدْ فَطَرَ
اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى مَحَبَّةٍ صَاحِبِ الْوَجْهِ الْمَشْرِقِ، الَّذِي
يَلْقَى مَنْ حَوْلَهُ بِإِبْتِسَامَةٍ تُذْهِبُ عَنِ النَّفْسِ هُمُومَ
الْحَيَاةِ وَمَتَاعِهَا، وَتَشِيْعُ أَجْوَاءَ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ، وَتَلْكَ
مِنَ الْخِصَالِ الْمُتَّفِقِ عَلَى اسْتِحْسَانِهَا وَامْتِدَاحِ صَاحِبِهَا
وَهِيَ سُنَّةٌ شَرِيفَةٌ مِنْ سُنَنِ حَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
صَلُّوا عَلَيْهِ وَابْتَسِمُوا فَقَدْ كَانَ حَبِيبِكُمْ يَبْتَسِمُ، وَلِلَّهِ دَرْ
الْقَائِلِ:

وَلَا يَقَعُ الذُّبَابُ عَلَيْهِ حَاشَا ظَلَامُ الْكُفْرِ مِنْ نُورِهِ تَلَاشَى
ضُحُوكُ السَّنِّ شَيْمَتُهُ الْبَشَاشَةُ وَأَغْلَبُ ضِحْكِ حَضْرَتِهِ إِبْتِسَامَةٌ
قَالَ سَيِّدُنَا جَابِرُ بْنُ سَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ طَوِيلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ الضَّحِكِ»⁽²⁾.

(1) فَتْحُ الْبَارِي لابنِ حَجَرَ (10 / 505).

(2) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (20810).

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ
 أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَقَامَ النَّاسُ فَصَاحُوا، وَقَالُوا: يَا
 رَسُولَ اللَّهِ فَحَطَّ الْمَطَرُ، وَاحْمَرَّتِ الشَّجَرُ، وَهَلَكَتِ
 الْبَهَائِمُ، فَادْعُ اللَّهُ أَنْ يَسْقِينَا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 «اللَّهُمَّ اسْقِنَا» مَرَّتَيْنِ، فَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَأَمْطَرَتْ، وَنَزَلَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمِنْبَرِ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ
 لَمْ تَزَلْ تُمَطِّرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ صَاحُوا إِلَيْهِ: تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ،
 وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهُ يَحْبِسَهَا عَنَّا، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوِّلْنَا وَلَا عَلَيْنَا»⁽¹⁾،
 فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ،
 فَجَعَلَتْ تُمْطِرُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَلَا تُمْطِرُ بِالْمَدِينَةِ مُعْجِزَةً
 لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِجَابَةً لِدَعْوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 فَالابتسامَةُ هِيَ أَسْرَعُ وَسِيلَةٍ لِلْوُصُولِ إِلَى قُلُوبِ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (1015)، وَمُسْلِمٌ (897).

الْخَلْقِ وَتَوْصِيلِ الْحَقِّ.

وَحَسْبُنَا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ:

«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»⁽¹⁾.

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَرُوي أَخْبَارًا فَيَتَسَمُّ عِنْدَ ذِكْرِهَا أَوْ يَضْحَكُ عِنْدَ رَوَايَتِهَا، كَضَحِكِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذِكْرِهِ بِشَارَةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ لَهُ بِرُكُوبِ أَنَاسٍ مِنْ أُمَّتِهِ لِلْبَحْرِ غَازِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعِنْدَ ذِكْرِ حَالِ آخِرِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَعِنْدَ سَمَاعِهِ لِقَوْلِ أَحَدِ الْأَخْبَارِ فِي وَصْفِ عَظْمَةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَفِي قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يَزْرَعَ فِي الْجَنَّةِ، إِلَى غَيْرِ تِلْكَ الرُّوَايَاتِ.

كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى هَادِي الْأُمَّمِ

فِي كُلِّ حِينٍ لِلصَّحَابَةِ يَتَسَمُّ

مَلِكَ الْقُلُوبِ بِبَسْمَةِ بَرَّاقَةِ

كُنْ مِثْلَهُ يَا صَاحِبِي وَلْتَبَسِّمِ

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

تَبَسُّمٌ
Tabassam

كُنْ مِثْلَهُ مُتَفَائِلًا مُتَبَسِّمًا
لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمُ





تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ

مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ ابْتَسَمْتَ قَلِيلًا وَصَنَعْتَ فِعْلًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا
إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ فِي دِينِنَا وَرَأْيُهُ نَحْوَ السَّلَامِ سَبِيلًا
كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ذَاهِيَةً وَيَفِيضُ بِشْرًا بُكْرَةً وَأَصِيلًا
يَلْقَاكَ وَالْبَسَمَاتُ تَمَلُّ وَجْهَهُ فَيَسِّرُ قَلْبًا كَانَ قَبْلُ عَلِيلًا

الفَوَائِدُ الطَّبِيبَةُ وَالنَّفْسِيَّةُ لِلابْتِسَامَةِ:

قَدْ لَاحَظَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَطْبَاءِ تَأْثِيرَ الْابْتِسَامَةِ فِي
الشِّفَاءِ، وَلِذَا تُعْتَبَرُ ابْتِسَامَةُ الطَّبِيبِ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ
عِلَاجِهِ لِمَرَضِهِ كَمَا أَنَّ الْابْتِسَامَةَ تُزِيدُ مِنَ الْمَنَاعَةِ ضِدَّ
الْأَمْرَاضِ وَالضُّغُوطَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَتُزِيدُ مِنْ نَشَاطِ الدَّهْنِ
وَصَفَائِهِ وَعَدَمِ تَشْتُّهِهِ وَتُوسِّعُ مِسَاحَةَ الْإِبْدَاعِ وَالتَّخِيلِ
وَالتَّعَمُّقِ الْفِكْرِيِّ لِلْعَقْلِ، وَلَهَا آثَارُهَا الْإِيجَابِيَّةُ عَلَى نَشَاطِ
الْقَلْبِ، وَتُزِيدُ مِنْ جَمَالِ الْوَجْهِ، فَهِيَ السَّلَاحُ الْفَعَالُ ضِدَّ
التَّجَاعِيدِ، وَلِذَلِكَ يَنْصَحُ الْعُلَمَاءُ بِكَثْرَةِ الْابْتِسَامَةِ لَا سِيَّمَا
لِلنِّسَاءِ اللَّوَاتِي يَسْعَيْنَ لِلْحِفَاطِ عَلَى جَمَالِهِنَّ وَشَبَابِهِنَّ.

وَلِلابْتِسَامَةِ فَوَائِدُهَا الْاجْتِمَاعِيَّةُ:

فَهِيَ مِنْ أَهَمِّ أَنْوَاعِ الْعَطَاءِ بَلْ إِنَّهَا تَفُوقُ الْعَطَاءَ
الْمَادِيَّ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِ الْآخِرِينَ،
فَالْإِنْسَانُ فِي حَاجَةٍ لِلسُّرُورِ وَالْفَرَحِ أحيانًا أَكْثَرَ مِنْ
حَاجَتِهِ لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَهِيَ أَيْضًا مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاحِ
فِي الْحَيَاةِ، فَالْمُبْتَسِمُ سَفِيرٌ لِحَلِّ النَّزَاعَاتِ وَالْخُصُومَاتِ
بِامْتِصَاصِ ابْتِسَامَتِهِ اللَّطِيفَةِ لِشُحْنَةِ الْغَضَبِ عِنْدَ النَّاسِ،
وَهِيَ رَمْزٌ لِلْحُبِّ وَالْوَدِّ، فَالنَّاسُ يَتَذَكَّرُونَ الشَّخْصَ
الْمُبْتَسِمَ أَكْثَرَ مِنْ الْآخِرِينَ.

فَالابْتِسَامَةُ تُوحِي لِلنَّاسِ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ مُتَوَازِنٌ
وَسَوِيٌّ، وَهَذَا مَا أَثْبَتَهُ الْإِحْصَائِيَّاتُ أَنَّ الْأُمَّهَاتِ صُويِحْبَاتِ
الابْتِسَامَةِ يَسْتَمْتِعْنَ بِتَرْبِيَةِ أَطْفَالِهِنَّ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِنَّ مِنَ
النُّسُوةِ.

وَلِلابْتِسَامَةِ أَنْوَاعٌ، وَمِنْهَا:

1- ابْتِسَامَةُ الْمَلَاظِفَةِ وَالْتَرَحِيبِ وَتَسْلِيَةِ النَّاسِ

وَلِقَائِهِمْ:

يَقُولُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحْكَ»⁽¹⁾.

2- ابْتِسَامَةُ التَّفَاؤُلِ وَالْأَمَلِ وَالْبِشَارَةِ:

عَنْ أُمِّ حَرَامِ بِنْتِ مِلْحَانَ، قَالَتْ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَرِيبًا مِنِّي ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَتَبَسَّمُ فَقُلْتُ: مَا أَضْحَكَكَ؟، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ، غَزَاةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ» قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا⁽²⁾.

3- ابْتِسَامَةُ الْمُتَعَجِّبِ:

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ النَّمْلَةِ مَعَ نَبِيِّ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3822)، وَمُسْلِمٌ (2475).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (2788)، وَمُسْلِمٌ (1912).

اللَّهُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ
النَّمْلِ: ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩].

4- ابْتِسَامَةُ الْمُغْضَبِ:

يَقُولُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ تَخْلُفِهِ وَمَا كَانَ
مِنْ شَأْنِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: «جِئْتُهُ - أَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -
فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ»⁽¹⁾.

5- ابْتِسَامَةُ السَّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالشَّمَاتَةِ بِالْمُسْلِمِينَ:

وَقَدْ يُصَاحِبُ الْبَسْمَةَ صَوْتُ أَوْ ضِحْكٌ أَوْ قَهْقَهَةٌ
كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي
مَعْرِضِ اسْتِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا
يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: ٤٧].

6- ابْتِسَامَةُ النِّفَاقِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ:

وَهِيَ أَكْثَرُ مَا يَرُوجُ وَيُرُوجُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4418)، وَمُسْلِمٌ (2769).

الْيَوْمَ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، فَيَتَسَمُّ هَذَا لِهَذَا وَالْقُلُوبُ فِي
الْغَالِبِ مَلِيئَةٌ بِنَوْعٍ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ وَالكَرَاهِيَةِ
وَالْبُغْضِ، عَنِ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ
صَدَقَةٌ»⁽¹⁾.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ
الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»⁽²⁾.
يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُخَاطَبًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا:
«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»⁽³⁾.

فَسُبْحَانَ اللَّهِ بِمَجَرَّدِ أَنْ يَتَسَمَّ أَحَدُنَا فِي وَجْهِ أَخِيهِ
فَإِنَّهُ يَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ تَصَدَّقَ بِمَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ دُونَ أَنْ يَدْفَعَ
شَيْئًا، إِنَّهُ أَسْلُوبُ نَبِيِّ كَرِيمٍ لِمَنْ يَمْلِكُ أَوْ لَا يَمْلِكُ
الْمَالُ، بَلْ إِنَّ الْبَيَانَ النَّبَوِيَّ حَدَدَ لَنَا أَنَّ التَّبَسُّمَ يَكُونُ

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2626).

(3) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

فِي الْوَجْهِ، أَيَّ أَنْكَ تَبَسَّمُ وَأَنْتَ تَنْظُرُ لِوَجْهِ أَخِيكَ،
وَهَذَا قِمَّةُ التَّأثيرِ، وَيُؤَكِّدُ الْعُلَمَاءُ حَدِيثًا أَنَّ الْإِبْتِسَامَةَ
يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مِنْ نَوْعٍ خَاصٍّ، بَلْ وَتَجِدُهُمْ يُؤَلِّفُونَ
كُتُبًا وَأَبْحَاثًا عَنْ طُرُقِ الْإِبْتِسَامَةِ وَالطَّرِيقَةِ الْفَعَّالَةِ لِهَذِهِ
الْإِبْتِسَامَةِ، وَقَدْ وَجَدُوا بِالْفِعْلِ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْمِثْلِيَّ هِيَ أَنْ
تَبَسِّمَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ لِلشَّخْصِ الَّذِي تُحَدِّثُهُ، فَهَذَا سَيُعْطِيهِ
شُعُورًا سَرِيعًا بِالاطْمِئْنَانِ، وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةُ
مَصْدَرُ رِزْقٍ بِالنِّسْبَةِ لِكَ، إِنَّ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَتَفَوَّقُ
عَلَى الْعِلْمِ الْبَشَرِيِّ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ يَنْصَحُونَكَ بِالْإِبْتِسَامَةِ
مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ قَدْ تَكُونُ مِنْ أَجْلِ الشُّهُرَةِ أَوْ
الْمَالِ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَدَّدَ لَنَا
هَدَفًا أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ وَهُوَ التَّقَرُّبُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ هَذِهِ
الْإِبْتِسَامَةُ وَلِذَلِكَ سَمَّاهَا «صَدَقَةٌ»، فَمَا أَكْرَمَ هَذَا النَّبِيَّ
الطَّاهِرَ الزَّكِيَّ الرَّءُوفَ الرَّحِيمَ صَاحِبَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

وَأَخِيرًا: عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ بِالْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

وَنَتَّصَدَّقُ وَنُوزِعَ الْإِبْتِسَامَاتِ عَلَى كُلِّ مَنْ نُقَابِلُهُمْ،
لَيْسَ لِكَسْبِ ثِقَتِهِمْ أَوْ رِضَاهُمْ، بَلْ لِكَسْبِ رِضْوَانِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِأَنَّآ إِذَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّحَ الْعِلَاقَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّا نَنَالُ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهَذَا هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ ابْتَسَمْتَ قَلِيلًا وَصَنَعْتَ فِعْلًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا
إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ فِي دِينِنَا وَرَأْيْتُهُ نَحْوَ السَّلَامِ سَبِيلًا
كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ذَاهِيَّةً وَيَفِيضُ بِشْرًا بُكْرَةً وَأَصِيلًا
يَلْقَاكَ وَالْبَسْمَاتُ تَمَلَأُ وُجْهَهُ فَيَسُرُّ قَلْبٌ كَانَ قَبْلُ عَلَيْنَا





ابْتِسَامَةُ التَّفَاوُلِ وَالْأَمَلِ وَالْبَشَارَةِ

فَلنَبْتَسِمُ وَلنُنْشِرِ الْأَفْرَاحَ وَلنَتْرُكِ الْأَوْجَاعَ وَالْأَتْرَاحَ
إِنَّ التَّبَسُّمَ بَلَسْمٌ لِجِرَاحِنَا وَلِكُلِّ قَلْبٍ إِنَّهَا مِفْتَاحُ
وَهِيَ السَّبِيلُ لِمَنْ أَرَادَ سَعَادَةً وَهِيَ الْمَعِينُ لِمُبْتَغِي الْإِصْلَاحِ

ظَهَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي وَقْتِ
عَمَّ فِيهِ الْقَمْعُ وَالْعُبُودِيَّةُ وَنَزَلَتِ الرَّسَالَةُ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ نُورًا لِعَصْرِ سَادَ فِيهِ الظُّلَامُ وَأَمَلًا
لِلنَّاسِ حَلَّ عَلَيْهِمُ الْقَهْرُ وَالظُّلْمُ وَالْإِسْتِبْدَادُ فَكَانَتْ هَذِهِ
الرَّسَالَةُ طَوْقَ نَجَاةٍ لِكُلِّ مَنْ عَانَى وَتَأَلَّمَ مِنَ الطُّغْيَانِ
وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ الدَّوَاءُ الشَّافِي وَالنُّورُ
الصَّافِي لِهَذِهِ النُّفُوسِ، فَقَدْ أَيْدَهُ اللَّهُ بِآيَاتِهِ لِتَثْبِيتِ هَذِهِ
الدَّعْوَةِ فَانْتَشَرَ الْفَرْحُ وَجَاءَ النَّصْرُ وَعَلَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ بِهِ،
وَأَنْدَحَرَ كُلُّ ظُلُومٍ جَهُولٍ، وَغَابَ بِهِ اللَّيْلُ الْكَالِحُ وَعَمَّتِ
الْأَرْجَاءُ شَمْسُ الْأَمَلِ، لِذَا حَثَّ عَلَى السَّعْيِ وَالْحَرَكَةِ
لِيَعِثَ الْأَمَلُ وَالتَّفَاوُلُ فِي النُّفُوسِ، فَالِإِسْلَامُ دِينٌ عَظِيمٌ

بَنَى عَقِيدَتَهُ عَلَى أَسَاسِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ وَالْمَنْطِقِ الْقَوِيمِ،
وَمِنْ هُنَا فَقَدَ رَبِّي الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَتْبَاعَهُ عَلَى
التَّفَاوُلِ وَالْأَمَلِ وَالْبُعْدِ عَنِ التَّطْيِيرِ وَالتَّشَاوُمِ، وَلَقَدْ
ذَمَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَؤُلَاءِ الْمُتَطَيِّرِينَ بِدَعَاوَى الْأَنْبِيَاءِ
فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨) قَالُوا طَبَّرَكُم مَّعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٨ - ١٩].

وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّيْرَةِ، فَعَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ: «لَا طَيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأَلُ، قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ:
الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»^(١).

وَتَظْهَرُ قِمَّةُ تَفَاوُلِهِ وَأَمَلِهِ وَتَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
فِي قِصَّةِ الْغَارِ وَالْأَخْطَارِ الْمُحَدِّقَةِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
هُوَ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَنْظُرُ إِلَيَّ قَدَمِيهِ لِأَبْصُرَنَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (5754)، وَمُسْلِمٌ (2223).

تَحْتَ قَدَمَيْهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ
بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (1).

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَبِثُ فِي نَفُوسِ
صَحَابَتِهِ رُوحَ التَّفَاوُلِ وَالْجَدِّ وَالْإِقْدَامِ حَتَّى فِي أَحْرَجِ
الظُّرُوفِ وَأَشَدِّهَا وَأَقْسَاهَا، فَعَنَ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ، قَالَ:
«شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ
بُرْدَةً لَهُ، فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو
لَنَا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ
الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ
بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيَمَشُّ
بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ
عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ، لَيَتَمَنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ
صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذُّبَّ عَلَى
عَنْمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (2).

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3653)، وَمُسْلِمٌ (4663).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3852).

وفي صلح الحُدَيْبِيَّةِ وَبَعْدَ قَبُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
بشُروطِ الصُّلْحِ المُجْحَفَةِ وَاعْتِرَاضِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ
عَلَيْهَا، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نُعْطِي الدِّينِيَّةَ؟!».

فَعَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، يَوْمَ صِفِّينَ،
فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا وَذَلِكَ
فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ
الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا
عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ، قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالَنَا
فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: بَلَى،
قَالَ: فَفَيْمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا وَتَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يَضِيعَنِي اللَّهُ أَبَدًا، قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ
يَصْبِرْ مُتَعِظًا فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ

وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ
 وَقَتَلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ بَلَى. قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطَى الدِّينَةَ فِي
 دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا بَنَ
 الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، قَالَ: فَنَزَلَ
 الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ
 إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْفَتْحَ هُوَ؟ قَالَ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ... فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ⁽¹⁾.

ويذكرُ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيُّ فِي «الْفُتُوحَاتِ
 الرَّبَّانِيَّةِ»⁽²⁾ حَدِيثَ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي لَزِمَ الْمَسْجِدَ مُتَطَيِّرًا
 مِنْ كَثْرَةِ هُمُومِهِ وَدُيُونِهِ، أَرْشَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 إِلَى اسْتِبْدَالِ الرَّسَائِلِ السَّلْبِيَّةِ فِي حَيَاتِهِ بِرَسَائِلِ إِيْجَابِيَّةٍ،
 وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْيَأْسَ وَالتَّشَاوُمَ وَيُحْسِنَ التَّوَكُّلَ عَلَى
 اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ
 اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4844)، وَمُسْلِمٌ (1785).

(2) الْفُتُوحَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ عَلَى الْأَذْكَارِ النَّوَاوِيَّةِ (3/ 123).

مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أَمَامَةَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا أَمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، قَالَ: هُمُومٌ لَزِمْتَنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا أَعَلَّمْتُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُحْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي»⁽¹⁾.

عَنْ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ قَالَتْ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَرِيبًا مِنِّي ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَتَبَسَّمُ، فَقُلْتُ: مَا أَضْحَكَكَ؟، قَالَ: «أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ يَرَكْبُونَ هَذَا الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرِ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فِدْعًا لَهَا»⁽²⁾.

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (1555)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي الدَّعَوَاتِ الْكَبِيرِ (305).

(2) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ حِينَمَا اعْتَرَضَتْ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ
 طَرِيقَ الْمُسْلِمِينَ، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمِعْوَلَ
 وَضَرَبَ بِهِ ثَلَاثَ ضَرْبَاتٍ، وَفَتَحَ بَابَ الْأَمَلِ لِلصَّحَابَةِ فِي
 انْتِصَارِ الْإِسْلَامِ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثْتُ عَنْ سَلْمَانَ
 الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْخَنْدَقِ،
 فَغَلِظْتُ عَلَيَّ صَخْرَةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَرِيبٌ
 مِنِّي؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ أُضْرِبُ وَرَأَيْتُ شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيَّ نَزَلَ
 فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ مِنْ يَدِي، فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ
 الْمِعْوَلِ بُرْقَةٌ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَلَمَعَتْ
 تَحْتَهُ بُرْقَةٌ أُخْرَى؛ قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّلَاثَةَ فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ
 بُرْقَةٌ أُخْرَى، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا
 هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ لَمَعَ تَحْتَ الْمِعْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ؟ قَالَ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَوْقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ؟ قَالَ: قُلْتُ:
 نَعَمْ، قَالَ: أَمَّا الْأُولَى فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْيَمْنَ؛ وَأَمَّا
 الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ

فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ» (1).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ حِينَ فَتَحَتْ
هَذِهِ الْأَمْصَارُ فِي زَمَانِ عُمَرَ وَزَمَانِ عُثْمَانَ وَمَا بَعْدَهُ:
«افْتَتِحُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا افْتَتَحْتُمْ
مِنْ مَدِينَةٍ وَلَا تَفْتَحُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَى
اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا قَبْلَ
ذَلِكَ» (2).

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي جُلِّ أحوالِهِ
إِلَى التَّفَاوُلِ وَالْأَمَلِ حَتَّى فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ.
إِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ دِينَ الْأَمَلِ وَالتَّفَاوُلِ، وَالرَّسُولُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ بِأَيْدِينَا فِي كُلِّ طَرِيقٍ يَنْشُرُ بِدَاخِلِنَا
هَذَا الْأَمَلَ، فَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْأُصُولِ:

بَغَيْرِ فَاَلٍ حَسَنِ لَا تَنْطِقُ إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4101)، وَالْحَارِثُ بْنُ أَسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ (692)
وَاللَّفْظُ لَهُ.

(2) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ت السقا (2 / 219).

لِذَا يُرْشِدُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّظَرِ إِلَى الْحَيَاةِ
بِمَنْظَارِ التَّفَاوُلِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَلِنرْسِمَ دَائِمًا عَلَى وُجُوهِنَا
بِسْمَةِ الْأَمَلِ.

تَفَاءَلُوا بِالْخَيْرِ تَجِدُوهُ.

فَلنَبْتَسِمَ وَلنُنشِرِ الْأَفْرَاحَ وَلنَتْرُكِ الْأَوْجَاعَ وَالْأَتْرَاحَ
إِنَّ التَّبَسُّمَ بَلْسَمٌ لِحِرَاحِنَا وَلِكُلِّ قَلْبٍ إِنَّهَا مِفْتَاحُ
وَهِيَ السَّبِيلُ لِمَنْ أَرَادَ سَعَادَةً وَهِيَ الْمَعِينُ لِمُبْتَغِي الْإِصْلَاحِ





لُطْفُهُ وَرَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

بِالضُّعْفَاءِ مِنْ رَعِيَّتِهِ

كَانَ الْحَيِّبُ الْمُصْطَفَى هَادِي الْأُمَمِ

فِي كُلِّ حِينٍ لِلصَّحَابَةِ يَتَسَمَّى

مَلِكَ الْقُلُوبِ بِسِمَةِ بَرَّاقَةِ

كُنْ مِثْلَهُ يَا صَاحِبِي وَلْتَسَمِ

كُنْ مِثْلَهُ مُتَفَائِلًا مُتَسِمًا

لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمُ

شَجَّعَ دِينَنَا الْحَنِيفُ وَرَسَخَ قِيَمَةَ الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ

حَتَّى إِنَّ عُلَمَاءَنَا وَمَشَائِخَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَعَلُوا أُخُوَّةَ الْحُبِّ

فِي اللَّهِ أَعْلَى مِنْ أُخُوَّةِ النَّسَبِ، وَذَلِكَ لِشَرَفِ الْإِنْتِسَابِ

إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ وَالْحُبِّ فِيهِ.

وَكَانَ أَوَّلَ نَمُودَجٍ لِهَذِهِ الْأُخُوَّةِ هِيَ الْأُخُوَّةُ بَيْنَ

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ حَيْثُ أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

بَيْنَهُمْ مُوَاخَاةً كَانَتْ رَمْزًا لِلتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى عَبْرَ

الْأَزْمَانِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ التَّلَطُّفُ لِإِخْوَانِنَا
وَأَحِبَّائِنَا فِي اللَّهِ مِنْ أَعَمَّقِ وَأَرْسَخِ الْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى
الْإِطْلَاقِ.

وَهُنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْفَلَ عَنْ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
وَتَلَطُّفِهِ وَرَحْمَتِهِ بِأَصْحَابِهِ، وَكَانَ لُطْفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
بِأَصْحَابِهِ وَأُمَّتِهِ تَخْلُقًا بِخُلُقِ اللَّطْفِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ
اللَّهِ اللَّطِيفِ الَّذِي يَعْنِي الرَّفْقَ وَالرَّقَّةَ، فَكَانَ أَرْفَقَ النَّاسِ
وَأَلْطَفَهُمْ وَأَكْثَرَهُمْ تَوَاضَعًا وَرَحْمَةً، لِذَا قَالَ عَنْهُ رَبُّ
الْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

مُحَمَّدٌ خَيْرٌ مَنْ سَارَتْ بِهِ قَدَمٌ وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَا ضِيهَا وَبَاقِيهَا
أَوْفَى الْخَلِيقَةِ إِيمَانًا وَأَكْمَلُهَا دِينًا وَأَرْجَحُهَا فِي وَزْنِ بَارِيهَا
مَنْ مِثْلُهُ فِي الْوَرَى بَرًّا وَمَرْحَمَةً وَمَنْ يُشَابِهُهُ لُطْفًا وَتَوَجُّيْهَا
وَكَانَ لُطْفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَشْمَلُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ
الرَّجُلَ وَالصَّبِيَّ وَالْعَجَائِزَ دُونَ تَفْرِيقِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا

التَّكَمَ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى
يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا
أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدْعُ
يَدَهُ»⁽¹⁾.

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى
يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَن وَجْهِهِ
حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يَرِ مُقَدِّمًا
رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ»⁽²⁾.

هَذَا الصَّنِيعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِتَذْلِيلِ
جَوَارِحِهِ مَعَ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُ لَا نَدْرِي تَحْتَ أَيِّ الْأَخْلَاقِ
يَنْدَرِجُ، أَهْوَمِنْ شِدَّةً تَوَاضَعَهُ لِصَحَابَتِهِ؟ أَمْ مِنْ حُسْنِ
مَعَشَرِهِ؟ أَوْ مِنْ جَلِيلِ تَقْدِيرِهِ لَهُمْ؟ أَوْ مِنْ كَمَالِ رِفْقِهِ
وَلُطْفِهِ بِهِمْ؟

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4794) وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (7779).

(2) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2490)، وَابْنُ مَاجَةَ (3716).

سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ وَخَيْرُ مُعَلِّمٍ وَطَأَتْ قَدَمُهُ سَطْحَ
الْأَرْضِ، لَقَدْ وَضَعَ أُسُسَ عِلْمِ الْعَلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِي
لَمْ تَعْرِفْهُ الْبَشَرِيَّةُ إِلَّا حَدِيثًا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَرَّرَ مَا يُسَمَّى بِـ
«فَنِّ التَّوَاصُلِ» أَوْ تَحْدِيدًا إِنْ شِئْتَ سَمَّهَا: «لُغَةِ الْجَسَدِ»
الَّتِي تُعَدُّ إِحْدَى الطُّرُقِ السِّحْرِيَّةِ لِجَذْبِ الْقُلُوبِ وَأَسْرِ
الْأَفئِدَةِ وَالشُّعُورِ بِالْأُلْفَةِ نَحْوِ الْآخَرِينَ، حَتَّى لَوْ كُنْتَ
تُقَابِلُهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى تَجْعَلُهُ يَشْعُرُ أَنَّهُ يَعْرِفُكَ مِنْذُ زَمَنِ.
يَقُولُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أَسَلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي
وَجْهِهِ»⁽¹⁾.

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَابٌ صَغِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ
صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، اسْتَشْهَدَ وَالِدُهُ فِي
غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَخَلَّفَ وَرَاءَهُ دَيْنًا ثَقِيلًا، وَتَسَعَّأَ مِنَ الْبَنَاتِ
الصَّغَارِ، هَذَا فَضْلًا عَنِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ.

وَيُرْوَى لَنَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْقِصَّةَ قَائِلًا: لَمَّا

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

قَتَلَ أَبِي جَعَلْتُ أَبْيِي وَأَكْشَفُ عَنْ وَجْهِهِ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَنْهَوْنِي، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ
يَنْهَهُ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَبْكِهِ مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ
تَظْلُهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ»⁽¹⁾.

لَقَدْ كَانَتْ صَدَمَةٌ جَابِرٍ قَوِيَّةً جِدًّا حَمَلَتْهُ عَلَى الْبُكَاءِ،
وَبِدَافِعٍ مِنْ مُغَالِطَةِ الْوَاقِعِ الْجَدِيدِ كَانَ يَكْشِفُ عَنْ
وَجْهِ أَبِيهِ مِمَّا دَفَعَ بِالْحَاضِرِينَ إِلَى نَهْيِهِ، أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ لَهُ مَوْقِفٌ مُخْتَلِفٌ، يَنْمُ عَنْ قَلْبِ
رَحِيمٍ وَحَسٍّ رَفِيقٍ قَدْ أَشْفَقَ عَلَى قَلْبِ غَضِّ طَرِيٍّ لِشَابِّ
صَغِيرٍ كَجَابِرٍ، فَتَرَكَهُ يُخْرِجُ بِالْبُكَاءِ مَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ
مِنْ أَلَمٍ وَأَحْزَانٍ، وَلَعَلَّهُ بَعْدَهَا يَسْكُنُ قَلْبُهُ الْمُضْطَّرُّ
وَتَهْدَأُ جَوَارِحُهُ الْمَفْجُوعَةُ، وَلِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يُحْزِنُنَا عَلَى
مَوْتَانَا، هُوَ تَفْكِيرُنَا فِيْمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ وَمَا يَنْتَظِرُهُمْ، فَإِنَّهُ
لَا يُوجَدُ مَا يُخَفِّفُ عَنَّا وَطَأَةَ الْحُزْنِ وَيَمْسَحُ عَنَّا دَمْعَةَ
الْفِرَاقِ، كَحَدِيثِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ كُشِفَتْ لَهُ الْحُجُبُ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4080)، وَمُسْلِمٌ (2471).

وَرَفَعَتْ عَنْهُ الْأَسْتَارُ، يُخْبِرُنَا بِحَالِ أَحِبَّتِنَا بَعْدَنَا، فَهَا هُوَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يُكَفِّفُ دُمُوعَ جَابِرٍ وَيَهْدِي رَوْعَهُ،
وَيَضُمُّ قَلْبَهُ بِبُشْرَى نَفِيسَةٍ، وَمَكْرَمَةِ نَادِرَةَ وَيَقُولُ لَهُ: «مَا
زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ»⁽¹⁾.

النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَغِمَ مَا كَانَ يَحْمِلُ
مِنْ أَعْبَاءٍ وَثِقَلِ حَمْلِ الرِّسَالَةِ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعَهُ مِنْ
التَّلَطُّفِ وَالتَّوَدُّدِ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَالابْتِسَامَةِ فِي وُجُوهِهِمْ
حَتَّى فِي أَصْعَبِ الظُّرُوفِ.

الأخوة في الله من أئمن العلاقات التي رسخها
في نفوسنا سيدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذه
الأخوة تحتم علينا حقوقاً تجاه إخواننا في الله ومن
هذه الحقوق التودد والتلطف والتواضع والابتسام في
وجوههم والنظر إليهم بعين الرحمة وتفقد أحوالهم،
وهذا من باب الاجتماع على حبهم لله.

وقد أنشد الإمام الراشد (زكي الدين إبراهيم) قائلاً

(1) سبق تخريجُه.

فِي هَذَا الْمَعْنَى:

وَأَحِبُّ الْكُلَّ بِحُبِّ اللَّهِ وَحُبُّ اللَّهِ هُوَ الْحُبُّ

وَحِتَامًا...

كَانَ الْحَيِّبُ الْمُصْطَفَى هَادِي الْأُمَّمِ

فِي كُلِّ حِينٍ لِلصَّحَابَةِ يَتَسَمُّ

مَلِكَ الْقُلُوبِ بِبِسْمَةِ بَرَّاقَةِ

كُنْ مِثْلَهُ يَا صَاحِبِي وَلْتَبَسِمِ

كُنْ مِثْلَهُ مُتَفَائِلًا مُتَبَسِّمًا

لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...





بِسْمَةِ الْحِلْمِ

مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ ابْتَسَمْتَ قَلِيلًا وَصَنَعْتَ فِعْلًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا
 إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ فِي دِينِنَا وَرَأْيُهُ نَحْوَ السَّلَامِ سَبِيلًا
 كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ذَاهِيَةً وَيَفِيضُ بِشْرًا بُكْرَةً وَأَصِيلًا
 يَلْقَاكَ وَالْبَسَمَاتُ تَمَلُّهُ وَجْهَهُ فَيَسِّرُ قَلْبًا كَانَ قَبْلَ عَلَيْنَا

أَحِبَّتِي فِي اللَّهِ: قَدْ تَكُونُ بِسْمَتِنَا هَذِهِ مُخْتَلِفَةً عَنِ
 غَيْرِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّيَ أُخَاطِبُ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ فِيهَا وَأَسْأَلُ
 نَفْسِي وَأَسْأَلُكُمْ وَلِيَقِفَ كُلُّ مِنَّا وَقْفَةً صِدْقٍ مَعَ نَفْسِهِ
 لِيَعْلَمَ كُلُّ مِنَّا مَكَانَةَ هَذَا الْخُلُقِ مِنْهُ، هَذَا الْخُلُقِ الَّذِي
 أَصْبَحَ عُمَلَةً نَادِرَةً فِي هَذَا الزَّمَانِ.

مَنْ مِنَّا لَا يُبَادِرُ بِأَخْذِ حَقِّهِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ أَوْ تَعَدَّى
 عَلَيْهِ، مَنْ مِنَّا يَصْبِرُ عَلَى جَفْوَةِ الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ، مَنْ مِنَّا
 يَعْفُو عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، مَنْ مِنَّا يَغْضُ الطَّرْفَ عَمَّنْ جَهَلَهُ
 وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ، تَذَكَّرُوا قَوْلَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَأَمْرُهُ بِأَنْ نَكُونَ
 مَعَ الصَّادِقِينَ لِنَكُونَ صَادِقِينَ مَعَ أَنْفُسِنَا، أَوْ لَا نَسِيرُ فِي

الطُّرُقَاتِ لِنَرَى هَذِهِ الْعُيُونَ الْغَاضِبَةَ الَّتِي تُسَارِعُ فِي
الْإِنْتِقَامِ وَالْعُبُوسِ فِي وُجُوهِ الْآخِرِينَ فَقَدْ نَسِيتُ وَنَسِينَا
دِينَنَا وَمَبَادِينَنَا وَقِيمَنَا، نَسِينَا أَنَّ الْمَلَائِكِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَلَلِ
الْأُخْرَى كَانَ السَّبَبُ فِي دُخُولِهِمْ لِلْإِسْلَامِ هُوَ أَطْلَاعُهُمْ
عَلَى أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ أَمَامَ تَحَدٍّ
كَبِيرٍ فِي ظِلِّ الظُّرُوفِ الَّتِي تُوَاجِهُهُ أُمَّتُنَا وَإِنْ لَمْ نَتَحَلَّ
بِالْحِلْمِ ضَاعَ كُلُّ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَأُغْلِقَ كُلُّ بَابٍ لِلْخَيْرِ.

أَحِبَّتِي: أَذْكُرْكُمْ وَنَفْسِي بِالْحِلْمِ وَأَذْكُرْكُمْ وَنَفْسِي
بِأَحْلَمِ خَلَقِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نَبِينَا وَهَادِينَا وَدَاعِينَا إِلَى اللَّهِ،
فَكَمْ تَعَرَّضَ لِلْأَذَى وَكَمْ جَهَلَ عَلَيْهِ الْجَاهِلُ، وَكَمْ أَنْكَرَ
عَلَيْهِ مُنْكَرٌ، وَلَمْ يُقَابِلْ ذَلِكَ إِلَّا بِسَعَةِ صَدْرٍ وَابْتِسَامَةٍ
صَفَاءٍ كَانَتْ تُوَغِّرُ صَدْرَ أَعْدَائِهِ وَتَعْجِبُهُمْ مِنْ حِلْمِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

وَالسَّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ الْعَطِرَةَ تَذَخَّرُ بِمَوَاقِفَ تَبِينُ
لَنَا حِلْمَهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** مَعَ كُلِّ الْبَشَرِ، وَمِنْ هَذِهِ
الْمَوَاقِفِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ

المُكْرَمَةِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ
فَأَحْرَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَى
ذِي الْحَلِيفَةِ أَرْسَلَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ لِيَنْقِلَ إِلَيْهِ أَخْبَارَ
قُرَيْشٍ وَحَالَهُمْ فَرَجَعَ لَهُ وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ قُرَيْشًا قَرَّرَتْ صَدَّهُ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَعَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
طَرِيقَتَهُ فِي السَّيْرِ حَتَّى إِذَا نَزَلَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ
وَرْقَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ قُرَيْشًا
سَيُقَاتِلُونَهُ وَيَمْنَعُونَهُ عَن دُخُولِ مَكَّةَ وَبَعْدَ ذَلِكَ تَوَالَتْ
الرُّسُلُ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دَارَتْ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُنَاقَشَاتٌ حَوْلَ
رُجُوعِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ عَن مَكَّةَ هَذَا الْعَامِ، وَكَانَ آخِرُ
هَذِهِ الرُّسُلِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو الَّذِي بَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ لِعَقْدِ
صُلْحٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِشَرَطِ أَنْ يَرْجِعَ
بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَن مَكَّةَ هَذَا الْعَامِ، فَجَاءَ سُهَيْلٌ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلَّمَ مَعَهُ، ثُمَّ اتَّفَقَا
عَلَى عَقْدِ الصُّلْحِ فَدَعَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ

ابن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَكْتُبَ كِتَابَ الصُّلْحِ مَعَ قُرَيْشٍ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ الْمُمَثِّلُ لِقُرَيْشٍ فِي عَقْدِ الصُّلْحِ هُوَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَلَمَّا أَمَلَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْكِتَابَ وَأَمَلَى عَلَيْهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَمَنِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ؟ فَوَاللَّهِ لَا نَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ (بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ)، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا بِذَلِكَ، ثُمَّ أَمَلَى عَلَيْهِ أَنْ اكْتُبْ: «هَذَا مَا صَالِحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَوْ نَعَلِمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي» وَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَكْتُبَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْ يَمْحُوَ لَفْظَةَ رَسُولِ اللَّهِ فَرَفَضَ الْإِمَامُ عَلِيُّ أَنْ يَمْحُوَهَا، وَقَالَ: مَا كَانَ لِي أَنْ أَمْحُوَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَرِنِيهَا» وَبَلَ أَصْبَعَهُ الشَّرِيفَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَهَا بِنَفْسِهِ، ثُمَّ تَمَّتْ كِتَابَةُ الصَّحِيفَةِ (1).

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4005)، وَمُسْلِمٌ (1783).

وموقف آخر يدلُّ على حلمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي: أَنَّ فُضَالََةَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوَّحِ اللَّيْثِيِّ أَرَادَ قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **أَفُضَالََةُ؟** قَالَ: نَعَمْ فُضَالََةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟** قَالَ: لَا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ، قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: **اسْتَغْفِرِ اللَّهَ،** ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ. فَكَانَ فُضَالََةُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَن صَدْرِي حَتَّى مَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ⁽¹⁾.

فَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَحْتُّ عَلَى الْحِلْمِ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَنَحْنُ أَيْضًا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ يَكُونَ حُبْنَا صَادِقًا فَلَا بُدَّ أَنْ نُقَوِّي هَذِهِ الصِّفَةَ فِينَا انْتِهَاجًا بِنَهْجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ

(1) سيرة ابن هشام ت السقا (2 / 417).

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَةِ،
فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى
صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ
الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي
عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»⁽¹⁾.

وَيَتَجَلَّى حِلْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا يَكُونُ هَذَا
الْحِلْمُ مَعَ أَلَدِّ أَعْدَائِهِ وَحَامِلِ لِيَوَاءِ الْعَدَاوَةِ ضِدَّ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَرَوِي لَنَا الْعَبَّاسُ عَمَّ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَرَجَتْ مِنْ عِنْدِ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ يَوْمِ الْفَتْحِ أَلْتَمَسُ أَحَدًا مِنْ قُرَيْشٍ
لِيُخْبِرَ قُرَيْشًا بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ
وَذَلِكَ لِيُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُونَهُ، فَوَجَدَ أَبَا سُفْيَانَ وَبَدِيلَ
فَأَخْبَرَهُمَا، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ فَقَالَ لَهُ:
وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِيَضْرِبَنَّ
عُنُقَكَ فَارْكَبْ حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
فَأَسْتَأْمِنَهُ لَكَ، فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ وَأَبُو سُفْيَانَ عَلَى رَسُولِ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3149)، وَمُسْلِمٌ (1057).

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ فَدَعَنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَيَّ رَحْلِكَ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِي بِهِ»، فَذَهَبَ فَلَمَّا أَصْبَحَتْ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! أَمَّا هَذِهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ حَتَّى الْآنَ مِنْهَا شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ أَسْلِمَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، فَأَسْلَمَ⁽¹⁾.

وَقِصَّةٌ أُخْرَى تُبَيِّنُ لَنَا حِلْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَعْدَائِهِ وَذَلِكَ حِينَ أَرْسَلَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابُ ابْنَ النَّوَّاحَةِ وَابْنَ أَثَالٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَشْهَدَانِ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَقَالَا: «نَشْهَدُ أَنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولُ اللَّهِ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

(1) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ت السَّقَاتِ (2 / 403).

«آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ لَوْ كُنْتُ قَاتِلًا رَسُولًا لَقَتَلْتُكُمْ».

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَمَضَتْ السُّنَّةُ بِأَنَّ الرَّسُلَ لَا تُقْتَلُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَمَّا ابْنُ أَثَالٍ فَقَدْ كَفَانَا اللَّهُ، وَأَمَّا ابْنُ النَّوَاحَةِ فَلَمْ يَزَلْ فِي نَفْسِي حَتَّى أَمَكَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْهُ⁽¹⁾.

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي الْأَحْدَاثِ السَّابِقَةِ يَجِدُ أَنَّ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَحَلَّى بِالْحِلْمِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ حَتَّى لَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِهِ فَلَمْ يَتَجَاوَزْ حَدَّ الْحِلْمِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَغْضَبَ وَيُثَوِّرَ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ خُلِقَهُ الْقُرْآنَ فَلَمْ يَكُنْ يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، بَلْ إِنَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ يَكْظِمُ غَيْظَهُ وَيَعْفُو وَيُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، فَكَانَ مَبْدَأُ الْحِلْمِ هُوَ أَحَدُ الْمَبَادِي الَّتِي تَعَامَلَ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَعْدَائِهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَى السَّوَاءِ، فَكَسَبَ الْكَثِيرَ مِنَ الْقُلُوبِ فَأَحَاطَتْ بِهِ، وَلَمْ تَكُنْ تَرْضَى أَنْ يُصَابَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكْرُوهِ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا.

(1) أَخْرَجَهُ الطَّبَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ (248)، وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (3851) بِنَحْوِهِ.

مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ ابْتَسَمْتَ قَلِيلًا وَصَنَعْتَ فِعْلًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا
إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ فِي دِينِنَا وَرَأْيْتُهُ نَحْوَ السَّلَامِ سَبِيلًا
كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ذَاهِيَةً وَيَفِيضُ بِشْرًا بُكْرَةً وَأَصِيلًا
يَلْقَاكَ وَالْبَسْمَاتُ تَمَلَأُ وُجْهَهُ فَيَسِّرُ قَلْبًا كَانَ قَبْلُ عَلِيلًا





مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

يَا سَائِلِي عَنْ بَسْمَةِ الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْأَحِبَّةِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
هِيَ بَسْمَةٌ خَرَجَتْ فَفَاحَ عَيْرُهَا فِي الْكَوْنِ حَتَّى زَالَتْ الْأَكْدَارُ
هِيَ بَسْمَةٌ نَبَوِيَّةٌ مَمْرُوجَةٌ بِالْوَدِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَسْرَارِ
هِيَ بَسْمَةٌ تُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ
يَأْتِي الصَّحَابُ إِلَيْهِ حِينَ يُصِيبُهُمْ أَلَمٌ وَهَمٌّ يُزْعِجُ الْأَفْكَارُ
فَإِذَا بِهِ وَبِـبَسْمَةِ عَفْوِيَّةٍ عَنْهُمْ يُزِيحُ الْهَمَّ وَالْأَكْدَارُ
فَتَرَاهُمْ قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُمْ مِنْ بَسْمَةِ خَرَجَتْ مِنَ الْمُخْتَارِ

أَحَبَّتِي فِي اللَّهِ: أَنَا وَأَنْتُمْ فِي وَاحَةٍ مِنْ وَاحَةِ الْحُبِّ
وَالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَاحَةٍ تَتَعَرَّفُ
مِنْ خِلَالِهَا عَلَى أَكْمَلِ الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَجْمَلِ
الْخِصَالِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ الْمُتَمَدِّدَةِ مِنَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ.

حَبِيبٌ: إِذَا ابْتَسَمَ تَغْرُبُ شَمْسُ الضُّحَى حَيَاءً.
سَيِّدٌ: ضَحِكُهُ التَّبَسُّمُ، وَمَشِيئُهُ الْهَوِينِيُّ وَنَوْمُهُ
الْإِغْفَاءُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ
أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»⁽¹⁾.
وَمِنْ أَصْحَابِهِ كَعَبُ بْنُ عُجْرَةَ قَالَ: سَلَّمْتُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَكَانَ وَجْهُهُ
يَبْرُقُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَهُ
قِطْعَةً قَمَرٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

حِينَمَا يُقَلِّبُ الْمُسْلِمُ سِيرَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
لَا يَنْقُضِي عَجْبَهُ مِنْ جَوَانِبِ الْعِظَمَةِ وَالْكَمَالِ فِي شَخْصِيَّتِهِ
الْعَظِيمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ جَوَانِبِ تِلْكَ الْعِظَمَةِ ذَلِكَ التَّوَازُنُ وَالتَّكَامُلُ
فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا، وَاسْتِعْمَالُهُ لِكُلِّ وَسَائِلٍ تَأْلِيْفِ الْقُلُوبِ

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

وَفِي جَمِيعِ الظُّرُوفِ وَأَحْلَكِهَا تَجِدُهُ يَسْتَعْمَلُ أَكْبَرَ
الْوَسَائِلِ لِتَأْلِيفِ القُلُوبِ، وَأَكْبَرُهَا تِلْكَ الوَسِيلَةُ الَّتِي
اسْتَعْمَلَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي دَعْوَتِهِ، هِيَ تِلْكَ الحَرَكَةُ
الَّتِي لَا تُكَلِّفُ شَيْئًا، وَلَا تَسْتَعْرِقُ أَكْثَرَ مِنْ لَمَحَةِ بَصَرٍ،
تَنْطَلِقُ مِنَ الشَّفَتَيْنِ لِتَصِلَ إِلَى القُلُوبِ عِبْرَ بَوَابِ العَيْنِ،
فَلَا تَسْأَلُ عَنِ أَثَرِهَا فِي سَلْبِ العُقُولِ، وَذَهَابِ الأَحْزَانِ،
وَتَصْفِيَةِ النُّفُوسِ، وَكَسْرِ الحَوَاجِزِ مَعَ بَنِي الإِنْسَانِ.

تِلْكَ هِيَ الصَّدَقَةُ الَّتِي كَانَتْ تَجْرِي عَلَى شَفَتَيْهِ
الطَّاهِرَتَيْنِ، إِنَّهَا «الابْتِسَامَةُ النَّبَوِيَّةُ» الَّتِي لَمْ تَكُنْ تُفَارِقُ
مُحَيَّا رَسُولِنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، فَلَقَدْ
كَانَ يَتَبَسَّمُ حِينَمَا يُلَاقِي أَصْحَابَهُ، وَيَتَبَسَّمُ فِي مَقَامِ إِنْ
كَتَمَ الإِنْسَانُ فِيهِ غَيْظَهُ فَهُوَ مَمْدُوحٌ فَكَيْفَ بِهِ إِذَا تَبَسَّمَ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ تَبَسُّمُهُ ضَعْفًا حَاشَاهُ بَلْ هُوَ عَيْنُ
القُوَّةِ لَوْ فَفَقِهْنَا، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَبَسُّمُهُ عِنْدَ الفَرَحِ وَعِنْدَ
الرِّضَا فَحَسْبُ، بَلْ كَانَ رَبُّمَا اسْتَعْمَلَ بِسْمَتَهُ فِي تَخْفِيفِ
حَدَّةِ غَضَبِهِ، وَيَنْجَحُ فِي ذَلِكَ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ اللَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ، فَاَنْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَقَ الصَّحْفَةَ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمَّكُمْ، غَارَتْ أُمَّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ، حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَهَا إِلَيَّ اللَّتِي كَسَرْتُ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ اللَّتِي كَسَرَتْهَا»⁽¹⁾.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ زَادَ فِيهَا قَالَ: «كُلُّوا، وَحَبَسَ الرَّسُولَ وَالْقَصْعَةَ، حَتَّى فَرَّغُوا»⁽²⁾.

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: أَهْدَتْ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (5225).

(2) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (3567).

فِي قِصْعَةٍ، فَضْرَبَتْ عَائِشَةُ الْقِصْعَةَ بِيَدِهَا، فَأَلْقَتْ مَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «طَعَامٌ بِطَعَامٍ، وَإِنَاءٌ بِإِنَاءٍ»⁽¹⁾.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أُخْرَى: «أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَزِرَةً بِكِسَاءٍ، وَمَعَهَا فَهْرٌ، فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ فَلَقَتِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: كُلُوا، غَارَتْ أُمَّكُمْ، غَارَتْ أُمَّكُمْ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَحْفَةَ عَائِشَةَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمَّ سَلَمَةَ، وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمَّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ»⁽²⁾.

كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَيْتِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ الصِّدِّيقَةِ بِنْتِ الصِّدِّيقِ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَانَ قَدْ حَضَرَ عِنْدَهُ عَدَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَامَتْ أُمَّنَا تُهَيِّئُ لَهُمْ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1359).

(2) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (3956).

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ هَذَا الْحَالِ إِذْ بِطَارِقٍ يَطْرُقُ الْبَابَ وَإِذْ بِهِ مَرْسُولٌ مِنْ سَيِّدَتِنَا أُمَّ سَلَمَةَ أَرْسَلَتْ مَعَهُ صَحْفَةً أَيْ (طَبَقًا) مِنْ طَعَامٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَىٰ شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَحَبَّةٍ وَتَفَانِي نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي خِدْمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِنَّ لِبَعْضٍ وَتَسْهِيلِ أُمُورِ خِدْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ بَعْضِهِنَّ الْبَعْضُ غَيْرَ أَنَّ أُمَّنَا عَائِشَةَ الْمُحَبَّبَةَ الْمُتَفَانِيَّةُ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ تَغَارُ جِدًّا عَلَىٰ زَوْجِهَا وَهَذَا مِنْ حَقِّهَا فَلَيْسَ زَوْجُهَا رَجُلًا كَبَاقِي الرِّجَالِ، بَلْ زَوْجُهَا مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَهِيَ الْمُدَلَّلَةُ عِنْدَهُ فَعِنْدَمَا أَقْبَلَ الْخَادِمُ وَهُوَ يَحْمِلُ ذَلِكَ الطَّبَقَ وَهُوَ مُقْبِلٌ بِهِ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ ضِيُوفِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَإِذْ بِالسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ تُقْبِلُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْخَادِمِ بِخُطَوَاتٍ سَرِيعَةٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَلْقَتْ مَا فِي يَدِهِ عَلَىٰ الْأَرْضِ فَانكسرَ الطَّبَقُ وَتَبَعَثَرَ مَا فِيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظْرَةَ

المُحِبُّ المَشْفِقُ المُلْتَمِسُ لِلْعُذْرِ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فَأَقْبَلَ
عَلَى الطَّعَامِ يَجْمَعُهُ مِنَ الأَرْضِ وَيَنْظُرُ لِأَصْحَابِهِ وَهُوَ
يَتَسَمَّى، وَيَقُولُ لَهُمْ: «غَارَتْ أُمَّكُمْ غَارَتْ أُمَّكُمْ».

وَهُنَا نَرَى مَشَاهِدَ مُتَعَدِّدَةً لِشَخِصِيَّةِ هَذَا الرَّسُولِ
الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ مِنَ المَحَبَّةِ وَالحِكْمَةِ وَإِقَامَةِ الحُقُوقِ
وَمُرَاعَاةِ الشُّعُورِ وَقَبُولِ الاعْتِدَارِ، فَأَوَّلُ مَا فَعَلَهُ أَنْ
أَقْبَلَ عَلَيْهَا بِكُلِّيَّتِهِ وَأَخَذَ بِالطَّعَامِ يَرْفَعُهُ مِنَ الأَرْضِ وَهُوَ
مُبْتَسِمٌ فَلَمْ يَأْمُرْ أَحَدًا بِجَمْعِ الطَّعَامِ أَوْ تَنْظِيفِ المَكَانِ،
بَلْ بِنَفْسِهِ وَبِيَدِهِ الكَرِيمَتَيْنِ.

وَهَذَا دَلَالَةٌ عَلَى تَوَاضُعِهِ الجَمِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
وَالأَعْجَبُ أَنَّهُ مُبْتَسِمٌ وَابْتِسَامَتُهُ هُنَا لَيْسَتْ ضَعْفًا فَهَوَّ
القَادِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَ غَضَبَهُ وَأَنْ يَتَكَلَّمَ وَيُقِيمَ الحُجَجَ
بِاسْمِ الدِّينِ، وَإِنِّي رَسُولُ اللهِ فَكَيْفَ يُفْعَلُ هَذَا الأَمْرُ
أَمَامِي وَفِي بَيْتِي وَلَكِنَّهُ -رُوحِي لَهُ الفِدَاءُ- ابْتِسَامَتُهُ
عَيْنُ القُوَّةِ وَمَعْنَى الرُّجُولَةِ بَلْ وَالأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ قَدَّمَ
لَهَا العُذْرَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ «غَارَتْ أُمَّكُمْ» ثُمَّ أَقَامَ الحُقُوقَ

فَأَخَذَ مِنْ بَيْتِ أُمِّنا عَائِشَةَ طَبَقًا وَأَعْطَاهُ لِلْخَادِمِ لِيَأْخُذَهُ
لِأُمِّ سَلَمَةَ مَكَانَ الطَّبَقِ الَّذِي كُسِرَ، بَلْ وَوَضَعَ فِيهِ شَيْئًا
مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي صَنَعَتْهُ عَائِشَةُ، وَقَالَ: «إِنَاءٌ بِإِنَاءٍ وَطَعَامٌ
بِطَعَامٍ» صَلَّى اللهُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَالرَّسُولِ الْخَاتَمِ.
وَأَنْتَهتِ الْقَضِيَّةُ فِي وَقْتِهَا وَبَقِيَتْ لَنَا مَعَانٍ نَعِيشُ
بِهَا فِي حَيَاتِنَا لِنَتَعَلَّمَ مَعَانِي الرَّجُولَةِ مِنْ رَسُولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَالْحِكْمَةَ وَكُظْمَ الْغَيْظِ فَهُوَ الَّذِي قَالَ
كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرَعَةِ، إِنَّمَا
الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»⁽¹⁾.

وَنَجِدُهُ أَيْضًا هُوَ الَّذِي كَانَ لَا يَغْضَبُ إِلَّا اللهُ وَعِنْدَمَا
سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذَا
الْحَادِثِ مَاذَا قَالَتْ؟ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
أَلَيْنَ النَّاسِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ رَجَالِكُمْ إِلَّا أَنَّهُ
كَانَ ضَحَّاكًا بَسَّامًا»⁽²⁾.

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (6114)، وَمُسْلِمٌ (2609).

(2) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي مُدَارَاةِ النَّاسِ (152)، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ فِي
مُسْنَدِهِ (1750).

حِينَمَا يُقَلَّبُ الْإِنْسَانُ سِيرَةَ هَذَا النَّبِيِّ يَجِدُ فِيهَا عِلَامَاتِ
 الْعِظَمَةِ وَالْكَمَالِ فِي شَخْصِيَّتِهِ الْعَظِيمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 وَمِنْ جَوَانِبِ تِلْكَ الْعِظَمَةِ ذَلِكَ التَّوَازُنُ وَالتَّكَامُلُ فِي
 أَحْوَالِهِ كُلِّهَا، الرِّضَا وَالغَضَبُ وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ، تَوَازُنٌ
 فِي كُلِّ شَيْءٍ بَلْ هُوَ الْمِيزَانُ وَأَعْمَالُهُ هِيَ الْمِيزَانُ فَهُوَ
 الَّذِي قَالَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا:
 كِتَابَ اللَّهِ، وَأَهْلَ بَيْتِي»⁽¹⁾.

تَبَسُّمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْفَرَحِ وَعِنْدَ
 الرِّضَا فَحَسْبُ، بَلْ كَانَ رَبِّمَا اسْتَعْمَلَ بِسَمْتَهُ فِي تَخْفِيفِ
 حِدَّةِ غَضَبِهِ، وَيَنْجَحُ فِي ذَلِكَ وَلَيْسَ مَعْنَى ابْتِسَامَتِهِ
 ضَعْفٌ، بَلْ هِيَ مِنْ مَعَانِي الْقُدْرَةِ عَلَى إِدَارَةِ الْأُمُورِ بَلْ
 مِنْ سِمَاتِ قُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ وَمَعْنَى مِنْ مَعَانِي الرَّجُولَةِ،
 لَقَدْ ظَلَّتْ ابْتِسَامَتُهُ تُضِيءُ الْمَوَاطِنَ وَالْقُلُوبَ، وَلَمْ
 تَنْطَفِئْ يَوْمًا، بَلْ إِنَّهَا لَمْ تَنْطَفِئْ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.
 يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ

(1) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (319)، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (11131).

تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»⁽¹⁾.

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَا يُحَدِّثُ حَدِيثًا إِلَّا تَبَسَّمَ وَكَانَ مِنْ أَضْحَكِ النَّاسِ وَأَطْيَبِهِمْ نَفْسًا»⁽²⁾.
وَمِنْ كَلَامِهِ وَأَقْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بِسَطِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ»⁽³⁾.

ابْتِسَامَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تُضِيءُ الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ، وَلَمْ يَبْخُلْ بِهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ حَتَّىٰ إِنَّ صَاحِبَهُ آخَرَ مَا رَأَوْهُ مِنْهُ ابْتِسَامَتُهُ فَإِنَّهَا لَمْ تَنْطَفِئْ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ حَتَّىٰ فِي آخِرِ لَحْظَاتِ حَيَاتِهِ، فَبَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فَاجَأَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَمَا كَشَفَ سِتَارَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا لَهُمْ.

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(2) أَخْرَجَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (1/ 136).

(3) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

السَّيِّدُ أَحْمَدُ الطَّائِعِيُّ

فَهَكَذَا عَرَفُوهُ دَائِمًا كَانَتْ تَعْلُو مُحِيَّاهُ تِلْكَ الْإِبْتِسَامَةُ
الْمُشْرِقَةُ الَّتِي أَسْرَ قُلُوبَهُمْ وَنُقُوسَهُمْ بِهَا، وَتَهَافَتَتْ عَلَيْهِ.
أَيُّهَا الْمُحِبُّ:

اجْعَلْ حَيَاتِكَ جَنَّةً وَلْتَبْتَسِمَ لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمُ
وَلْتَقْتَدِي بِالْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى وَكُنْ بَسِيطًا كُنْ رَقِيقًا وَأَنْسِجْ
تَبَسَّمْ.





ابْتِسَامَةُ الرِّضَا

شَوْقِي تَزَايِدَ وَالْفُؤَادُ عَلِيلٌ وَالْعَيْنُ تَبْكِي وَالذُّمُوعُ تَسِيلُ
وَالرُّوحُ أَنْتَ مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِهَا وَالصَّبْرُ عَنْ خَيْرِ الْأَنَامِ قَلِيلُ
إِذْ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ جَمَالِ الْمُصْطَفَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ لِلْقُلُوبِ خَلِيلُ
ذَاكَ الَّذِي أُسِرَ الْفُؤَادُ بِحُبِّهِ ذَاكَ الَّذِي هُوَ لِلْعِبَادِ دَلِيلُ
تَحِيًّا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ بِحُبِّهِ يَا سَعْدَ قَلْبٍ كَانَ فِيهِ نَزِيلُ
لَمَّا تَدَلَّتْ دَمْعِي شَوْقًا لَهُ أَبْصَرْتُ نُورًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلُ

أَحِبَّتِي: حَيَاتِنَا الدُّنْيَا لَا تَسِيرُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ،
نَعِيشُ فِيهَا بَيْنَ سَعَادَةٍ وَشَقَاءٍ، وَيُسِرُّ وَعُسْرٍ، وَفَرَحٍ
وَحُزْنٍ، وَصَفَاءٍ وَكَدَرٍ، وَلِقَاءٍ وَفِرَاقٍ، وَبِدَايَةٍ وَنَهَايَةٍ:
﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وَلِذَا

مُرَافَبَةُ الْقَلْبِ وَالْأَنْفَاسِ لَهَا أَثْرُهَا الْكَبِيرُ عَلَى مُرَاعَاةِ
الْأَدَبِ مَعَ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَمِنْ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ
وَالْمُتَغْيِرَاتِ الَّتِي لَا بُدَّ أَنْ يَحْرِصَ الْعَبْدُ عَلَيْهَا مَقَامُ
الرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِ وَأَحْوَالِهِ وَهَذَا مَقَامٌ شَرِيفٌ

عَرَسَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي نُفُوسِ صَحَابَتِهِ مُنْذُ
بِدَايَةِ الرِّسَالَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَذَلِكَ لِيُنَبِّهَنَا عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ مَهْمَا
تَقَلَّبَ فِي الْأَحْوَالِ فَلَا يُوجَدُ إِلَّا مَقَامٌ وَاحِدٌ يَقِفُ عَلَيْهِ
وَهُوَ مَقَامُ الرِّضَا وَاللَّهُ دَرٌّ مَنْ قَالَ:

رَاضٍ عَنِ اللَّهِ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي رَاضٍ عَنِ اللَّهِ مَهْمَا كَانَ مِنْ رَمَنِي
رَاضٍ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُرْتَجَى فَإِذَا مَا مَسَّنِي الضَّرُّ أَرْضَانِي وَأَكْرَمَنِي
رَاضٍ عَنِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِهِ وَغِنَى وَمَنْ يُلْدُّ بِغَنِيِّ الذَّاتِ فَهُوَ غَنِي
رَاضٍ عَنِ اللَّهِ إِنْ غَضِبْتُ فَلَنْ أُغَيِّرَ الْأَمْرَ أَوْ أُرْتَاخَ مِنْ شَجَنِي

الرِّضَا فِي اللُّغَةِ: ضِدُّ السَّخَطِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ
سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا
أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» (1).

وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: الرِّضَا هُوَ طِيبُ النَّفْسِ بِمَا يُصِيبُهُ

وَيَفُوتُهُ مَعَ عَدَمِ التَّعْيِيرِ.

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3566)، وَأَبُو دَاوُدَ (1427).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: سُرُورُ الْقَلْبِ بِمُرِّ الْقَضَاءِ.
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ اسْتِقْبَالُ الْأَحْكَامِ بِالْفَرَحِ.
وَقَالَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ: سُكُونُ الْقَلْبِ تَحْتَ
مَجَارِي الْأَحْكَامِ.
وَكُلُّهَا تَدُورُ حَوْلَ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَطِيبِ**
النَّفْسِ بِذَلِكَ.
وَالرَّسُولُ الْأَكْرَمُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** تَمَثَّلَ بِهِ تَمَامَ هَذَا
المَقَامِ، وَذَلِكَ يَتَضَحُّ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ صَلَوَاتُ رَبِّي
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَمِنْ أَقْوَالِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فِي الرِّضَا عَنِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَثْنَاءَ دَعْوَتِهِ مَعَ مَا كَانَ يُوَاجِهُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ
مِنَ الْإِعْرَاضِ وَشِدَّةِ الْإِيذَاءِ لَمَّا أُوذِيَ فِي الطَّائِفِ وَأَغْرُوا
بِهِ سُفْهَاءَهُمْ وَصِيبَانَهُمْ فَرَمَوْهُ حَتَّى أَدْمَوْا عَقْبَهُ الشَّرِيفَ،
وَعِنْدَئِذٍ بَعَثَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مَلَكَ الْجِبَالِ وَقَالَ لَهُ: «قَدْ
بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فِيمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ

أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشِيَيْنِ - وَهُمَا جَبَلَا مَكَّةَ الْمَعْرُوفَانَ
بِأَبِي قُبَيْسٍ وَقُعَيْقُعَانَ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِجَبَلِ هِنْدِيٍّ، وَهُمَا
يَكْتَنِفَانِ أَصْلَ مَكَّةَ مِنَ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ - فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ
مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (1).

وَمِنْ أَقْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الرِّضَا عَنِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيمَا يَجْرِي بِهِ الْقَدَرُ فِي سُؤُونَ الْحَيَاةِ عَامَّةً،
وَأَمْثَلُهُ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الرِّضَا كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا:

- رِضَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَبْتَلِيهِ بِهِ فِي الْحَيَاةِ
مِنْ مَتَاعِبِ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْبَنِينَ وَالْأَقَارِبِ فَكَانَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًا رِضَاءً كَامِلًا رَغَمَ مَا نَالَهُ مِنَ
الْأَذَى الَّذِي بَلَغَ مُحَاوَلَةَ قَتْلِهِ.

- رِضَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قِلَّةِ
الْمَالِ حَيْثُ بَلَغَ رِضَاهُ حَدًّا أَنْ جَعَلَ يَدْعُو اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3231)، وَمُسْلِمٌ (1795).

وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا»⁽¹⁾.

- تَحَمَّلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَفَاةَ أَعَزِّ أَهْلِهِ فَرَوْجَتُهُ
خَدِيجَةُ، ثُمَّ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَابْتَتَاهُ رُقَيْيَةُ وَأُمُّ كِلْثُومٍ،
وَأَوْلَادُهُ الذُّكُورُ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ وَفَاةَ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِي
رُزِقَ بِهِ عَلَى كِبَرٍ وَإِذْ بِهِ يُعْلِنُ رِضَاهُ بِذَلِكَ فَيَقُولُ فِيمَا
رَوَاهُ عَنْهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ
يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ
لَمَحْزُونُونَ»⁽²⁾.

- صَبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلِ أَقَارِبِهِ
دِفَاعًا عَنِ دِينِ اللَّهِ فَلَمْ يَتَبَرَّمْ حَتَّى عِنْدَمَا قُتِلَ عَمُّهُ أَسَدُ
اللَّهِ وَرَسُولُهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي اسْتَشْهَدَ بِأُحُدٍ
وَمُثِّلَ بِهِ أَيَّمَا تَمَثِيلٍ، فَلَمْ يَنْلُ هَذَا مِنْ رِضَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
وَمِنْ أَفْعَالِهِ تَعْبِيرًا عَنِ الرِّضَا هَذِهِ الْاِبْتِسَامَةُ الَّتِي كَانَتْ
تُرَوِّحُ عَنْهُمْ وَتُنْعِشُهُمْ وَتُحَفِّزُهُمْ لِعَمَلِ كُلِّ خَيْرٍ فَأَنْتَ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (6460)، وَمُسْلِمٌ (1055) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (1303)، وَمُسْلِمٌ (2315).

عِنْدَمَا تَرَى ابْتِسَامَةَ الرِّضَا عَلَى شَفَةِ مَشَايِخِكَ أَوْ
وَالِدَيْكَ أَوْ زَوْجِكَ أَوْ أَوْلَادِكَ أَوْ أَيِّ شَخْصٍ قَرِيبٍ
لِقَلْبِكَ فَإِنَّ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةَ تَكُونُ حَافِزًا وَدَافِعًا لِيَطْرُقَ كُلُّ
أَبْوَابِ الْخَيْرِ فَكَيْفَ بِابْتِسَامَةِ رِضَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -
فَدَاهُ أَنْفُسَنَا وَأَرْوَاحَنَا-، فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةُ كَثِيرًا
مَا كَانَتْ تَبْدُو عَلَى وَجهِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
مَعَ كُلِّ سُلُوكٍ يَرَاهُ فَيَرْضَى بِهِ، أَوْ يُعْجِبُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَوْ
أَحَدٍ مِمَّنْ مَعَهُ، فَحِينَمَا يَرَى فِقْهًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي دِينِ
اللَّهِ أَوْ يَرَاهُمْ قَدْ اهْتَدَوْا إِلَى أَمْرِ شَرْعِيٍّ بِفَطْرَتِهِمْ كَانَ
يَسْعَدُ وَيُسِّرُ وَيَفْرَحُ وَيَبْتَسِمُ.

لِذَا فَلَا بُدَّ أَنْ نَسْتَمِرَّ فِي الْعَطَاءِ لِأَنَّهُ مَعَنَا وَفِينَا كَمَا قَالَ

اللَّهُ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ [الحجرات: ٧].

لِكِنِّي نَحْظِي بِرِضَاهُ وَنَحْيَا بِابْتِسَامَتِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ

مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ

رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ⁽¹⁾.

ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي سَفَرٍ وَمَرُّوا عَلَى قَبِيلَةٍ عَرَبِيَّةٍ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ طَعَامٌ، يَرِي سَيِّدَنَا أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيُّ وَيَقُولُ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرَةٍ سَافَرُواهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ، فَلَدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ شَيْءٌ، فَاتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لَدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّقُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعَلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفُلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَكَانَمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلْبَةٌ (أَيُّ مَا

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2396)، وَابْنُ مَاجَةَ (4031).

بِهِ وَجَعٌ)، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالِحُوهُمْ عَلَيْهِ،
فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ااقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقِيَ: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى
نَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا
يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا
لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ»، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أَصَبْتُمْ،
اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا» فَضَحِكَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ⁽¹⁾.

حِكْمَةٌ:

وَكَمَا قَالُوا إِذَا ابْتَسَمْتَ فِي وَجْهِ أَحَدٍ فابْتَسَمْ فِي
وَجْهِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ دَخَلْتَ إِلَى قَلْبِهِ، مِنْ دُونِ عَنَاءٍ أَوْ
اسْتِئْذَانٍ.

إِنَّ ابْتِسَامَةَ الرِّضَا حَافِزٌ وَدَافِعٌ قَوِيٌّ لَنَا جَمِيعًا مِنْ
كُلِّ مَنْ نُحِبُّ، وَلِلذَلِكَ حِرْصُنَا عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَانْتِهَاجِ
هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَجْعَلُنَا نَحِيًّا بِتَجَلِّيَاتِ ابْتِسَامَةِ
رِضَاهُ حَتَّى وَإِنْ لَمْ نَرَهُ.

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (2276).

شَوْقِي تَزَايَدَ وَالْفُؤَادُ عَلِيلُ وَالْعَيْنُ تَبْكِي وَالذَّمُوعُ تَسِيلُ
وَالرُّوحُ أَنْتَ مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِهَا وَالصَّبْرُ عَنْ خَيْرِ الْأَنَامِ قَلِيلُ
إِذْ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ جَمَالِ الْمُصْطَفَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ لِلْقُلُوبِ حَلِيلُ
ذَاكَ الَّذِي أُسِرَ الْفُؤَادُ بِحُبِّهِ ذَاكَ الَّذِي هُوَ لِلْعِبَادِ دَلِيلُ
تَحِيَّا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ بِحُبِّهِ يَا سَعْدَ قَلْبٍ كَانَ فِيهِ نَزِيلُ
لَمَّا تَدَلَّتْ دَمْعَتِي شَوْقًا لَهُ أَبْصَرْتُ نُورًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلُ





الْحُبُّ وَالْخَوْفُ

كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى هَادِي الْأُمَمِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلصَّحَابَةِ يَتَسَمُّ
مَلِكَ الْقُلُوبِ بِبِسْمَةِ بَرَّاقَةٍ كُنْ مِثْلَهُ يَا صَاحِبِي وَلْتَبْتَسِمَ
كُنْ مِثْلَهُ مُتَفَائِلًا مُتَبَسِّمًا لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمَ

يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوُ
وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ
بِنَائِهِ، ثُمَّ يَسِيحُ فَيَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

يُحَذِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ مِنَ الْانْجِرَافِ فِي مَزَالِقِ الْحَيَاةِ
الْغَادِرَةِ وَعَدَمِ الْإِخْبَاتِ إِلَيْهَا أَوْ اتِّخَاذِهَا وَطَنًا وَسَكَنًا
وَأَنَّهَا غَادِرَةٌ مَا كَرِهَتْ مَا لَجَأَ إِلَيْهَا أَحَدٌ أَوْ رَجَاهَا مِنْ دُونِ
اللَّهِ إِلَّا خَذَلَتْهُ وَتَخَلَّتْ عَنْهُ فَهِيَ حَقِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ كَحَقَارَةِ
الْمَيْتَةِ عِنْدَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللَّهُ فِتْنَةً لِلْعِبَادِ لِيَرَى
الصَّابِرَ وَالشَّاكِرَ وَالْمُغْتَنِمَ لِأَوْقَاتِهِ لِمَا فِيهِ رِضَا رَبِّهِ
سُبْحَانَهُ، مِمَّنْ عَكَفَ عَلَيْهَا وَأَقَامَ وَأَنَابَ إِلَيْهَا وَمَنْ قَضَى

أَيَّامُهُ وَلَيَالِيَهُ مِنْ أَجْلِهَا، فَلَا يَسْتَوِي الْفَرِيقَانِ عِنْدَ اللَّهِ أَبَدًا،
قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وَأَمَّا مَنْ بَاعَ الدُّنْيَا وَاشْتَرَى الْآخِرَةَ فَهُوَ الْبَصِيرُ
الْمُبْصِرُ الْعَارِفُ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ لِمَ خُلِقَ؟ وَهَذَا حَقٌّ
مَعْلُومٌ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ فَاقِدٌ لِعَقْلِهِ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ
اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا
الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي
النِّسَاءِ»^(١).

وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ التَّحذِيرَاتِ مِنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ
وَمِنْ نَبِيِّ الْهُدَى وَالرَّحْمَاتِ، لَا نَجِدُ إِلَّا قُلُوبًا مَيْتَةً، وَعُقُولًا
مَسْلُوبَةً لِشُغُوفِ أَهْلِهَا بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبَهْرَجَتِهَا الزَّائِفَةِ
الزَّائِلَةِ، خَرَبُوا آخِرَتَهُمْ الْبَاقِيَةَ وَعَمَّرُوا دُنْيَاهُمْ الْفَانِيَةَ، لَقَدْ
أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا وَعِمَارَتُهَا وَالْعَيْشُ فِيهَا وَجَمْعُ الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْكَسْبُ الْحَرَامُ هِيَ الشُّغْلُ الشَّاغِلُ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (21919) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَأَحْمَدُ (11169) وَاللَّفْظُ لَهُ.

الَّذِي مَلَأَ قُلُوبَ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ، بَلْ أَصْبَحَتِ
 الدُّنْيَا هِيَ هَمُّهُمُ الْأَوَّلُ الَّذِي خُلِقُوا مِنْ أَجْلِهِ فِي اعْتِقَادِهِمْ
 الْفَاسِدِ الْبَاطِلِ، فَانْتَشَرَتْ بَيْنَهُمْ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَأَدْوَاؤُهُ،
 فَهِيَ هُوَ الْحَسَدُ وَالْحَقْدُ وَالكَرَاهِيَةُ وَالْبَغْضَاءُ، وَهِيَ هِيَ
 الْغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالشَّحْنَاءُ، وَلِذَا رَبَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 صَحَابَتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى عَدَمِ الرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَإِنَّ
 نَظْرَةَ الصَّحَابَةِ إِلَى الدُّنْيَا كَانَتْ نَظْرَةً عَجِيبَةً جَدًّا، فَقَدْ
 كَانَتْ نَظْرَةً مُتَوَازِنَةً بِشَكْلِ صَحِيحِ صَرِيحٍ، فَهُمْ مِنْ جَانِبٍ
 لَا يُعْطُونَ لَهَا قِيَمَةً تُذَكِّرُ فِي حَيَاتِهِمْ، فَيَتَنَازَلُونَ عَنْهَا
 بِسَهُولَةٍ وَبِبَسَاطَةٍ شَدِيدَةٍ، وَكَأَنَّهَا لَا تُسَاوِي دِرْهَمًا، بَلْ
 وَيَتَسَمُّونَ لِذَلِكَ وَلَا يَخَافُونَ وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى فَوَاتِهَا،
 وَمَعَ ذَلِكَ هُمْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ يَعْمَلُونَ فِيهَا بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ،
 فَيَزْرَعُونَ وَيَتَأَجَّرُونَ وَيَتَكَسَّبُونَ الْمَالَ، وَيَعْمُرُونَ الْأَرْضَ،
 فَكَانَ مِنْهُمْ الْأَغْنِيَاءُ الَّذِينَ لَا تُحْصَى أَمْوَالُهُمْ، وَالْمَلَائِكُ
 الَّذِينَ تَجَاوَزَتْ أَرْضِيهِمْ آفَ الْأَمْتَارِ، فَالدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ
 الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ تَكُنْ غَايَةً وَلَمْ تَكُنْ هَدَفًا، بَلْ كَانَتْ

وَسِيْلَةٌ إِلَىٰ إِرْضَاءِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، وَمَعْبَرًا إِلَىٰ الْآخِرَةِ،
وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ وَسِيْلَةٌ إِلَىٰ تَنْفِيذِ كُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَاللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِإِعْمَارِ الدُّنْيَا، وَلَقَدْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ هَذَا الْفَقْهُ
الْعَمِيْقُ وَالْدَّقِيْقُ عَنِ طَرِيْقٍ مُّعَلِّمِهِمْ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**،
وَمُعَلِّمِ الْبَشَرِيَّةِ أَجْمَعِينَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَوَصَلَ إِلَيْهِمْ
عَنِ طَرِيْقٍ كَلِمَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، وَعَنْ طَرِيْقٍ مَا
نَقَلَهُ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ آيَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَدْ كَانَتْ حَيَاتُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** تَطْبِيقًا
حَيًّا دَقِيْقًا لِكُلِّ كَلِمَةٍ قَالَهَا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**.

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** بَعَثَ
أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَىٰ الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزَيْتَيْهَا، وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** قَدْ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ
عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ
الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَوْا
صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، فَلَمَّا صَلَّىٰ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ انصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمْ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: **أَظُنُّكُمْ
 سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ قَالُوا: أَجَلُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا
 الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ
 عَلَيْكُمْ كَمَا بَسَطْتُ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ فَتَنَافَسُوهَا
 كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ** (1).

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرَ بْنَ
 الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، أَيُّ: ذَهَبَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ
 لِيَأْتِيَ بِالْجَزِيَّةِ، وَالْبَحْرَيْنِ شَرْقُ الْجَزِيرَةِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ
 بِالْبَحْرَيْنِ مَمْلَكَةَ الْبَحْرَيْنِ حَالِيًا، وَكَانَ يَعِيشُ هُنَاكَ
 مَجُوسٌ يَدْفَعُونَ الْجَزِيَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
 فَذَهَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى هُنَاكَ وَأَتَى بِالْجَزِيَّةِ إِلَى رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ
 فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَدِينَةَ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4015)، (6425)، وَمُسْلِمٌ (2961).

الْمُنَوَّرَةُ لَهَا ضَوَّاحٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ ضَاحِيَةٍ فِيهَا مَسْجِدٌ يُصَلِّي النَّاسُ فِيهِ؛ لِأَنَّ بُيُوتَهُمْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، فَلَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ الصُّبْحَ وَالْعِشَاءَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بَلْ كَانُوا يُصَلُّونَهَا فِي مَسَاجِدِهِمْ، وَيَأْتُونَ فَقَطُ فِي الْأُمُورِ الْجَامِعَةِ، أَيُّ: أَنَّهُ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ يَأْتُوا فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ أَوْ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ أَوْ عِنْدَمَا يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِنْفَارٌ لِأَمْرٍ مَا، فَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ سَمِعُوا بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِهِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ انصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ، أَيُّ: أَنَّهُمْ اعْتَرَضُوا لَهُ فِي الطَّرِيقِ وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّاسِ لَيْسَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يُصَلُّوا الصُّبْحَ مَعَهُ فِي مَسْجِدِهِ، فَلَمَّا رَأَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَرَفَ سَبَبَ مَجِيئِهِمْ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -رُوحِي لَهُ الْفِدَا- فِي وُجُوهِهِمْ، وَقَالَ: أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا

عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟ قَالُوا: أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:
فَأَبْشِرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ أَيُّ: أَنَّهُ سَوْفَ يُعْطِيهِمْ مَا
 يَشَاءُونَ، لَكِنْ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ سَيُعْطِيهِمْ دَرَسًا تَرْبَوِيًّا
 فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ، فَهُوَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يَسْتَعِلُّ الْفُرْصَةَ
 لِذَلِكَ، فِي الْبِدَايَةِ ابْتَسَمَ لَهُمْ ابْتِسَامَةً مَمْرُوجَةً بِالْحُبِّ
 وَالْخَوْفِ، وَقَالَ لَهُمْ: **أَبْشِرُوا وَأَمَلُوا، وَمِنْ ثَمَّ أَعْطَاهُمْ**
 الدَّرْسَ، فَقَالَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى**
عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا»،
 أَيُّ: إِنَّ الَّذِي يَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ هُوَ الدُّنْيَا، وَلَوْ بَقُوا فَقَرَاءَ
 فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ عَلَيْهِمْ، لَكِنَّهُ يَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَالِ،
 وَيَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، تَجِدُ الْفُقَرَاءَ مُسْتَرِيحِينَ، لَكِنْ
 الْأَغْنِيَاءَ غَيْرَ مُسْتَرِيحِينَ، فَتَرَاهُمْ يَتَسَاءَلُونَ: بِكُمْ الدُّوَلَارُ
 فِي هَذَا الْيَوْمِ؟ لِمَاذَا النَّاسُ تَطْمَعُ فِيَّ؟ فُلَانٌ هَذَا يُرِيدُ
 أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنِّي، فُلَانٌ أَمْوَالُهُ كَثُرَتْ عَلَى أَمْوَالِي،
 فَكَيْفَ أَنَا فِيهِ؟ كَيْفَ أَضْرِبُ بِهِ فِي السُّوقِ؟ كَيْفَ أَدْفَعُهُ
 مِنْ أَمَامِي؟ كَيْفَ أَتَمَلِّكُ وَأُسَاطِرُ؟ فَالْغَنِيُّ لَا يَسْتَطِيعُ

النَّوْمَ وَلَا الرَّاحَةَ؛ لِأَنَّهُ فِي قَلْقٍ وَحَيْرَةٍ وَهَمٍّ، وَالْفَقِيرُ يَنَامُ فِي الشَّارِعِ وَهُوَ فِي مُنْتَهَى الْأَمَانِ، بَيْنَمَا تَجِدُ الْحَاكِمَ أَوْ السُّلْطَانَ يُحِيطُ بِهِ الْحُرَّاسُ الْكَثِيرُونَ مِنَ الْجُنُودِ وَالْكَتَّابِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَنَامُ وَهُوَ خَائِفٌ، فَهُوَ يَتَلَفَّتُ يَمِينًا وَشِمَالًا، يَا تَرَى هَلْ أَحَدُهُمْ سَيَكِيدُ لِي كَيْدًا؟ هَلْ هُنَاكَ مَنْ يُدَبِّرُ لِي أَمْرًا مَكْرُوهًا لَا تُحَمِّدُ عُقْبَاهُ؟ تَجِدُهُ فِي خَوْفٍ وَجَزَعٍ وَهَمٍّ.

فَهَذِهِ هِيَ الدُّنْيَا، وَانظُرْ إِلَى الْفَقِيرِ كَيْفَ هُوَ فِيهَا، وَانظُرْ إِلَى الْغَنِيِّ كَيْفَ هُوَ فِيهَا أَيْضًا، إِذَنْ: مَا هِيَ السَّعَادَةُ؟ وَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ سَعِيدًا وَهُوَ حَيْرَانٌ كُلُّ هَذِهِ الْحَيْرَةِ، وَقَلِقٌ كُلُّ هَذَا الْقَلْقِ؟

«فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَيَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، مَا الَّذِي سَوْفَ يَحْصُلُ إِنْ بُسِطَتْ عَلَيْنَا الدُّنْيَا؟ تَأَمَّلْ هَذَا الْكَلَامَ الْحَكِيمَ، يَقُولُ: «فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»، فَجِدْ هُنَا

أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَخَافُ عَلَيْنَا مِنَ الدُّنْيَا،
وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّحْذِيرُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بَلْ كَانَ كَثِيرًا جِدًّا؛ فَقَدْ كَانَ كَلَّمَا
جَلَسَ مَعَ الصَّحَابَةِ خَوْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا.

الوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ تَجَاهَ الدُّنْيَا وَدَنَاءَتِهَا أَلَّا يَنْظُرَ
إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، بَلْ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ حَتَّى لَا
يَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَيَقَعُ فِي الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ، أَمَا فِي
أُمُورِ الدِّينِ وَالْآخِرَةِ فَبِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ بِلَا
حِقْدٍ وَلَا حَسَدٍ وَلَا كَرَاهِيَةٍ وَلَا تَقَاطُعٍ وَلَا تَدَاوِيرٍ، فَلَوْ تَرَكَ
النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ مِنْهُمْ لَسَادَ
الْحُبُّ وَالْفَرَحُ وَالْإِخَاءُ، وَلَعَمَّ الْأَمْنُ وَالسَّلَامُ وَالرَّخَاءُ
لَأَنَّ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

[الحديد: ٢١].

نَحْنُ مَا خُلِقْنَا وَمَا وُجِدْنَا عَلَى هَذِهِ الْبَسِيطَةِ إِلَّا
لِعِبَادَةِ الْوَاحِدِ الدِّيَّانِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَبِيَدِهِ خَزَائِنُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَسَابَقَ وَنُسَارِعَ إِلَى

جَنَّةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى، جَنَّةٍ عَرَضَهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ،
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ
الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»⁽¹⁾.

حَقَّقَ الصَّحَابَةُ عِلَاقَةً تَفَاعُلِيَّةً رَائِعَةً مَعَ فَتَاهِمِهِمْ
لِمَعْنَى الدُّنْيَا، وَمُعَادَلَةً صَعْبَةً جِدًّا حَقَّقُوهَا بِسُهُولَةٍ
وَيُسْرٍ، عِنْدَمَا سَارُوا عَلَى مَنَهَجِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

إِنَّ الدُّنْيَا فِي حَقِيقَتِهَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا، وَمِنْ
ثُمَّ فَهِيَ لَا تُسَاوِي عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ شَيْئًا، فَلَا يَجُوزُ
التَّصَارُعُ مِنْ أَجْلِهَا وَلَا المُسَارَعَةُ إِلَيْهَا، وَلَا يَجُوزُ
التَّشَاخُنُ وَالبَغْضَاءُ مِنْ أَجْلِ جُزْءٍ مِنْهَا وَلَوْ كَانَ عَظِيمًا
فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، وَفِي ذَاتِ الْوَقْتِ لَا يَجُوزُ اعْتِرَازُهَا
وَتَرْكُهَا وَإِهْمَالُهَا، وَلَا يَجُوزُ التَّأَخُّرُ فِيهَا، وَلَا يَجُوزُ
تَرْكُهَا غَنِيمَةً فِي أَيِّدِي أَعْدَاءِ الدِّينِ، إِذَنْ: لِنَتَأَمَّلَ كَيْفَ
فَقَّهَ الصَّحَابَةُ هَذَا الْفِقْهَ الْمُسْتَنِيرَ لِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا؟ وَكَيْفَ

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2450)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (7851).

حَقِّقُوا هَذِهِ الْمُعَادِلَةَ الصَّعْبَةَ؟، بَلَّ الْمُسْتَحِيلَةَ فِي أَعْيُنِ
الكَثِيرِينَ.

كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى هَادِي الْأُمَّمِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلصَّحَابَةِ يَتَسِمُ
مَلِكَ الْقُلُوبِ بِبِسْمَةِ بَرَّاقَةٍ كُنْ مِثْلَهُ يَا صَاحِبِي وَلْتَبَسِمُ
كُنْ مِثْلَهُ مُتَفَائِلًا مُتَبَسِّمًا لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمُ





ابْتِسَامَةُ السُّخْرِيَّةِ

وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالشَّمَاتَةِ!

رَسُولٌ عَاشَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلٌ وَمِنْ بَسْمَاتِهِ يُشْفَى الْعَلِيلُ
تَبَسَّمَ لِلْكِبَارِ وَاللِّصَّغَارِ وَعَمَّ سُرُورُهُ فِي كُلِّ جِيلٍ
تَبَسَّمَ حِينَمَا لَقِيَ الصَّحَابَةَ يُؤَدُّونَ الْفَرَائِضَ لِلْجَلِيلِ
تَبَسَّمَ حِينَمَا لَقِيَ الْمَنِيَّةَ وَزَادَ تَبَسُّمًا وَقَتَ الرَّحِيلِ
فَكُنْ مُتَبَسِّمًا مِثْلَ الْمُشَفَّعِ لَعَلَّ اللَّهَ يُورِدُكَ السَّبِيلَ
سَبِيلَ الْمُصْطَفَى خَيْرُ الْبَرَائِا جَمِيلُ الْوَجْهِ ذُو الطَّرْفِ الْكَحِيلِ

مَازَلْنَا عَلَيَّ مَائِدَةَ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ نَسْتَقِي فِي
كُلِّ بَسْمَةٍ خُلِقْنَا سَنِيًّا، وَنَحْنُ الْآنَ بِصَدَدِ الْحَدِيثِ عَنِ
خُلُقِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
عَنْهُ أَشَدَّ النَّهْيِ وَهُوَ خُلُقٌ يَجْعَلُ الْعَبْدَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -
يَسْقُطُ مِنْ نَظَرِ الْحَقِّ عِزِّ وَجَلِّ أَلَا وَهُوَ خُلُقُ السُّخْرِيَّةِ
وَالِاسْتِهْزَاءِ بِخَلْقِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ

قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا

مَنْهَنٌ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَّبِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١].

بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ الْأُسْسَ الَّتِي لَا بُدَّ أَنْ
تَرْسَخَ لِإِقَامَةِ الْمُجْتَمَعَاتِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَجْعَلُ مِنْ
احْتِرَامِ الْإِنْسَانِ وَتَقْدِيرِهِ غَايَةً لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ كَمَا قَالَ
اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

فَالسُّخْرِيَّةُ بِالْخَلْقِ وَالْأَزْدِرَاءُ بِالنَّاسِ وَالْهَمْزُ وَاللَّمْزُ
وَالْتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ مَا هِيَ إِلَّا عَوَامِلٌ لِلْفَسَادِ وَمَعَاوِلٌ لِهَدْمِ
الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ هِيَ الْفُسُوقُ الَّذِي لَا يَنْسَبُ
الْإِيمَانَ الَّذِي يَتَحَلَّى وَيَتَجَمَّلُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ الْبَرَّةُ لَذَا
نَهَى اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنِ هَذِهِ الْعَوَامِلِ الْمُهْلِكَةِ
الْمُكَدَّرَةِ لِصَفْوِ الْمُجْتَمَعِ وَالَّتِي تَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا
تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، وَالْهَدْيُ النَّبَوِيُّ يَأْخُذُ بِأَيْدِينَا وَيَشُدُّ
بِعَضْدِنَا فَعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ
فِي خُطْبَتِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ
عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي

بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» (1).

فَالسُّخْرِيَّةُ: الْاسْتِهْزَاءُ وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَسْخُورِ مِنْهُ
بِعَيْنِ النَّقْصِ وَالْازْدِرَاءِ بِهِ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا بِحُضُورِهِ وَفِي
غِيَابِهِ.

وَاللَّمْزُ: الطَّعْنُ وَالضَّرْبُ بِاللِّسَانِ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى
الْمَعَايِبِ فِي حَضْرَتِهِ، وَيَجْعَلُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْاِحْتِقَارِ.
وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ: التَّدَاعِي بِهَا، وَبَنُو فُلَانٍ يَتَنَابَزُونَ
أَيُّ يَتَدَاعُونَ بِالتَّلْقِيبِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ شَرْعًا.

إِنَّ السُّخْرِيَّةَ وَالْاِسْتِهْزَاءَ لَا يَنْبَغُ أَنْ يَنْبَغُ إِلَّا مِنْ نَفْسٍ
مُلَوَّثَةٍ بِجَرَائِمِ الْعُجْبِ وَالتَّكْبَرِ، فَهِيَ تَعْمَلُ عَلَى إِيْذَاءِ
مَنْ حَوْلَهَا بِدَافِعِ الشُّعُورِ بِالفُوقِيَّةِ الْمُتَغَلِّغَةِ فِي أَعْمَاقِهَا
المَرِيضَةِ.

إِنَّهَا دَاءٌ مِنْ أَدْوَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ يَجِبُ تَجَنُّبُهُ وَالبُعْدُ عَنْهُ،
وَخُصُوصًا عِنْدَ الْمُشَاحِنَةِ وَالْخُصُومَةِ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ
تُفَكِّكَ عُرَى الْمُجْتَمَعِ وَيَكْفِي أَنْهَا مُخَالَفَةٌ صَرِيحَةٌ لِأَمْرِ

(1) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (4403)، وَمُسْلِمٌ (1218).

اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، وَمُبَعَّدَةٌ مِنْ رِضْوَانِهِ سُبْحَانَهُ.

فَالنَّاسُ حِينَ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْعِلْمِ، فَبَعْضُهُمْ أَعْلَمُ
مِنْ بَعْضٍ، وَهُمْ أَيْضًا يَتَفَاضَلُونَ فِي الرِّزْقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ
بُسِطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَهُمْ
يَتَفَاضَلُونَ فِي الْأَخْلَاقِ، فَمِنْهُمْ ذُو الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ
الْعَالِيَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو ذَلِكِ، وَهُمْ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْخَلْقَةِ،
مِنْهُمْ السَّوِيُّ الْخَلْقَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ذُو ذَلِكِ، وَيَتَفَاضَلُونَ
كَذَلِكَ فِي الْحَسَبِ، مِنْهُمْ مَنْ هُوَ ذُو حَسَبٍ وَنَسَبٍ،
وَمِنْهُمْ ذُو ذَلِكِ، فَهَلْ يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْحَرَ مِمَّنْ ذُوهُ
فِي الْعِلْمِ أَوْ الْمَالِ، أَوْ الْخُلُقِ، أَوْ الْخَلْقَةِ، أَوْ الْحَسَبِ، أَوْ
النَّسَبِ؟ أَلَيْسَ الَّذِي أَعْطَاكَ الْفَضْلَ هُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي
حَرَمَهُ هَذَا فِي تَصَوُّرِكَ فَلِمَاذَا السُّخْرِيَّةُ إِذَنْ؟ وَلِهَذَا قَالَ

اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

رُبَّ سَاخِرٍ الْيَوْمَ مَسْخُورٌ مِنْهُ فِي الْغَدِ، وَرُبَّ
مَفْضُولٍ الْيَوْمَ يَكُونُ فَاضِلًا فِي الْغَدِ، وَهَذَا شَيْءٌ مُشَاهَدٌ،

وَيُرَوَى: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ» (1).

وَقِيلَ أَيْضًا: «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ بِأَخِيكَ فَيُعَافِيهِ اللَّهُ

وَيَبْتَلِيكَ» (2).

وَنَضْرِبُ لِدَلِيلِكَ مَثَلًا مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنْ احْتِقَارِ الْمُسْلِمِ يَعْنِي أَنَّ مُجَرَّدَ وَقُوعِ
الْإِنْسَانِ فِي الْمَعْصِيَةِ هَذَا لَا يَدْفَعُ الْمُسْلِمَ إِلَى أَنْ يَحْتَقِرَهُ
وَأَنْ يَزْدَرِيَهُ.

كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَشْرَبُ الْخَمْرَ كَثِيرًا،
فِيَشْرَبُ الْخَمْرَ ثُمَّ يُوتَى بِهِ فَيُجْلَدُ فَيَرْجِعُ مَرَّةً أُخْرَى،
وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ ثُمَّ يُجْلَدُ فَجِيءَ بِهِ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ
فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَةَ أَنْ يَجْلِدُوهُ، فَقَالَ
أَحَدُ الصَّحَابَةِ: لَعَنَهُ اللَّهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُوتَى بِهِ.

يَعْنِي فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُجْلَدُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ أَلَا يَتَّقِي اللَّهَ،

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2505)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (7244).

(2) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2506)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (6355).

أَلَا يَسْتَحِي مِنْ نَفْسِهِ فَلَعَنَهُ غَضَبًا لِلَّهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ ، قَالَ : « لَا تَلْعَنُهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »⁽¹⁾ ، رَغِمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةَ ، مِنْهُمْ : شَارِبُهَا ، وَهَذَا الصَّحَابِيُّ إِنَّمَا قَالَهَا حَمِيَّةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ عَنْ أَمْرٍ فِي قَلْبِ هَذَا الْإِنْسَانِ بِإِخْبَارِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَإِطْلَاعِهِ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَحَبَّةٌ هَذَا الصَّحَابِيِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

فَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ قَدْ تَرَى أَنْتَ إِنْسَانًا صَاحِبَ مَعْصِيَةٍ وَمُخَالَفَةٍ لِأَمْرِ اللَّهِ فَتَأْخُذُكَ الْحَمِيَّةُ ، فَتَقُولُ كَلِمَةً وَالْأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ هُوَ احْتِقَارُكَ لِهَذَا الْمُسْلِمِ ، وَلِذَا يُحَدِّثُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنْ نَسْقَطَ فِي بَرَاثِنِ هَذَا الْخُلُقِ اللَّعِينِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ، وَضِحْكَ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ مِنْهُ لِيُغْفِرَ لَنَا لِيُحَدِّثَنَا أَنَّ هَذَا النَّوْعَ نُقِلَ عَنْهُ أَوْ عَنْ شَمَائِلِهِ الشَّرِيفَةِ أَنَّهُ صَدَرَ عَنْهُ هَذَا النَّوْعُ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (6780).

مِنَ الضَّحِكِ - حَاشَاهُ - وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَجْبُرُ خَاطِرَ كُلِّ
كَسِيرٍ وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ.

يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ
الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ
حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»⁽¹⁾.

قَدْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]،
فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَكَانَ فِي أُذُنِهِ وَقْرٌ (أَيُّ:
ثِقَلٌ فِي السَّمْعِ)، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ تَفَسَّحُوا لَهُ حَتَّى
يَقْعُدَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِيَسْمَعَ مَا يَقُولُ، فَدَخَلَ
الْمَسْجِدَ يَوْمًا وَالنَّاسُ قَدْ فَرَعُوا مِنَ الصَّلَاةِ وَأَخَذُوا
أَمَاكِنَهُمْ فِي الْجُلُوسِ فَجَعَلَ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ،
وَيَقُولُ: تَفَسَّحُوا تَفَسَّحُوا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ
لَهُ: أَصَبْتَ مَجْلِسًا فَاجْلِسْ، فَجَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ خَلْفَ
ذَلِكَ الرَّجُلِ مُغْضِبًا، فَلَمَّا انْجَلَتِ الظُّلْمَةُ قَالَ ثَابِتٌ: مَنْ
هَذَا؟ قَالَ الرَّجُلُ: أَنَا فُلَانٌ. فَقَالَ ثَابِتٌ: ابْنُ فُلَانَةٍ، ذَكَرَ

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2564).

أَمَّا لَهُ كَانَ يُعَيَّرُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَنَكَسَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ
حَيَاءً وَخَجَلًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ
مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، فَقَالَ ثَابِتُ بْنُ
قَيْسٍ: لَا أَفْخَرُ عَلَىٰ أَحَدٍ فِي الْحَسَبِ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّ قَوْمًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ اسْتَهْزَأُوا
بِبِلَالٍ وَخَبَّابٍ وَعَمَّارٍ وَصُهَيْبٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَسَالِمِ مَوْلَى
حُدَيْفَةَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِيهِمْ، وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سَخِرْنَ مِنْ أُمَّ سَلَمَةَ، وَعَيَّرْنَهَا بِالْقَصْرِ
وَأَشْرَنَ إِلَيْهَا بِأَيْدِيهِنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِنَّ.

وَعَنْ عِكْرَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيِّ
أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنَّ النِّسَاءَ
يُعَيِّرُنِي وَيَقْلُن: يَا يَهُودِيَّةُ بِنْتُ يَهُودِيَّيْنِ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: هَلَّا قُلْتَ إِنَّ أَبِي هَارُونُ، وَعَمِّي
مُوسَى، وَأَنَّ زَوْجِي مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ

الآيَةُ فِي حَقِّهَا وَحَقٌّ مَنْ عَيَّرَهَا وَطَعَنَهَا فِي نَسَبِهَا، نَاهِيَةٌ
عَنْ هَذَا الْأُسْلُوبِ مِنَ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ مِمَّا لَا يَلِيقُ
بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ.

نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ يُؤَدِّي إِلَى
انْقِبَاضِ النَّفْسِ وَانْتِقَاصِهَا، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ حَثَّ
عَلَى الْإِبْتِسَامِ إِلَّا أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْإِبْتِسَامِ وَالضَّحِكِ الَّذِي
يُؤْذِي النَّاسَ جَمِيعًا وَلَيْسَ الْمُسْلِمِينَ فَحَسَبُ.

رَسُولٌ عَاشَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلٌ وَمِنْ بَسْمَاتِهِ يُشْفَى الْعَلِيلُ
تَبَسَّمَ لِلْكِبَارِ وَاللِّصَّغَارِ وَعَمَّ سُرُورُهُ فِي كُلِّ جِيلٍ
تَبَسَّمَ حِينَمَا لَقِيَ الصَّحَابَةَ يُؤَدُّونَ الْفَرَائِضَ لِلْجَلِيلِ
تَبَسَّمَ حِينَمَا لَقِيَ الْمَنِيَّةَ وَزَادَ تَبَسُّمًا وَقَتَ الرَّحِيلِ
فَكُنْ مُتَبَسِّمًا مِثْلَ الْمُشْفَعِ لَعَلَّ اللَّهَ يُورِدُكَ السَّبِيلَ
سَبِيلَ الْمُصْطَفَى خَيْرُ الْبَرَائِا جَمِيلُ الْوَجْهِ ذُو الطَّرْفِ الْكَحِيلِ





البِسْمَةُ الحَادِيَةَ عَشَرَ

ابْتِسَامَةُ النِّفَاقِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ

مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ ابْتَسَمْتَ قَلِيلًا وَصَنَعْتَ فِعْلًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا
 إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ فِي دِينِنَا وَرَأْيُهُ نَحْوَ السَّلَامِ سَبِيلًا
 كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ذَاهِيَةً وَيَفِيضُ بِشْرًا بُكْرَةً وَأَصِيلًا
 يَلْقَاكَ وَالْبَسَمَاتُ تَمَلُّ وَجْهَهُ فَيَسِّرُ قَلْبًا كَانَ قَبْلَ عَلِيلًا

يُقُولُ الْبَارِي فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِعُونَ

اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وَيَقُولُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا

يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ

مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٩ - ١٠].

النِّفَاقُ هُوَ الدَّاءُ الْخَطِيرُ الَّذِي قَدْ يُبْتَلَى بِهِ الرَّجُلُ
 أَوْ الْمَرْأَةُ وَهُوَ لَا يَدْرِي؛ يَتَصَوَّرُ أَنَّهُ يُصْلِحُ وَهُوَ يُفْسِدُ،
 وَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالْكَفْرِ الْمُنْكَرِ،
 وَيَتَصَوَّرُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ وَقَلْبُهُ مَلِيٌّ بِالنِّفَاقِ، مَرَضٌ مِنْ أخطرِ
 الأمراضِ الَّتِي قَدْ يُبْتَلَى بِهَا الْإِنْسَانُ، وَلِخُطُورَةِ هَذَا

الْمَرَضِ تَمَزَّقَتْ قُلُوبُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خَوْفًا مِنْهُ؛ هَذِهِ
الثُّلَّةُ الْمُبَارَكَةُ خَافَتْ عَلَى نَفْسِهَا مِنَ النِّفَاقِ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
«أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ
عَلَى إِيْمَانٍ جَبْرِيْلَ وَمِيكَائِيْلَ»⁽¹⁾.

وَلَكِنْ يَا تَرِي: مَا هُوَ النِّفَاقُ وَمَا هِيَ بِسَمَةِ النِّفَاقِ
وَكَيفَ نَنْجُو مِنْهَا؟

النِّفَاقُ لُغَةً: مَاخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ نَفَقٍ، وَهُوَ السَّرْبُ
وَالْمَسْلَكُ، فَهُوَ مَسْلَكٌ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ مِنْ
جَانِبٍ وَيَخْرُجُ فِي هَذَا النِّفَقِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَهُوَ مَسْلَكٌ
لِلْخُرُوجِ، وَالنَّافِقَاءُ جُحْرُ الضَّبِّ أَوْ الْجَرَبُوعِ، وَسَمِّيَ
الْمُنَافِقُ مُنَافِقًا؛ لِأَنَّهُ يَتَشَابَهُ مَعَ الضَّبِّ وَالْجَرَبُوعِ، فَظَاهِرُ
جُحْرِ الضَّبِّ التُّرَابُ وَبَاطِنُهُ حُفْرَةٌ، فَالضَّبُّ أَوْ الْجَرَبُوعُ
يَجْعَلُ الْمَسْلَكَ الْأَوَّلَ لِجُحْرِهِ تَرَابًا بِحَيْثُ يَخْدَعُ الرَّائِي،

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (1/18).

وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ خَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ، وَظَاهِرُ
الْمُنَافِقِ إِيْمَانٌ وَبَاطِنُهُ كُفْرٌ وَهَذَا هُوَ أَصْلُ التَّسْمِيَةِ، وَهُوَ
الاشْتِقَاقُ اللَّغَوِيُّ لِمَعْنَى النِّفَاقِ، فَالْمُنَافِقُ سُمِّيَ مُنَافِقًا؛
لأنَّهُ يُظْهِرُ غَيْرَ مَا يُضْمِرُ فَظَاهِرُهُ خَيْرٌ وَبَاطِنُهُ شَرٌّ، وَظَاهِرُهُ
صَلَاحٌ وَبَاطِنُهُ فَسَادٌ، وَظَاهِرُهُ سِلْمٌ وَبَاطِنُهُ فُجُورٌ.

وَمِمَّا ابْتَلَيْنَا بِهِ فِي زَمَانِنَا، هُوَ انْتِشَارُ النِّفَاقِ الاجْتِمَاعِيِّ
وَهُوَ مَرَضٌ نَفْسِيٌّ يَعْتَرِي صَاحِبَهُ، يَجْعَلُهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى
التَّعْبِيرِ بِكُلِّ صَرَاحَةٍ عَمَّا فِي دَاخِلِهِ، وَهِيَ صِفَةٌ سَيِّئَةٌ
لِلْغَايَةِ، وَهِيَ مِنَ الظُّوَاهِرِ السَّلْبِيَّةِ الْمُنتَشِرَةِ وَالْآفَاتِ
الاجْتِمَاعِيَّةِ الْخَطِيرَةِ، الَّتِي تَتَفَشَّى وَتَتَفَاقَمُ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا،
وَبِالنَّظَرِ إِلَى هَذَا الْمَرَضِ الاجْتِمَاعِيِّ الْخَطِيرِ، وَالَّذِي
يَفْتِكُ بِقِيَمِ الْمُجْتَمَعِ وَمَبَادِيئِهِ وَحَضَارَتِهِ، وَيُضْعِفُ مِنْ
إِنْتِاجِيَّاتِهِ، وَمَا يَتْرُكُهُ مِنْ آثَارِ ضَارَّةٍ، مَعَ الْأَسْفِ زَادَتْ
هَذِهِ الصِّفَةُ بِشَكْلِ وَاسِعٍ جِدًّا، وَسَادَتْ بِكُلِّ الْحَالَاتِ.

وَمَا يَجْرِي فِي مُجْتَمَعِنَا هُوَ أَمْرٌ مُؤَلِّمٌ وَشَيْءٌ مُحْزِنٌ
وَمُقْلِقٌ، فَقَدْ خَدَعْتَنَا الْمَظَاهِرُ، وَشَدَّتْنَا الْفِتْنَ، وَاسْتَبَدَّتْ

بِالنَّاسِ الْأَنْيَّةُ، وَاخْتَفَتْ رُوحَ الْجَمَاعَةِ، وَتَلَاشَتْ
الْمَحَبَّةُ وَالْمَوَدَّةُ الْخَاصَّةُ، وَغَابَ الْوَفَاءُ، وَاسْتَشْرَى حُبُّ
الْمَالِ، وَبَاتَ النِّفَاقُ أَمْرًا طَبِيعِيًّا، بَيْنَمَا صَارَ الصِّدْقُ
مَرْفُوضًا وَعُمَلَةٌ نَادِرَةً، وَمَنْ يَسْلُكُ طَرِيقَ الْحَقِّ وَيَتَّبِعُ
الصِّدْقَ نَهَجًا فِي عَمَلِهِ وَتَعَامُلِهِ وَسُلُوكِهِ وَأَفْكَارِهِ وَقِيَمِهِ
وَمَبَادِيئِهِ هُوَ إِنْسَانٌ غَرِيبٌ وَشَاذٌ عَنِ الْقَاعِدَةِ، وَلَيْسَ مِنْ
أَبْنَاءِ الْعَصْرِ.

وَلِلْأَسَفِ ظَهَرَتْ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةُ جَرَاءَ هَذَا الْمَرَضِ
إِبْتِسَامَةُ النِّفَاقِ عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا وَهِيَ أَكْثَرُ مَا يَرُوجُ
بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، فَيَبْتَسِمُ هَذَا
لِهَذَا، وَالْقُلُوبُ فِي الْغَالِبِ مَلِيئَةٌ بِنَوْعٍ مِنَ الْبَغْضَاءِ
وَالشَّحْنَاءِ وَالكَرَاهِيَّةِ، لِذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
حَرِيصًا عَلَى التَّحْذِيرِ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ مَرَضٌ قَلْبِيٌّ خَطِيرٌ،
فَلْيَعْلَمْ كُلُّ مَنْ أَنَا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ نَارٍ إِذَا اسْتَشْرَى
هَذَا الْمَرَضِ بِقُلُوبِنَا، لِذَا لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نَنْتَبِهَ جَيِّدًا لِمَا يَصْدُرُ
مِنَّا مِنْ تَصَرُّفَاتٍ فَدِينُنَا لَيْسَ دِينَ وَسَائِطٍ وَمَحْسُوبِيَّاتٍ

وَلَوْ وَاجَهَ كُلُّ مِنَّا هَذَا الْمَرَضَ فَلْيَعَلَمَ أَنَّهُ مِنْ بَابِ
الِاخْتِبَارِ وَالِابْتِلَاءِ لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْحَيْثُ مِنَ الطَّيِّبِ.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«مَثَلُ الْمُنَافِقِ، مَثَلُ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِينَ، تَعِيرُ إِلَى
هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، لَا تَدْرِي أَيَّتَهُمَا تَتَّبِعُ»⁽¹⁾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ
أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»⁽²⁾.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ
مُسْلِمٌ» لِلْمُنَافِقِينَ تَارِيخٌ أَسْوَدٌ مَعَ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ سَيِّدِنَا
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَفِي غَزْوَةِ تَبُوكَ خَطَّطُوا مُخَطَّطًا لَعِينًا لِقَتْلِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَتَوَلَّى الْقِيَادَةَ وَالتَّخْطِيطَ رَأْسُ النُّفَاقِ
فِي الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِي سَلُولٍ وَأَرَادُوا أَنْ يَمِيلُوا

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2784)، وَالنَّسَائِيُّ (5037).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (33)، وَمُسْلِمٌ (107).

بِنَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادٍ مِنَ الْوُدَيَانِ لِيَقْتُلُوهُ لَكِنَّ اللَّهَ أَطْلَعَهُ عَلَى مُخَطَّطِهِمْ الْأَثِمِ وَأَنْجَاهُ مِنْهُمْ؛ وَاخْتَلَفَ رَجُلَانِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ وَنَادَى الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُتِنَةٌ»⁽¹⁾، فَقَالَ رَأْسُ النَّفَاقِ أَوْقَدْ فَعَلُوهَا، ثُمَّ قَالَ هَذَا الْخَبِيثُ: لَا أَجِدُ لَنَا وَلَهُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: سَمَنْ كَلَبَكَ يَا كَلْبَكَ، ثُمَّ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: أَنْتُمْ السَّبَبُ فَتَحْتُمْ لَهُمْ بِلَادَكُمْ وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَوْ أَمَسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَأَيْدِيكُمْ لَرَحَلُوا عَنْ دِيَارِكُمْ وَسَمِعَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَبِيثَةَ وَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ وَاسْتَدَعَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأْسَ النَّفَاقِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي وَسَأَلَهُ، فَقَالَ: كَذَبَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا قُلْتُ قَوْلًا وَلَا كَلِمَةً وَاحِدَةً مِمَّا قَالَهُ لَكَ زَيْدُ ابْنِ أَرْقَمَ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ مَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4905)، وَمُسْلِمٌ (2584).

لِيُصَدِّقَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَيُفْضَحَ الْمُنَافِقِينَ حَيْثُ نَزَلَتْ
سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ تَفْضُحُ أَمْرَهُمْ وَسُوءَ نَوَايَاهُمْ لِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَيَقُولُ الْخَبِيثُ: ﴿يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا
الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ [المنافقون: ٨] لَكِنَّ اللَّهَ قَيَّدَ لَهُ وَلَدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ فِي
الْمَدِينَةِ أَحَدًا أَبْرَّ بِأَبِيهِ مِنِّي، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَنِي
بِقَتْلِهِ لَأَتَيْتُكَ لِكَ بَرَأْسِهِ لِيَعْلَمَ النَّاسُ مِنَ الْأَعْرَضِ وَمَنِ الْأَذَلِّ،
وَانْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ لِيَقْفَ عَلَى طَرِيقِ وَالِدِهِ وَمَنْعَهُ مِنْ دُخُولِ
الْمَدِينَةِ فَصَرَخَ الْخَبِيثُ: يَا لِلْخَزْرَجِ، وَلَدِي عَبْدُ اللَّهِ
يَمْنَعُنِي دَارِي، فَقَالَ لَهُ وَلَدُهُ: وَاللَّهِ لَا يُؤْوِيكَ ظِلُّهَا، وَلَنْ
تَبِيَّتَ فِي دَارِكَ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ لِيَتَعْلَمَ مِنَ الْأَعْرَضِ وَمَنِ
الْأَذَلِّ.

وَيَنْطَلِقُ هُوَ لِأَنَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيُخْبِرُوهُ بِمَا قَالَ وَلَدُهُ،
وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَلِ ائْذَنُ لِأَبِيكَ أَنْ
يَدْخُلَ»، ثُمَّ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بِرَّ أَبَاكَ».

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عُمَرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بِنِ سَلُولٍ لَمَّا تُوْفِي جَاءَ وَلَدُهُ
عَبْدُ اللَّهِ ذَالِكُمُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ الصَّادِقُ الْبَارُّ، جَاءَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ لِيَكْفَنَ فِيهِ وَالِدَهُ ذَلِكَ الْمُنَافِقُ اللَّعِينُ،
وَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاهُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ
وَالصَّفْحِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَطْلُبُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ
اللَّهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُومَ لِيُصَلِّيَ عَلَيَّ
أَبِيهِ، فَيَقُومُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَيَشُدُّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
رِجْلَيْهِ عَنْهُ ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي
رِوَايَةِ «الصَّحِيحِينَ» قَالَ لَهُ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا،
حَتَّى لَا يَقُولَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»، وَيَشُدُّ
عُمَرُ ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَا يُصَلِّيَ
عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: يَقُولُ لَهُ: لَقَدْ فَعَلَ وَفَعَلَ، فَيَقُولُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْنِي يَا عُمَرُ لَقَدْ خَيْرَنِي اللَّهُ

﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَسَأَزِيدُهُ
عَنِ السَّبْعِينَ»، وَعُمَرُ يَقُولُ: فَعَلَ وَفَعَلَ، لَا تُصَلِّ
عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يُصَلِّي نَبِيُّ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ، وَيُنزِلُ اللَّهُ عَلَى
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ
مَاتَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

فَاحْذَرِ يَا حَبِيبِي مِنَ ابْتِسَامَةِ النَّفَاقِ... وَاجْعَلْ
إِمَامَكَ أَمَامَكَ وَأَنْتَ تَبْتَسِمُ فَيَتَّبِعُ كُلُّ النَّاسِ كَمَا كَانَ
يَفْعَلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

فَلَمْ يَطُورِ عَنْ أَحَدٍ بَشْرَهُ، وَكَانَ

يَلْقَاكَ وَالْبَسْمَاتُ تَمْلَأُ وُجْهَهُ فَيَسُرُّ قَلْبًا كَانَ قَبْلَ عَلِيٍّ
كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ذَاهِيَةً وَيَفِيضُ بِشْرًا بُكْرَةً وَأَصِيلًا
مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ ابْتَسَمْتَ قَلِيلًا وَصَنَعْتَ فِعْلًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا
إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ فِي دِينِنَا وَرَأْيُهُ نَحْوَ السَّلَامِ سَبِيلًا



الابْتِسَامَةُ فِي التَّرْبِيَةِ

أَحَبُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْابْتِسَامَةُ ...
وَأَحَبُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَبْتَسِمُ ...
مُبْتَسِمًا فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ . . . لِأَنَّهُ مَنَعَ هَذَا الْحُبِّ،
حِينَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .
تَبَسَّمُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ...
تَبَسَّمُ فِي أَصْعَبِ اللَّحْظَاتِ ...
تَبَسَّمُ حَتَّى فِي سَاعَةِ السَّكَرَاتِ ...
فَابْتَسِمَ كَمَا ابْتَسَمَ الْبَشِيرُ ...
فَالْتَبَسَّمُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ ...
فَبِابْتِسَامَةٍ وَاحِدَةٍ قَدْ تَصْنَعُ التَّغْيِيرَ ...
لِكُلِّ تَعْبِيرٍ عَلامَةٌ وَعَلامَةٌ الْفَرَحِ الْابْتِسَامَةُ ...
فَلْتَبْتَسِمِ فَلرُبَّمَا نِلْتَ السَّعَادَةَ بِابْتِسَامَةٍ ...
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُرَبِّي الْأَجْيَالِ، مُخْرِجُ الْأَبْطَالِ،

وَكَانَ صَحَابَتُهُ لَهُمُ النَّصِيبُ الْأَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ التَّرِيَةِ، فَهُمْ
الَّذِينَ خَالَطُوهُ وَعَاشَرُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَسَبُوا مِنْ
بَرَكَاتِهِ وَأَنْوَارِهِ بِقَدْرِ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ وَصِدْقِهِمْ مَعَهُ وَتَتَبُعِهِمْ
لِأَحْوَالِهِ.

يَا تُرَى كَيْفَ رَبَّى النَّبِيُّ الصَّحَابَةَ؟ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ
رَبَّاهُمْ؟ مَا هُوَ الْهَدَفُ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَعِيشُونَ مِنْ أَجْلِهِ أَوْ
يَمُوتُونَ مِنْ أَجْلِهِ؟ كَيْفَ كَانَتْ تَرْبِيَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ؟

رَسَخَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْكَثِيرَ مِنْ أَوَاصِرِ
التَّرِيَةِ السَّلِيمَةِ دَاخِلَ نُفُوسِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَوَّلَ هَذِهِ
الْأَوَاصِرِ هِيَ الْمَحَبَّةُ وَالْحُبُّ بَابٌ عَظِيمٌ يَدْخُلُ مِنْهُ كُلُّ
خَيْرٍ فَاتَّبَاعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَالْبَاعِثُ فِي النُّفُوسِ هُوَ
الْحُبُّ يَجْعَلُ لِهَذَا الْإِتِّبَاعِ أَثْرًا لَا يَمُحُوهُ الزَّمَانُ، وَلِذَلِكَ
تَمُرُّ السَّنُونَ وَمَا زِلْنَا نَذْكُرُ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ اسْتَقْوَا
مِنْ عَيْنِ الْحُبِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَوَّلَ مَا رَسَخَ فِي
نُفُوسِهِمْ هِيَ الْمَحَبَّةُ، فَجِدْ سَيِّدَنَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَهُ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَاللَّهِ إِنَّكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالِي وَمِنْ أَهْلِي
وَمِنْ وَلَدِي إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: لَا يَا عُمَرُ حَتَّى أَكُونَ
أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ
أَحَبُّ إِلَيَّ حَتَّى مِنْ نَفْسِي»⁽¹⁾.

مَنْ الَّذِي يَقُولُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِنَّهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وَكُلُّنَا يَعْلَمُ مَنْ هُوَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي كَانَ إِذَا سَلَكَ فَجًّا
سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا غَيْرَهُ، هُوَ الْآنَ يَنْطِقُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ
الرَّقِيقَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى رِقَّةِ الْقَلْبِ وَلِينِ الْجَانِبِ، هَذِهِ
لَمَسَاتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَلْبِهِ جَعَلَتْهُ يَنْطِقُ
بِمَا يُخَالِفُ طَبْعَهُ، كَمَا رَبَّاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى
الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ، وَعَلَى أَنْ أَعْظَمَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْفَعُوهُ أَنْ
يُقَدِّمُوا أَرْوَاحَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ عَنِ أَنَسِ
ابْنِ مَالِكٍ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بُسَيْسَةَ
عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عَيْرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ
أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا أَدْرِي

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (6632).

مَا اسْتَشْنَى بَعْضُ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: **إِنَّ لَنَا طَلِبَةَ فَمَنْ
كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا** فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ
فِي ظَهْرَانِهِمْ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **لَا إِلَا
مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا**، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرِ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **لَا يَقْدَمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ
شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **فُومُوا إِلَيَّ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ**، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: **نَعَمْ**،
قَالَ: **بَخٍ بَخٍ**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **مَا يَحْمِلُكَ
عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ**، قَالَ: **لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَةٌ أَنْ
أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا**، قَالَ: **فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**، فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ
قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: **لَيْنَ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ
تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ**، قَالَ: **فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ**

التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ» (1).

كَمَا رَبَّاهُمْ عَلَى الْوُضُوحِ وَالصَّرَاحَةِ لَيْسَ هُنَاكَ
 الْغَازُ وَلَا مُجَامَلَاتٌ وَلَا نِفَاقٌ وَلَا تَقِيَّةٌ (2)، بَلْ وَضُوحٌ
 وَصَفَاءٌ، فَأَبْنَاءُ الصَّحَرَاءِ يَعِيشُونَ بِصَفَاءِ الصَّحَرَاءِ، لَا
 مُجَامَلَةَ وَلَا تَسْتُرٌ، وَإِنَّمَا وَضُوحٌ، كَلِمَةٌ صَادِقَةٌ إِلَى قَلْبٍ
 صَادِقٍ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ يَأْتِي إِلَى الرَّسُولِ الرَّؤُوفِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ لَهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائْذَنْ لِي فِي
 الزِّنَا، فَقَالَ الصَّحَابَةُ: مَهْ مَهْ؟ - أَيُّ: مَاذَا تَقُولُ؟ - فَقَالَ
 لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **أُذْنٌ**، فَاقْتَرَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَبَلُغَةَ الْأَبْوَةِ الْحَانِيَةِ، وَالْأَبْوَةِ الرَّحِيمَةِ
 الرَّؤُوفَةِ - قَالَ لَهُ الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **أَتَرْضَاهُ**
لِأُمَّكَ؟ - أَيُّ: أَتَرْضَى الزِّنَا لِأُمَّكَ؟ - قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ.

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (1901)، وَأَحْمَدٌ (12398).

(2) إِخْفَاءُ الْحَقِّ وَمُصَانَعَةُ النَّاسِ وَالتَّظَاهُرُ بِغَيْرِ مَا يُعْتَقَدُ فِيهِ خَوْفًا مِنَ الْبَطْشِ
 أَوْ الظُّلْمِ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يَرْضَوْنَهُ
لَأُمَّهَاتِهِمْ، أَتَرْضَاهُ لِأَخِيكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ
اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يَرْضَوْنَهُ
لَأَخْوَاتِهِمْ.

أَتَرْضَاهُ لِعَمَّتِكَ؟ أَتَرْضَاهُ لِخَالَاتِكَ؟ وَالشَّابُّ يَقُولُ:
لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ».

وَالْمُعَلِّمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا
يَرْضَوْنَهُ لِخَالَاتِهِمْ وَعَمَّاتِهِمْ وَيَمُدُّ الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ الشَّرِيفَةَ؛ لِيَضَعَهَا عَلَى صَدْرِهِ هَذَا. فَيَقُولُ:
اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَاشْرَحْ صَدْرَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ⁽¹⁾.

فَيُخْرِجُ هَذَا الشَّابُّ -مِنَ الْمَدْرَسَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
الْمُبَارَكَةَ- وَلَا يُوجَدُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَيْهِ
مِنَ الزَّانَا.

كَمَا رَبَّاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى اللَّيْنِ وَالرَّفْقِ

(1) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (7679).

وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ»⁽¹⁾.

وَيَلْزَمُ هَذَا اللَّيْنُ وَالرَّفْقُ مُصَاحَبَةَ ابْتِسَامَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لَهُ فِي جَمِيعِ مَوَاقِفِهِ مَعَ صَحَابَتِهِ لِيَتَعَلَّمُوا مِنْهُ، فَهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْكَرِيمَةِ بِأَيُّهِمْ نَقْتَدِي وَنَهْتَدِي.

قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صَبِيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أَنَسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ⁽²⁾.

(1) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانٍ (551)، وَأَحْمَدُ (13531).

(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2310).

يَأْتِي رَجُلٌ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلَكْتُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: وَمَا أَهْلَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي وَأَنَا صَائِمٌ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اعْتِقْ رَقَبَةً، قَالَ: مَا أَمْلِكُ إِلَّا رَقَبَتِي - وَضَوْحٌ وَصَرَاحَةٌ- قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: صُمْ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ، قَالَ: وَهَلْ أَوْقَعَنِي فِيمَا أَوْقَعَنِي إِلَّا الصِّيَامُ، يَعْنِي: مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكْمَلَ يَوْمًا حَتَّى وَقَعْتُ فَأَصُومُ شَهْرَيْنِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا، قَالَ: عَلَى أَفْقَرِ مِنِّي، يَعْنِي: وَأَنَا فَقِيرٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَطْعِمَ نَفْسِي فَكَيْفَ أَطْعِمُ سِتِّينَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ، فَآتَى مَكْتَلٌ مِنْ تَمْرٍ، أَوْ مِنْ طَعَامٍ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: خُذْهُ وَوَزِّعْهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ فِي الْمَدِينَةِ، قَالَ: عَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا رَجُلٌ أَفْقَرُ مِنِّي، قَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خُذْهُ وَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»⁽¹⁾.

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (1936)، وَمُسْلِمٌ (1111).

وَإِنْ دَلَّتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَلَى شَيْءٍ فَتَدُلُّ عَلَى انْبِسَاطِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ صَحَابَتِهِ وَعَدَمِ خَوْفِهِمْ مِنْهُ حَتَّى
وَإِنْ وَقَعُوا فِي الْمَحْظُورِ.

هَكَذَا كَانَتْ بَسْمَتُهُ كُلُّهَا تَرْبِيَةً.

تَبَسَّمَ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ...

تَبَسَّمَ فِي أَصْعَبِ اللَّحْظَاتِ ...

تَبَسَّمَ حَتَّى فِي سَاعَةِ السَّكَرَاتِ ...

فَابْتَسَمَ كَمَا ابْتَسَمَ الْبَشِيرُ ...

فَالْتَبَسَّمُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ ...

فِابْتِسَامَةٍ وَاحِدَةٍ قَدْ تَصْنَعُ التَّغْيِيرَ ...

لِكُلِّ تَعْبِيرٍ عِلَامَةٌ وَعِلَامَةُ الْفَرَحِ الْابْتِسَامَةُ ...

فَلْتَبَسَّمْ فَلرُبَّمَا نِلْتَ السَّعَادَةَ بِابْتِسَامَةٍ ...





الابْتِسَامَةُ فِي تَرْبِيَةِ الْأَطْفَالِ

تَبَسَّمْ إِنْ أَرَدْتَ الْخَيْرَ وَكُنْ مَرِحًا أَمَامَ الْغَيْرِ
تَبَسَّمْ لَا تَكُنْ قَلِقًا وَبَادِرْ وَاصْنَعِ التَّغْيِيرَ

أَطْفَالُنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَيَكُونُ لِمَشِيهِمْ
عَلَى الْأَرْضِ مَعْنَى وَمَغْزَى وَذَكَرَى خَالِدَةً لِيَوَالِدِنَا وَلِأُمَّةِ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَحْنُ حَمَلْنَاهُمْ رِسَالَةَ
الْإِسْلَامِ يُبَلِّغُونَهَا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ كَابِرًا عَن كَابِرٍ وَيَحْمُونَهَا
مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ وَعُدْوَانِ الطُّغْيَانِ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى
الطَّيِّبِ يُرَبِّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَرَعَمَ أَنَّهُ مُوَكَّلٌ
بِالرِّسَالَةِ وَأَعْبَائِهَا وَانْشَغَالِهِ بِالْفُتُوحَاتِ وَحِمَايَةِ الدَّوَلَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَغْفَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْأَطْفَالِ
وَتَرْبِيَتِهِمْ وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِمْ، بَلْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ
اهْتِمَامِهِ لِيَجْعَلَنَا نَسْتَنَ سُنَّتَهُ فِي تَرْبِيَةِ أَطْفَالِنَا فَلَنْطُوفَ
أَحَبَّتِي فِي اللَّهِ مَعَ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَوَالَاتٍ فِي
تَعَامُلِهِ مَعَ الْأَطْفَالِ لَعَلَّ نَفْحَةً مِنْ عَيْبِرِ لُطْفِهِ وَحِلْمِهِ

تُطِيبُ أَنْفَاسَنَا وَتَشْرَحُ صُدُورَنَا لِسُبُلِ التَّعَامُلِ السَّلِيمِ مَعَ
فَلذَاتِ أَكْبَادِنَا، فَمِنْ بَرِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالطِّفْلِ وَلِيدًا،
وَصَبِيًّا وَيَافِعًا أَنَّهُ يُعَامِلُ كَلًّا بِأَلِيْقٍ مَا يُصْلِحُ حَالَهُ وَيُقِيمُ
خُلُقَهُ وَيُطِيبُ خَاطِرَهُ وَيُدْخِلُ عَلَيْهِ السُّرُورَ، فَلِلْوَلِيدِ
تُحَفَةٌ تُنَاسِبُ سِنَّ مَنْ يَفْتَحُ عَيْنَهُ عَلَى أَطَايِبِ الدُّنْيَا وَلَذَّةِ
الْحَلْوَى، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ
التَّمْرِ جَاؤُوا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَخَذَهُ
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي تَمْرِنَا وَبَارِكْ
لَنَا فِي مَدِينَتِنَا ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ يَرَاهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ
التَّمْرَ» (1).

فَتِلْكَ مُجَلِبَةٌ لِسُرُورِ الْوَلِيدِ، فَإِذَا انْتَهَضَ الصَّبِيُّ كَانَ
الْمَرْحُ وَالْمَلَاعِبَةُ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَقَدْ سَنَّ لَنَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَلَاعِبَةَ الصَّبِيَّانِ وَرِعَايَةَ خَاطِرِهِمْ
كُلَّ الرِّعَايَةِ، حَتَّى لَوْ كُنَّا فِي شُغْلٍ مِنْ أَشْغَالِ الْجَدِّ
وَالْعِبَادَةِ.

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (1373) بِلَفْظِ «بَارِكْ لَنَا فِي تَمْرِنَا».

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَثْبَانِ عَلَيَّ ظَهْرَهُ، فَيَبَاعِدُهُمَا النَّاسُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُمَا، بِأَبِي هُمَا وَأُمِّي مَنْ أَحَبَّنِي فَلِي حُبٌّ هَذَيْنِ»⁽¹⁾.

تَتَأَمَّلُ عِبَارَةَ يُبَاعِدُهُمَا النَّاسُ، فَكَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ وَلَا يَزَالُونَ، عَامَّةُ النَّاسِ وَدَهْمَاؤُهُمْ، -نَسَأَلَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُمُ الْهَدَايَةَ - يُبَاعِدُونَ الْأَطْفَالَ عَنِ مَوَاطِنِ النَّجَاحِ وَالتَّعَلُّمِ وَالتَّنَوُّرِ، وَبِيعَدِهِمْ لِلْأَطْفَالِ عَنِ مَجَالَاتِ الْخَيْرِ يُقَاسُ ابْتِعَادُهُمْ هُمْ عَنِ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَدْيِهِ وَعِنَايَتِهِ النَّمُوذَجِيَّةِ بِالْأَطْفَالِ كَنْزِ الْأُمَّةِ وَجُنْدِهَا الْاِحْتِيَاطِيَّ لِمُسْتَقْبَلِ الْأُمَّةِ، لِكَرِيمِ عِنَايَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطُّفُولَةِ نَرَاهُ وَهُوَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، يَتَحَمَّلُ بَعْضُ أَحْفَادِهِ أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ، لَا يُفْسِدُهُ تَحَمُّلُهُ الْأَطْفَالَ شَيْئًا مِنْ خُشُوعِهِ وَحُضُورِهِ وَمُنَاجَاتِهِ رَبَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ.

(1) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ «6970»، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (397).

هَآ هُوَ ذَا مَشْهَدٍ جَمِيلٍ يَرُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ
 أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا،
 فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ
 فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ
 أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَيَّ سُجُودِي
 فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ، قَالَ
 النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرِي صَلَاتِكَ
 سَجْدَةً أَطَالَتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، وَأَنَّهُ يُوحَى
 إِلَيْكَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ
 ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَّرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»⁽¹⁾.
 السُّجُودُ عِبَادَةٌ وَأَيُّ عِبَادَةٍ، «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ
 مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»⁽²⁾، وَبِهَذَا يَكُونُ

(1) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى (731)، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (27647).

(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (482).

الصَّبْرُ عَلَى الصَّبِيِّ الْمُرْتَحِلِ جَدِّهِ عِبَادَةٌ وَامْتِدَادًا لِعِبَادَةٍ.
فَلْيَنْظُرِ النَّاطِرُ وَلْيَعْتَبِرِ الْمُعْتَبِرُ هَذِهِ الرَّقَّةَ وَهَذَا
التَّلَطُّفَ بِالضَّعِيفِ، لَا كَمَا يَتَخَيَّلُ بَعْضُ الْمُتَشَدِّدِينَ أَنَّ
السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ تَعْتَنَا وَقَسْوَةً.

وَنَرَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَحْتَضِنُ صَبِيَّةً يَلْعَبُونَ وَيَلْزُمُ
وَيَعَانِقُ وَيُقَبِّلُ وَيُشَجِّعُ وَيُوقِدُ الْحَمَاسَ، حَمَاسَ الْمُنَافَسَةِ،
حَمَاسًا يُنَمِّي فِيهِمْ رُوحَ طَلَبِ الْمَعَالِي وَالْمُسَارَعَةِ إِلَيْهِ مَعَ
الْأَقْرَانِ، وَهَكَذَا تُصْنَعُ الرِّجَالُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَنْصَاعُونَ
لِدَعْوَةِ اللَّهِ **جَلَّ جَلَالُهُ** فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ
دَعْوَتَهُ سُبْحَانَهُ **﴿ وَسَارِعُوا ﴾** [آل عمران: ١٣٣] **﴿ سَابِقُوا ﴾** [الحديد:

٢١] **﴿ فَاسْتَبِقُوا ﴾** [البقرة: ١٤٨]، فَيَكُونُوا مِنَ الْفَائِزِينَ السَّابِقِينَ
الْمُقَرَّبِينَ، وَكَذَلِكَ كَانَ جِيلُ الصَّحَابَةِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** خَرِيجِي
هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ النَّبَوِيَّةِ الْفَرِيدَةِ، وَكَذَلِكَ كَانَتِ الْغَايَةُ الَّتِي
اسْتَبَقُوا إِلَيْهَا وَتَنَافَسُوا عَلَيْهَا، فَأَثْنَى اللَّهُ **جَلَّ جَلَالُهُ** عَلَى فِعْلِهِمْ
فِي قَوْلِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾** [المطففين: ٢٦] كَانَ

الْمُرَبِّي الْكَرِيمُ الْحَكِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقِرُّنُ الْفِعْلَ

بِالْقَوْلِ يُخَاطَبُ فِي شَبَابِ الْإِسْلَامِ الْعَاطِفَةَ وَالْعَقْلَ مَعًا
فِيحْتَضِنُ وَيُيَسِّرُ وَيُنذِرُ، فَلِنَقْتَدِي بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
وَلِنَحْتَوِي أَبْنَاءَنَا بِبِسْمَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَسَاسُهَا الْمَحَبَّةُ وَالرَّفْقُ
وَاللِّينُ بِأَبْنَائِنَا.

حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ ابْنُ
لَأْمٍ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رُبَّمَا مَازَحَهُ إِذَا دَخَلَ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ،
فَدَخَلَ يَوْمًا فَوَجَدَهُ حَزِينًا، فَقَالَ: مَا لِأَبِي عُمَيْرٍ حَزِينٌ،
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاتَ نَعِيرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ،
فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ
النُّعَيْرُ» (1).

يَتَنَاوَلُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَيَبَادِرُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ
الزَّاجِرَةِ وَالْعِبَارَةِ الْمُعَلِّمَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (6129)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى (21167)،
وَاللَّفْظُ لَهُ.

أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي
فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كَخُ كَخُ إِرْمٌ بِهَا
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»⁽¹⁾.

تَرْبِيَةٌ أَطْفَالِنَا عَلَى أُسُسِ الْحُبِّ وَالْمَوَدَّةِ يَجْعَلُ
مِنْهُمْ آبَاءً وَأُمَّهَاتٍ صَالِحِينَ، وَمُعَامَلَتُهُمْ بِلَيْنِ الْجَانِبِ
وَعَدَمِ تَكْلِيفِهِمْ مَا لَا يُطِيقُونَ مِنْ أَسْبَابِ رِضَا اللَّهِ فَرَحِمَ
اللَّهُ مَنْ أَعَانَ أَبْنَاءَهُ عَلَى بَرِّهِ.

تَبَسَّمْ إِنْ أَرَدْتَ الْخَيْرَ وَكُنْ مَرِحًا أَمَامَ الْغَيْرِ
تَبَسَّمْ لَا تَكُنْ قَلِقًا وَبَادِرْ وَاصْنَعِ التَّغْيِيرَ



(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (1491)، وَمُسْلِمٌ (1069).



يَمْرُحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا

الْبَدْرُ يَخْجَلُ إِنْ تَبَسَّمَ طَهَ فَشِفَاهُهُ وَاللَّهُ مَا أَحْلَاهَا
وَالشَّمْسُ لَا تَدْرِي أَتَشْرِقُ بَعْدَمَا قَدْ أَبْصَرَتْ نُورًا يَفُوقُ ضِيَاهَا

أَحَبَّتِي فِي اللَّهِ: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:

.[١١٩]

وَهَذَا النِّدَاءُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ أَنَّ تَحَقُّقَ التَّقْوَى
لَا يَتَأْتَى إِلَّا بِتَحَرِّيِ الصِّدْقِ وَمُخَالَطَةِ الصَّادِقِينَ فَالطَّبَعُ
يَسْرِقُ مِنَ الطَّبَعِ لِذَا نَرَى أَنَّ الصِّدْقَ عِمَادُ أَمْرِ اللَّهِ وَبِهِ
تَمَامُهُ وَفِيهِ نِظَامُهُ لِذَا كَانَتْ هُنَاكَ دَرَجَةٌ تَحْصُلُ بِالارْتِقَاءِ
فِي الْعِبَادَةِ تُسَمَّى دَرَجَةَ الصِّدْقِيَّةِ وَهِيَ مَقَامٌ عَظِيمٌ نَالَهُ
سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا وَعَى الْأَمْرَ عَلَى
حَقِيقَتِهِ، لِذَا قَالَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ وُضِعَ إِيمَانُ
أَبِي بَكْرٍ فِي كِفَّةٍ وَإِيمَانُ الْأُمَّةِ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي

بَكَرٍ»⁽¹⁾ فَهَيِّنَا لَكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
وَيَوْضِحْ لَنَا النَّبِيَّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يُصْبِحُ
الْعَبْدُ صَادِقًا فَيَقُولُ: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى
الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا»⁽²⁾.

فَالْتَحَرَّى يُحَدِّثُ التَّخْلِي ثُمَّ التَّحْلِي، وَيُرِينَا
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الْقِيَمَةِ حَتَّى فِي وَقْتِ
الْبَسْطِ وَالْهَزْلِ فَنَرَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَمْزُحُ وَلَا يَقُولُ
إِلَّا صِدْقًا... مَا جَاءَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قَالُوا -أَيُّ
الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا! قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنِّي

(1) هَذَا أَثَرٌ مَوْقُوفٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، وَهُوَ فِي
شُعْبِ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (53)، وَلَفْظُهُ: «لَوْ وُزِنَ إِيْمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيْمَانِ أَهْلِ
الْأَرْضِ لَرَجَحَ بِهِمْ». وَأَخْرَجَهُ كَذَلِكَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي نَوَادِرِ الْأُصُولِ
(633)، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ فِي مُسْنَدِهِ (276/3)، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ
حَنْبَلٍ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (356). وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ مَرْفُوعًا
إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَفِيهِ ضَعْفٌ (201/4)، (260/5).

(2) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ (683).

وَإِنْ دَاعَبْتُمْ فَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا⁽¹⁾.

وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ تَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَهِيَ صِفَةُ مِزَاحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَيَشْرَحُهَا بِقَوْلِهِ: إِنَّ قُلْتَ: قَدْ نُقِلَ الْمِزَاحُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، فَكَيْفَ يَنْهَى عَنْهُ؟

فَأَقُولُ: إِنَّ قَدْرَتَ عَلَيَّ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، وَهُوَ أَنْ تَمَزَحَ وَلَا تَقُولُ إِلَّا حَقًّا، وَلَا تُؤْذِي قَلْبًا، وَلَا تُفْرِطَ فِيهِ، وَتَقْتَصِرَ أحيانًا عَلَى النُّدُورِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ مِنَ الْغَلَطِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَّخِذَ الْإِنْسَانُ الْمِزَاحَ حِرْفَةً يُوَاطِبُ عَلَيْهِ وَيُفْرِطُ فِيهِ، ثُمَّ يَتَمَسَّكَ بِفِعْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْفَلَ عَنِ هَذَا.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ: إِنَّ الْمُدَاعَبَةَ لَا تُنَافِي الْكَمَالَ؛ بَلْ هِيَ مِنْ تَوَابِعِهِ وَمُتَمِّمَاتِهِ إِذَا كَانَتْ جَارِيَةً عَلَى الْقَانُونِ الشَّرْعِيِّ، بِأَنْ تَكُونَ عَلَى وَفْقِ الصِّدْقِ وَالْحَقِّ،

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1990)، وَأَحْمَدُ (8481).

وَيُقَصِّدُ بِهَا تَأْلِيفُ قُلُوبِ الضُّعَفَاءِ وَجَبْرُهُمْ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ وَالرَّفْقُ بِهِمْ، وَمَزَاحُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَالِمٌ مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْأُمُورِ، يَقَعُ عَلَى جِهَةِ النَّدْرَةِ لِمَصْلَحَةِ تَامَّةٍ، مِنْ مُؤَانَسَةِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَهُوَ بِهَذَا الْقَصْدِ سُنَّةٌ، وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِدُّ الْحِيلَ اللُّغَوِيَّةَ فِي دُعَابَتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَأْتِيَ بِالْكَلامِ الَّذِي يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ: مَعْنَى قَرِيبٍ مُتَبَادِرٍ إِلَى الذَّهْنِ، وَمَعْنَى بَعِيدٍ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ، وَيُقَصِّدُ الْمَعْنَى الْبَعِيدَ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى فِي الْبَلَاغَةِ بِالتَّوْرِيَّةِ، وَحَدَّثَ ذَلِكَ مِنْهُ مَعَ صَحَابَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

دُعَابَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِحِيلَةٍ لُغَوِيَّةٍ وَرَدُّ الصَّحَابِيِّ عَلَيْهِ بِالْمِثْلِ، قَدْ يَكُونُ مَنْ يُكَلِّمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُتَّبِعًا فَلَا يَقَعُ فِي خَطَأٍ، وَلَكِنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ مُتَخَلِّصًا مِنْ سُؤَالِهِ أَوْ كَلَامِهِ، وَهَذَا مَا حَدَّثَ مَعَ صُهَيْبٍ وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالتَّشْتِيتِ اللُّغَوِيِّ، إِذْ كَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ صُهَيْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرِيضًا، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُمَازِحُهُ وَيُخَفِّفُ عَنْهُ، وَهَذَا مَا جَاءَ عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ: «قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُبْزٌ وَتَمْرٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **أَذْنُ فِكْلٍ**، فَأَخَذْتُ أَكُلُ مِنَ التَّمْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **تَأْكُلُ تَمْرًا وَبِكَ رَمَدٌ؟** قَالَ: فَقُلْتُ: **إِنِّي أَمْضِعُ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**»⁽¹⁾.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاضِعًا مُنْبَسِطًا مَعَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى اخْتِلَافِ مَنَازِلِهِمْ، فَتَحَكَّى السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّا زَحَتْهُ لِعَجُوزٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَتَقُولُ: **أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ، قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي، فَقَالَ: أَخْبِرُوهَا أَنَّهُ لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾⁽³⁰⁾ **فَجَعَلْنَهُنَّ أَجْكَارًا** ⁽³⁶⁾ **عُرْبًا أَتْرَابًا** ⁽³⁷⁾ [الواقعة: 35 - 37]⁽²⁾.**

يَحْكِي لَنَا أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُدَاعِبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

(1) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (3443)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى (19563).

(2) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ (240).

لِلْأَعْرَابِيِّ الَّذِي طَلَبَ مِنْهُ نَاقَةً يَحْمِلُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ فِي
سَفَرِهِ: يَقُولُ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اسْتَحْمَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي
حَامِلُكَ عَلَى وِلْدِ نَاقَةٍ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَصْنَعُ
بِوِلْدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلُ إِلَّا
النُّوقَ»⁽¹⁾.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلِّمْ يَا نُورًا سُمِّيَتْ مُحَمَّدًا.
الْبَدْرُ يَخْجَلُ إِنْ تَبَسَّمَ طَهَ فَشِفَاهُهُ وَاللَّهُ مَا أَحْلَاهَا
وَالشَّمْسُ لَا تَدْرِي أَتَشْرِقُ بَعْدَمَا قَدْ أَبْصَرْتَ نُورًا يَفُوقُ ضِيَاهَا
تَبَسَّمَ.



(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4998)، وَالتِّرْمِذِيُّ (1991).



سِرُّ التَّعَامُلِ مَعَ الزَّوْجَةِ

زَوْجَاتُهُ قَالَتْ لَنَا قَدْ كَانَ سَهْلًا لَيْنَا
مُتَفَاهِمًا مُتَبَسِّمًا مُتَقَبَّلًا لِحَدِيثِنَا
لَا لَمْ يُعَنَّفْ زَوْجَةً حَاشَاءُ هَذَا نَبِيِّنَا
بَلْ كَانَ دَوْمًا ضَاحِكًا حُلُوءًا وَكَانَ يُعِينُنَا
فَتَشَبَّهُهُوَ بِحَبِيبِكُمْ مَنْ كَانَ سَهْلًا لَيْنَا
وَتَبَسَّمُوا لِلنِّسَائِكُمْ حَتَّى يَعْمَكُمُ الْهَنَا

أَحِبَّتِي الرَّجَالُ: هَذِهِ الْبَسْمَةُ قَدْ تَخُصَّنَا بِقَدْرِ كَبِيرٍ
لَا مِنْ بَابِ النَّقْدِ وَلَكِنْ مِنْ بَابِ الْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ فِي اللَّهِ
وَكُلُّنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ مُتَسَاوُونَ فِي الْمَسْئُولِيَّةِ وَالْأَعْبَاءِ،
لِذَا لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نَقِفَ مَعَ أَنْفُسِنَا مَوْقِفًا صَادِقًا لِأَقَامَةِ يُبُوتِ
يَرْضَى عَنْهَا اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَرَسُولُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَوْلًا
وَفِعْلًا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ**

أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣].

أَحِبَّائِي: بَرِّغِمِ الْمَكَانَةَ الْعَظِيمَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ

الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا رَسُولُنَا الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَتَحْمَلُهُ
لِهِمُومِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِأَكْمَلِهَا، فَإِنَّ رَقَّتْهُ فِي التَّعَامُلِ
مَعَ زَوْجَاتِهِ تَفُوقُ الْوَصْفِ، فَلَا تَعْلَلُ بِمَسْئُولِيَّاتِكَ أَيُّهَا
الزَّوْجُ، وَكُنْ كَمَا كَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
لِتَكُونَ زَوْجَتُكَ كَأُمَّهَاتِنَا الْمُؤْمِنَاتِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ
وَالسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ وَالسَّيِّدَةَ صَفِيَّةَ وَغَيْرَهُنَّ.

وَبِالطَّبَعِ لَا يُمَكِّنُنَا التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ إِلَّا إِذَا اسْتَعْرَضْنَا
الْمَوَاقِفَ الْخِلَافِيَّةَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ،
فَسَنَجِدُ تَصَرُّفَاتِهِ نُمُودًا جَائِزَةً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَهْتَدِيَ
بِهِ حَتَّى يَنَالَ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلِنَرَى مَعًا
كَيْفَ كَانَ حَالُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ مَعَ زَوْجَاتِهِ فِي مُخْتَلَفِ
الْأَحْوَالِ، فَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ كَانَ يَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ زَوْجَاتِهِ
وَيُقَدِّرُهُنَّ، وَيُدَلِّلُهُنَّ فَهِيَ هِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ رُجُوعِهِ
مِنْ إِحْدَى الْغَزَوَاتِ، يَطْلُبُ مِنَ الْقَافِلَةِ أَنْ تَسْبِقَهُ، وَيَقُومُ
بِمُسَابَقَةِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ وَلَيْسَتْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ مَرَّتَيْنِ،
فَبَعْدَ أَنْ كَانَ الْقَائِدُ الْبَاسِلُ فِي الْمَعْرَكَةِ مِنْذُ سَاعَاتٍ،

أَصْبَحَ الزَّوْجَ الْحَانِي الْمِعْطَاءَ مَعَ زَوْجَتِهِ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الْمَسْئُولِيَّاتِ الَّتِي يَتَحَمَّلُهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْسَى حُقُوقَ زَوْجَاتِهِ عَلَيْهِ لَا سِيَّمَا وَزَوْجَتَهُ مَعَهُ فِي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، فَهَذِهِ أُمَّنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صَغِيرَةٌ السِّنِّ كَبِيرَةٌ الْقَدْرِ تَخْرُجُ مَعَ حَبِّهَا لِسَاحَاتِ الْوَعْيِ تَقْفُ مَعَهُ وَنِسَاؤُهُ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ وَهُوَ لَا يَنْسَى مَعْرُوفَهَا وَيُدْخِلُ السَّرُورَ عَلَى قَلْبِهَا، فَيَعَامِلُهَا بِمُنْتَهَى الرَّقَّةِ وَالْحُبِّ وَلَمْ يُقَلِّلْ أَبَدًا مِنْهُنَّ، فَهُوَ الْقَائِلُ فِي حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَكْرَهُنَّ إِلَّا كَرِيمٌ وَلَا يُهَيِّنَنَّ إِلَّا لَيْمٌ»⁽¹⁾ وَقَوْلُهُ أَيْضًا: «النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرَّجَالِ»⁽²⁾.

وَيُسْتَدَلُّ مِنْ حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ أَنَّهُ أَبَدًا لَمْ يُقَلِّلْ مِنْ قِيَمَتِهَا كَمَا هُوَ مَفْهُومٌ عِنْدَ الْكَثِيرِ فَهُوَ يَضَعُهَا فِي مَنْزِلَةِ

(1) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقِ ج 13، ص 312 بِنَحْوِهِ، وَالْأَزْبَعِينِ فِي مَنَاقِبِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ص 109.

(2) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (236)، وَالتِّرْمِذِيُّ (113).

مُسَاوِيَةً لَهُ وَفِي مَكَانَةٍ كَبِيرَةٍ، وَلِمَ لَا؟ فَهِيَ الْأُمُّ وَالزَّوْجَةُ
وَالْأُخْتُ وَالْعَمَّةُ وَالْابْنَةُ وَالْخَالََةُ، وَإِعْلَاءً لِمَكَانَةِ الزَّوْجَةِ،
وَمِنْ أَجْلِ الرَّفْعَةِ مِنْ مَكَانَتِهَا، وَالْحَثُّ عَلَى إِدْخَالِ الْفَرْحَةِ
إِلَى قَلْبِهَا، بَيْنَ الرَّسُولِ لِأُمَّتِهِ أَنَّ اللَّهَ وَاللَّعِبَ مَعَ الزَّوْجَةِ
مِمَّا يَثَابُ عَلَيْهِ الرَّجُلُ، بَلْ لَا يُعَدُّ مِنَ اللَّهِ أَصْلًا: فَفِي
حَدِيثِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
وَجَابِرَ بْنَ عُمَيْرِ الْأَنْصَارِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَرْمِيَانِ فَمَلَّ أَحَدُهُمَا
فَجَلَسَ، فَقَالَ الْآخَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ: «كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ لَغْوٌ وَلَهُوَ إِلَّا أَرْبَعَةٌ
خِصَالٍ: مَشْيٌ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، وَمَلَاعَبَتُهُ
أَهْلَهُ، وَتَعْلِيمُ السَّبَاحَةِ»⁽¹⁾.

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يَرَى فِيهِ بَعْضُ الرَّجَالِ أَنَّ مُجَرَّدَ
ذِكْرِ اسْمِ زَوْجَتِهِ أَمَامَ الْآخَرِينَ يُنْقِصُ مِنْ قِيَمَتِهِ، نَجَدُ
رَسُولَنَا الْكَرِيمَ يُجَاهِرُ بِحُبِّهِ لَزَوْجَاتِهِ أَمَامَ الْجَمِيعِ، فَعَنْ
عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

(1) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى (8891)، وَابْنُ مَاجَهَ (2811).

«أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **عَائِشَةُ**، فَقُلْتُ مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **أَبُوهَا**»⁽¹⁾.

أَحِبَابٌ قَلْبِي: يُؤَكِّدُ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ الزَّوْجَةِ كَفَّ الْأَذَى عَنْهَا فَقَطْ، بَلِ احْتِمَالُ الْأَذَى مِنْهَا، وَالْحِلْمُ عِنْدَ طَيْشِهَا وَغَضَبِهَا اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَتْ أَزْوَاجُهُ تُرَاجِعُهُ الْكَلَامَ، وَتَهْجُرُهُ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، وَرَاجَعَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَتُرَاجِعِينِي؟ فَقَالَتْ: إِنَّ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُرَاجِعُنَهُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَلِيُؤَكِّدَ عَلَى قَدْرِ وَمَكَانَةِ النِّسَاءِ كَانَتْ وَصِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِهِنَّ فِي خِطْبَةِ الْوَدَاعِ حَيْثُ قَالَ: «**اتَّقُوا** اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ»⁽²⁾.

فَأُمَّهَاتُنَا وَزَوْجَاتُنَا وَبَنَاتُنَا أَمَانَةٌ بَيْنَ أَيْدِينَا وَهُنَّ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ **جَلَّ جَلَالُهُ** لِذَا لِنَكْسَبَ رِضَاهُ وَرِضَا حَبِيبِنَا

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3662)، وَمُسْلِمٌ (2384).

(2) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (20695).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَا بُدَّ أَنْ نَتَّقِيَ اللَّهَ فِيهِنَّ وَأَقْلُ مَا يُمَكِّنُ
أَنْ نُطِيبَ بِهِ خَوَاطِرَهُنَّ التَّبَسُّمَ بِحَنَانٍ وَوُدِّ فِي وَجُوهُهُنَّ
كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الْحَيِّبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا
سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتِ
لِعَائِشَةَ لُعْبٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا يَا
عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ
مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى
وَسَطَهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا
هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ
جَنَاحَانِ؟» قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا
أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ»⁽¹⁾.

تَحْكِي السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «دَخَلَ مَجْمُوعَةٌ
مِنْ أَهْلِ الْحَبَشَةِ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4932)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى (8901).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ؟
فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَامَ بِالْبَابِ، وَجِئْتُهُ فَوَضَعْتُ ذَقْنِي عَلَى
عَاتِقِهِ، فَأَسْنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّهِ، قَالَتْ: وَمِنْ قَوْلِهِمْ
يَوْمَئِذٍ: أبا القاسمِ طيبًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
حَسْبُكَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ، فَقَامَ لِي، ثُمَّ
قَالَ: **حَسْبُكَ**. فَقُلْتُ: لَا تَعْجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَتْ: وَمَا
بِي حُبِّ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَبْلُغَ النِّسَاءَ مَقَامَهُ
لِي، وَمَكَانِي مِنْهُ»⁽¹⁾.

هَلْ تَصَوَّرْتَ كَيْفَ كَانَتْ تَقِفُ خَلْفَ النَّبِيِّ لِيَسْتُرَهَا
وَقَدْ وَضَعَتْ ذَقْنَهَا عَلَى عَاتِقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَسْنَدَتْ
وَجْهَهَا إِلَى خَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ وَكَانَتْ تَطْلُبُ مِنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَبْقَى فِتْرَةً أَطْوَلَ، تَقُولُ: وَمَا
بِي حُبِّ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ وَلَكِنْ كَانَ هَدَفُهَا أَنْ تُسْمِعَ النِّسَاءَ
مَكَانَتَهَا عِنْدَهُ... وَمَعَ ذَلِكَ صَبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
عَلَى إِطَالَتِهَا مَحَبَّةً لَهَا وَمُرَاعَاةً لِمَشَاعِرِهَا.

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (454).

بَلَغَتْ رِفْقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الشَّدِيدَةَ مَعَ زَوْجَاتِهِ
أَنَّهُ كَانَ يَخْشَى عَلَيْهِنَّ حَتَّى مِنْ إِسْرَاعِ الْحَادِي فِي
قِيَادَةِ الْإِبِلِ اللَّائِي يَرْكَبْنَهَا، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي سَفَرٍ وَكَانَ هُنَاكَ غُلَامٌ اسْمُهُ
أَنْجَشَةُ يَحْدُو بِهِنَّ (أَيِ بَعْضِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَأُمَّ
سُلَيْمٍ)، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رُؤَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ
سُوقَكَ بِالْقَوَارِيرِ»⁽¹⁾.

مَكَانَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَكَثْرَةُ مَسْئُورِيَّاتِهِ لَمْ
تَكُنْ مَانِعًا بَأَنْ يَكُونَ زَوْجًا مُحِبًّا وَدُودًا عَطُوفًا رَحِيمًا
بِهِنَّ وَهَذِهِ قِمَّةُ الرَّجُولَةِ.

التَّبَسُّمُ بِوَجْهِ الْمَرْأَةِ يَزِيدُ مِنْ أَوْاصِرِ الْمَحَبَّةِ وَيُذِيبُ
أَيَّ اخْتِلَافٍ فِي وَجْهِهِ النَّظَرِ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ وَيُلِينُ
قُلُوبَهُنَّ وَيُسَاعِدُ عَلَى إِقَامَةِ بَيْتِ أَرْكَانِهِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِحْتِرَامِ،
وَمِثْلُ هَذِهِ الْبُيُوتِ يَصْعَبُ هَدْمُهَا لِأَنَّهَا قَامَتْ عَلَى حُبِّ
اللَّهِ وَانْتِهَاجِ مَنْهَجِ الْحَبِيبِ فِي التَّعَامُلِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ لَذَا

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (61499)، وَمُسْلِمٌ (2323).

يَكُونُ الْعَطَاءُ فِيهَا خَالِصًا نَقِيًّا طَيِّبًا صَافِيًّا وَهَذَا هُوَ حَالُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ زَوْجَاتِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَهَذَا هُوَ
سِرُّ تَعَامُلِهِ مَعَهُنَّ.

زَوْجَاتُهُ قَالَتْ لَنَا قَدْ كَانَ سَهْلًا لَيْنَا
مُتَفَاهِمًا مُتَبَسِّمًا مُتَقَبَّلًا لِحَدِيثِنَا
لَا لَمْ يُعَنَّفْ زَوْجَةً حَاشَاهُ هَذَا نَبِيُّنَا
بَلْ كَانَ دَوْمًا ضَاحِكًا حُلُوءًا وَكَانَ يُعِينُنَا
فَتَشَبَّهُهُوَ بِحَبِيبِكُمْ مَنْ كَانَ سَهْلًا لَيْنَا
وَتَبَسَّمُوا لِلنِّسَائِكُمْ حَتَّى يَعْمَكُمُ الْهَنَا





الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

يَقْطَعُ مَلَلَ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ

تَبَسَّمْ إِنْ أَرَدْتَ الْخَيْرَ وَكُنْ مَرِحًا أَمَامَ الْغَيْرِ
تَبَسَّمْ لَا تَكُنْ قَلِقًا وَبَادِرْ وَاصْنَعِ التَّغْيِيرَ

يقولُ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

تَمُرُّ الْحَيَاةُ الزَّوْجِيَّةُ لِأَغْلَبِ النَّاسِ بِالْعَدِيدِ مِنَ
الْأَطْوَارِ، وَاحِدٌ مِنْ أَكْثَرِ هَذِهِ الْأَطْوَارِ شُيُوعًا هُوَ الْمَلَلُ
بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَهُوَ شُعُورٌ يَعْتَبِرُهُ الزَّوْجَانِ مُؤَشِّرًا
خَطِيرًا وَنَذِيرًا كَبِيرًا، وَلَكِنَّ هَذَا الْإِنْدَارَ قَدْ يَكُونُ مُفِيدًا
إِذَا أَدْرَكَ الزَّوْجَانِ أَنَّهُ طَوْرٌ عَابِرٌ يَعْنِي الْحَاجَةَ إِلَى
التَّغْيِيرِ وَالتَّجْدِيدِ فِي نَمَطِ حَيَاتِهِمْ، وَقَدْ تَزْدَادُ فَجْوَةٌ
هَذَا الْإِحْسَاسِ إِذَا كَانَ التَّغْيِيرُ بِإِحْدَى هَذِهِ الْوَسَائِلِ،

وَهِيَ:

- السَّهْرُ الطَّوِيلُ خَارِجُ الْبَيْتِ وَالتَّنَزُّهُ وَالرَّحَلَاتُ
مَعَ الْأَصْدِقَاءِ وَإِهْمَالُ الزَّوْجَيْنِ لِقِيَمَةٍ تَوَاجُدِهِمَا مَعَ
بَعْضِهِمَا الْبَعْضِ.

- عَدَمُ مُشَارَكَةِ كُلِّ مِنْهُمَا اهْتِمَامَاتِ الْآخَرِ،
وَالْاهْتِمَامُ بِأُمُورٍ سَطْحِيَّةٍ تُؤَدِّي لِظُلْمَةٍ قَلْبِيَّهَا فَتَنَشَأُ عَنْ
هَذِهِ الظُّلْمَةِ الطَّاقَةُ السَّلْبِيَّةُ لِكِلَيْهِمَا، وَالتِّي تُؤَدِّي إِلَى
مَزِيدٍ مِنَ النُّفُورِ وَالِابْتِعَادِ عَنْ بَعْضِهِمَا.

- الْانْغِمَاسُ فِي الْعَمَلِ لِسَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ مُرْهَقَةٍ،
اخْتِلَاقُ الْمَشَاكِلِ دَاخِلِ الْبَيْتِ، بَعْضُ الْأَزْوَاجِ يَلْجَأُ
إِلَى إِقَامَةِ عِلَاقَاتٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ أَوْ سُلُوكِ خَاطِيٍّ، بَعْضُهُمْ
يَلْجَأُ لِلزَّوْاجِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَثَالِثَةً فَتَكْبُرُ الْمَشْكِلةُ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ.

وَنَرَى الْآنَ انْتِشَارَ عِيَادَاتِ الْأَطِبَّاءِ النَّفْسِيِّينَ وَالْمُعَلِّمِينَ
الاجْتِمَاعِيِّينَ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي عِلَاجِ مُشْكِلاتِ الزَّوْاجِ،
كَيْفَ يُعْقَلُ هَذَا فِي أُمَّةٍ قَائِدَهَا أَنْجَحُ الرَّجَالِ فِي كُلِّ

جَوَانِبِ الْحَيَاةِ، وَتَرَكَ لَنَا إِرْثًا زَاخِرًا لِكَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ
 مِثْلِ هَذِهِ الْمَشْكَلَاتِ، فَنَحْنُ لَا نَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يُرْشِدُنَا
 مِنَ الْخَارِجِ، بَلْ نَحْتَاجُ لِقُلُوبٍ وَاعِيَةٍ وَعُقُولٍ مُنَوَّرَةٍ
 وَصُدُورٍ صَافِيَةٍ؛ لِكَيْ يَسْتَوْعِبَ كِلَا الزَّوْجَيْنِ بَعْضَهُمَا
 بِكَامِلِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؛ وَلِكَيْ نَسْتَطِيعَ أَنْ
 نُقَدِّرَ هَذَا الشَّرْفَ الْعَظِيمَ وَالتَّكْرِيمَ مِنَ اللَّهِ **جَلَّ جَلَالُهُ**
 بِنِعْمَةِ الزَّوْاجِ وَالْإِنْجَابِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ حَبِيبِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَحْتَاجُ فَقَطْ لِتَصْحِيحِ النِّيَّاتِ، وَكَانَ
 سَلْفُنَا الصَّالِحُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ نِيَّةً عِنْدَ
 الزَّوْاجِ - كَمَا فِي كِتَابِ النِّيَّاتِ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ السَّكْرَانِ
 رَحِمَهُ اللَّهُ - لَوْ اعْتَنَيْنَا بِصِدْقِ النِّيَّاتِ فَلَا نَسْمَعُ عَنْ تِلْكَ
 الْمَشْكَلَاتِ بَيْنَ أَجْدَادِنَا وَأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** فَلْتَتَفَكَّرْ
 وَلْتَتَدَبَّرْ وَلْتَصْلِحْ أَنْفُسَنَا أَوْ لَا قَبْلَ إِصْلَاحِ الْآخَرِينَ وَلِنَنْظُرْ
 بِقُلُوبِنَا إِلَى صُنْعِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وَكَيْفَ كَانَ يَقْطَعُ
 مَلَلَ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ، فَقَدْ كَانَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يَقْطَعُ مَلَلَ
 الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ بِبَعْضِ الْمُزَاحِ لِتَرْفِيهِ عَنْ أَهْلِهِ، فَقَدْ وَرَدَ

أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»⁽¹⁾.

وَمِنْ عَظِيمِ مَحَبَّتِهِ لَهُنَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُشَارِكُهُنَّ الْمَأْكَلَ وَالْمَشْرَبَ وَكَانَ يَخْرُجُ مَعَهُنَّ لِلتَّنَزُّهِ لِزِيَادَةِ أَوْاصِرِ الْمَحَبَّةِ، فَيُرْوَى الْبُخَارِيُّ وَيَقُولُ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ»⁽²⁾.

وَكَانَ يُسَاقُ بَعْضُ زَوْجَاتِهِ فَعَنْ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، وَهِيَ جَارِيَةٌ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: تَعَالِي أَسَابِقُكَ، فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: تَعَالِي أَسَابِقُكَ، وَنَسِيتُ الَّذِي كَانَ وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا عَلَى

(1) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (7327)، وَالتِّرْمِذِيُّ (1162).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (5211)، وَمُسْلِمٌ (2445).

هَذِهِ الْحَالُ؟ فَقَالَ: لَتَفْعَلَنَّ، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: هَذِهِ
بِتِلْكَ السَّبْقَةِ»⁽¹⁾.

هكذا كَانَ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُوجِدُ الْمَحَبَّةَ
وَالتَّغْيِيرَ وَالْأُلْفَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ فَأَنْشَأَ بِيُوتَا
عَلَامَاتٍ نَهْتَدِي بِهَا؛ لِتَكُونَ حَيَاتِنَا نُورًا وَصَفَاءً وَهُدًى.
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ
ثُمَّ أَنَاوَلُهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ
فِيٍّ فَيَشْرَبُ، وَاتَّعَرَّقَ الْعَرَقُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أَنَاوَلُهُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَيَّ مَوْضِعَ فِيٍّ»⁽²⁾.

وَكَثِيرًا مَا يَحْلُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ
زَوْجَاتِهِ، وَيَقَابِلُ جَفَوْتَهُنَّ بِصَدْرِ رَحِبٍ، وَبَشَاشَةٍ وَحُبٍّ، فَقَدْ
اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ
صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًّا، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ:
لَا أَرَاكَ تَرْفَعِينَ صَوْتَكَ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

(1) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى (8894)، وَأَبُو دَاوُدَ (2578).

(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (300).

فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَحْجِزُهُ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: «كَيْفَ رَأَيْتَنِي أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ» فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ فَعَلْنَا، قَدْ فَعَلْنَا»⁽¹⁾.

وَالنَّاطِرُ إِلَى سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَجِدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُقَدِّرُ أَرْوَاجَهُ حَقَّ التَّقْدِيرِ، وَيُؤَلِّمُهُمْ عِنَايَةً فَائِقَةً وَمَحَبَّةً لَائِقَةً، فَكَانَ نِعْمَ الزَّوْجِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فَقَدْ وَرَدَ فِي الشَّمَائِلِ: كَانَ يُقَاسِمُهُمْ أَعْمَالَ الْبَيْتِ، فَكَانَ يُقِمُّ الْبَيْتَ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ، وَيَقُومُ فِي خِدْمَةِ أَهْلِهِ، وَبَسْمَتُهُ لَا تُفَارِقُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(1) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (8441)، وَأَبُو دَاوُدَ (4999).

السَّيِّدُ أَحْمَدُ الطَّلْحِيُّ

تَبَسَّمَ إِنْ أَرَدْتَ الْخَيْرَ وَكُنْ مَرِحًا أَمَامَ الْغَيْرِ
تَبَسَّمَ لَا تَكُنْ قَلِقًا وَبَادِرِ وَأَصْنَعِ التَّغْيِيرَ
تَبَسَّمَ.





الْعَدَالَةُ فِي بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ

مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ ابْتَسَمْتَ قَلِيلًا وَصَنَعْتَ فِعْلًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا
إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ فِي دِينِنَا وَرَأْيُهُ نَحْوَ السَّلَامِ سَبِيلًا
كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ذَاهِيَةً وَيَفِيضُ بِشْرًا بُكْرَةً وَأَصِيلًا
يَلْقَاكَ وَالْبَسْمَاتُ تَمْلَأُ وُجْهَهُ فَيَسِّرُ قَلْبًا كَانَ قَبْلَ عَلِيلًا

الْعَدْلُ مِنَ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا
الْإِسْلَامُ، وَجَعَلَهَا مِنْ مُقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْأُسْرِيَّةِ
وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ إِقَامَةَ الْقِسْطِ -
أَي الْعَدْلِ - بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَهْدَافِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةِ
كُلِّهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وَلَيْسَ ثَمَّةَ تَنْوِيهِ بِقِيَمَةِ الْقِسْطِ أَوْ الْعَدْلِ أَعْظَمَ مِنْ
أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ مِنْ إِرْسَالِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
رُسُلَهُ، وَإِنْزَالِهِ كُتُبَهُ؛ فَبِالْعَدْلِ أَنْزَلَتْ الْكُتُبُ، وَبُعِثَتْ
الرُّسُلُ، وَبِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَحَقِيقَةُ الْعَدْلِ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ عَلَى
الْأَرْضِ، بِهِ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ حَقُّهُ، وَيُنْصَفُ الْمَظْلُومُ مِمَّنْ
ظَلَمَهُ، وَيُمْكِنُ صَاحِبُ الْحَقِّ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى حَقِّهِ مِنْ
أَقْرَبِ الطُّرُقِ وَأَيْسَرِهَا، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْقِيَمِ الَّتِي تَنْبِثُ
مِنْ عَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ فِي مُجْتَمَعِهِ؛ فَلِجَمِيعِ النَّاسِ فِي
مُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِ حَقُّ الْعَدَالَةِ وَحَقُّ الْإِطْمِئْنَانِ إِلَيْهَا.

أَحَبَّتِي: فِي ظِلِّ الْأَجْوَاءِ الْقَاتِمَةِ الَّتِي سَادَتِ الْجَزِيرَةَ
العَرَبِيَّةَ، وَانْتَشَارَ صُورَ الْعُدْوَانِ وَاللَّوَانِ الظُّلْمِ الَّتِي مُورِسَتْ
ضِدَّ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ الْخَاتِمَةُ لِتُخْرِجَ
النَّاسَ مِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدَالَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ خَيْرَ
كُتُبِهِ وَبَعَثَ خَيْرَ رُسُلِهِ لِيُقِيمَ الْعَدْلَ وَيُرْسِيَ دَعَائِمَ الْحَقِّ،
لِتَعُودَ الْحُقُوقُ إِلَى أَصْحَابِهَا، وَيَشْعُرَ النَّاسُ بِالْأَمْنِ
وَالْأَمَانِ فَكَانَ الْعَدْلُ مِنَ الْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ وَالشَّمَائِلِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنَشَأَ عَلَيْهَا،
عَدْلٌ وَسِعَ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَالصَّدِيقَ وَالْعَدُوَّ، وَالْمُؤْمِنَ
وَالْكَافِرَ، عَدْلٌ يَزِنُ بِالْحَقِّ وَيُقِيمُ الْقِسْطَ، بَلْ وَيَحْفَظُ

حُقُوقِ الْبَهَائِمِ وَالْحَيَوَانَاتِ، إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ يَطْلُبَ مِنَ
الْآخَرِينَ أَنْ يَقْتَصُوا مِنْهُ خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ قَدْ لَحِقَهُمْ حَيْفٌ
أَوْ أذى، وَهُوَ أَبْلَغُ مَا يَكُونُ مِنْ صُورِ الْعَدْلِ، وَمِنْ دَاخِلِ
بَيْتِ النُّبُوَّةِ تَبَرُّزُ صُورٍ أُخْرَى لِلْعَدَالَةِ النَّبَوِيَّةِ، خُصُوصًا مَعَ
وُجُودِ الْخِلَافِ الطَّبِيعِيِّ وَالْغَيْرَةِ الْمَعْرُوفَةِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ
(الضَّرَائِرِ)، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَهْدَتْ
بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ طَعَامًا فِي قِصْعَةٍ،
فَضْرَبْتُ أُمَّنَا عَائِشَةَ الْقِصْعَةَ بِيَدِهَا فَأَلْقَتْ مَا فِيهَا، فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: طَعَامٌ بِطَعَامٍ، وَإِنَاءٌ بِإِنَاءٍ»⁽¹⁾.

كَذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَقَدَ الْعَزْمَ عَلَى
السَّفَرِ وَالْمَسِيرِ اخْتَارَ مَنْ تَذَهَبَ مَعَهُ بِالْقُرْعَةِ، كَمَا
تُرْوَى ذَلِكَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ وَتَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ فِي سَفَرٍ أَقْرَعَ بَيْنَ
نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا .

يَقُولُ الْإِمَامُ الْمُنَاوِيُّ مُعَلِّقًا: «أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ»

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

تَطِيبًا لِنَفْسِهِنَّ، وَحَذَرًا مِنَ التَّرَجِيحِ بِلا مُرَجِّحِ عَمَلًا بِالْعَدْلِ فَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَتْ أُمُّنَا السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ «لَا يُفْضَلُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ يَأْتِي إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَيَّ الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتُ عِنْدَهَا»⁽¹⁾.

وَلَمْ يَكُنْ يَتَغَيَّرُ حَالُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَدْلِ تَبَعًا لِتَغْيِيرِ أَحْوَالِهِ سَفَرًا وَحَضْرًا، بَلْ لَقَدْ كَانَ يَعْدِلُ فِي سَفَرِهِ كَمَا يَعْدِلُ فِي حَضْرِهِ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، قَالَتْ: وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَبَغِي بِذَلِكَ رِضًا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»⁽²⁾.

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (2135)، وَأَحْمَدُ (24765).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (2593).

وَكَانَ مِنْ عَدْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُنَّ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
تَزَوَّجَ ثَبِيًّا أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا لِإِيْنَسِهَا، ثُمَّ يُقَسِّمُ لَهَا كَسَائِرِ
نِسَائِهِ، كَمَا رَوَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، وَقَالَ لَهَا: «إِنَّهُ لَيْسَ بِكَ عَلَى أَهْلِكَ
هَوَانٌ، إِنْ شِئْتَ سَبَعْتُ لَكَ (أَي: أَقَمْتُ عِنْدَكَ سَبْعًا)
وَإِنْ سَبَعْتُ لَكَ سَبَعْتُ لِنِسَائِي»⁽¹⁾.

وَلَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْحَالُ فِي عَدْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
لَمْ يُفَرِّطْ فِيهِ حَتَّى فِي مَرَضِ مَوْتِهِ، حَيْثُ كَانَ يُطَافُ بِهِ
عَلَيْهِنَّ فِي بُيُوتِهِنَّ كُلِّ وَاحِدَةٍ فِي نَوْبَتِهَا.

تُرْوِي لَنَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي
مَاتَ فِيهِ: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَأَذِنَ لَهُ
أَزْوَاجُهُ أَنْ يَكُونَ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى
مَاتَ عِنْدَهَا، قَالَتْ: فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (1460).

فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللَّهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي
وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي.

وَعَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِخَزِيرَةٍ⁽¹⁾ طَبَخْتُهَا لَهُ فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ وَالنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقُلْتُ لَهَا: كُلِّي فَأَبَتْ فَقُلْتُ:
لَتَأْكُلَنَّ أَوْ لَأَلْطَخَنَّ وَجْهَكَ فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي
الْخَزِيرَةِ فَطَلَيْتُ بِهَا وَجْهَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
فَوَضَعَ فِخْذَهُ لَهَا وَقَالَ لِسَوْدَةَ الطَّيْحِي وَجْهَهَا فَلَطَّخَتْ
وَجْهِي فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَيضًا، فَمَرَّ عُمَرُ
فَنَادَى يَا عَبْدَ اللَّهِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَظَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
سَيَدْخُلُ، فَقَالَ: قَوْمًا فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَا
زِلْتُ أَهَابُ عُمَرَ لِهَيْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُ»⁽²⁾.

(1) لَحْمٌ يُقَطَّعُ قِطْعًا صَغِيرًا ثُمَّ يُطَبَّخُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ وَمِلْحٍ، فَإِذَا اكْتَمَلَ نُضِجُهُ ذُرَّ
عَلَيْهِ الدَّقِيقُ وَعُصِدَ بِهِ، ثُمَّ أُدْمَ بِأَدَامٍ مَا.

(2) أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ فِي مُسْنَدِهِ، (4476) وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي
مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ، وَقَالَ: رَجَالُهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ خَلَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ
عَلْقَمَةَ، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ، (7683).

قَوْلُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ مَا سُئِلَتْ: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَلَ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَلَيْنَ النَّاسِ، بَسَامًا ضَاحِكًا، لَمْ يُرَ قَطُّ مَادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَمَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَمَالِ الْعَدْلِ بَيْنَ نِسَائِهِ فِي كُلِّ مَا يَقْدُرُ عَلَيْهِ مِمَّا هُوَ (فِي يَدِهِ) فَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كَانَ يَعْتَذِرُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيمَا لَا يَقْدُرُ عَلَيْهِ مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنْ نِطَاقِ التَّكْلِيفِ، كَمَا قَالَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُقَسِّمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تُلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ»⁽¹⁾.

وَهُوَ يَعْنِي بِذَلِكَ الْقَلْبَ كَمَا فَسَّرَهُ بِهِ أَبُو دَاوُدَ، وَقِيلَ: يَعْنِي الْحُبَّ وَالْمَوَدَّةَ، كَمَا فَسَّرَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْقِسْمَةَ الْحَسِّيَّةَ قَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُوفِّي بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلَ لِأَنَّهَا بِيَدِهِ، لَكِنَّ الْقَلْبَ بِيَدِ اللَّهِ، وَقَدْ جَعَلَ فِيهِ حُبَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا،

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1140)، وَابْنُ مَاجَهَ (1971).

وَذَلِكَ خَارِجٌ عَنِ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَضْرَعُ
إِلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَلُومَهُ عَلَى مَا لَيْسَ بِيَدِهِ، مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ الْقَلْبِيَّ
لَا يَجِبُ الْعَدْلُ فِيهِ، وَإِنَّمَا الْعَدْلُ فِي الْمَيِّتِ وَالنَّفَقَةِ.

هَذَا هُوَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
وَهَذِهِ جَوَانِبُ مِنْ سِيرَتِهِ الْعَطْرَةَ مَحْفُوظَةٌ فِي ذَاكِرَةِ
التَّارِيخِ وَفِي ضَمِيرِ الْبَشَرِيَّةِ، شَاهِدَةٌ عَلَى قِسْطِهِ وَعَدْلِهِ
مَعَ زَوْجَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ.

انْتَقَلَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَوَارِ
رَبِّهِ وَتَرَكَ لَنَا مَنَهْجًا سَوِيًّا فِي إِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي نُفُوسِنَا
أَوَّلًا، ثُمَّ بَمَنْ نَعُولُ وَأَنَّ خِلَافَةَ اللَّهِ لَنَا عَلَى أَرْضِهِ تَقْتَضِي
إِقَامَةَ عَدْلِهِ وَالسَّيْرَ عَلَى نَهْجِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
وَأَنَّ مِنْ أَوْلِيَّاتِ إِقَامَةِ الْعَدْلِ إِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي بُيُوتِنَا مَعَ
زَوْجَاتِنَا، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ إِعَانَتِهَا عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاحِ
دَاخِلَ نَفْسِهَا، وَأَيُّ فَضْلٍ وَأَيُّ أَجْرٍ يُمَكِّنُ أَخْذَهُ عِنْدَ
إِعَانَتِهَا عَلَى الْخَيْرِ فِي نُفُوسِنَا لِنَلْقَى اللَّهَ بِقُلُوبٍ

السَّيِّدُ أَحْمَدُ الطَّلْحِيُّ

مُطْمَئِنَّةٍ رَاضِيَةٍ وَأُذَكَّرُكُمْ أَنَّ أَقْلَ مَقَامٍ بِالْإِهْتِمَامِ بِهِنَّ هُوَ
التَّبَسُّمُ فِي وُجُوهِهِنَّ.

مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ ابْتَسَمْتَ قَلِيلًا وَصَنَعْتَ فِعْلًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا
إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ فِي دِينِنَا وَرَأْيُهُ نَحْوَ السَّلَامِ سَبِيلًا
كَانَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ذَاهِيَةً وَيَفِيضُ بِشْرًا بُكْرَةً وَأَصِيلًا
يَلْقَاكَ وَالْبَسَمَاتُ تَمَلَأُ وُجُوهَهُ فَيَسُرُّ قَلْبٌ كَانَ قَبْلُ عَلِيلًا





هَدْيُ النَّبِيِّ فِي تَرْبِيَةِ بَنَاتِهِ

حَفِظَ الْإِسْلَامُ لِبَنَاتِ حُقُوقَهَا وَأَنْزَلَهَا الْمَنْزِلَةَ اللَّائِقَةَ
بِهَا، وَوَعَدَ مَنْ يَرْعَاهَا وَيُحْسِنُ إِلَيْهَا بِالْأَجْرِ الْجَزِيلِ،
وَجَعَلَ حُسْنَ تَرْبِيَتِهَا وَرِعَايَتِهَا وَالنَّفَقَةَ عَلَيْهَا سَبَبًا مِنْ
الْأَسْبَابِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ، وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ
يَكُونَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَبًا لِعَدَدٍ مِنَ الْبَنَاتِ
لِيَكُونَ الْقُدْوَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِيَمَا يَنْبَغِي لِبَنَاتِ مِنْ حُقُوقِ
وَمَكَانَةِ لَائِقَةٍ أَقْرَبَهَا لَهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ الْحَنِيفُ، فَأَبُوهُ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِبَنَاتِهِ حَدَثٌ جَدِيدٌ فِي حَيَاةِ
الْمَرْأَةِ، وَفِي هَذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ إِنْ
كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ
مَا أَنْزَلَ وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ»⁽¹⁾.

وَقَدْ كَانَ الْعَرَبِيُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَرَقَّبُ الْأَوْلَادَ لِلْوُتُوفِ
إِلَى جَانِبِهِ وَمُسَانَدَتِهِ، وَالِدَّفَاعِ عَنِ الْحَوْزَةِ وَحِمَايَةِ الْبَيْضَةِ،

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4913)، وَمُسْلِمٌ (1479).

أَمَّا الْبِنْتُ فَكَانَ التَّخُوفُ مِنْ عَارِهَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى كَرَاهَتِهَا
حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالذِّينِ
الإِسْلَامِي خَاتَمِ الأَدْيَانِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِعِبَادِهِ وَلَوْ
أَنَّ الْإِنْسَانَ تَفَقَّهَ فِي دِينِ اللهِ وَوَقَفَ عِنْدَ حُدُودِهِ وَاقْتَفَى
أَثَرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ حَيَاتِهِ
لِعَاشٍ مُطْمَئِنًّا مُرْتَاحَ الْبَالِ قَرِيرَ الْعَيْنِ، وَلَعَرَفَ كَيْفَ يَعْبُدُ
رَبَّهُ، وَكَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَ إِخْوَانِهِ، وَأَهْلِهِ، وَزَوْجَتِهِ، وَكَيْفَ
يُرَبِّي أَوْلَادَهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهُ مَا مِنْ خَيْرٍ إِلَّا وَدَلَّنَا دِينَنَا
الإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفُ عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَحَدَّرْنَا مِنْهُ،
وَالنَّاطِرُ فِي سِيرَتِهِ الشَّرِيفَةِ مِنْ بَابِ تَرْبِيَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِنَاتِهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَجِدُ أَنَّهَا مَرَّتْ بِمَرَا حِلِّ مُتَغَيِّرَةٍ بِتَغْيِيرِ ظُرُوفِ هَذِهِ
الْمَرْحَلَةِ العُمَرِيَّةِ لَهُنَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

تَرْبِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِبَنَاتِهِ فِي مَرْحَلَةِ الطُّفُولَةِ:

مِنْ هَدِيَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي تَرْبِيَةِ بَنَاتِهِ فِي مَرْحَلَةِ
الطُّفُولَةِ أَنَّهُ كَانَ يُسَرُّ وَيَبْتَسِمُ لِمَوْلِدِ بَنَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَدْ سُرَّ

وَاسْتَبَشَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِمَوْلِدِ ابْنَتِهِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 وَتَوَسَّم فِيهَا الْبَرَكَاتِ وَالْيَمْنَ، فَسَمَّاهَا فَاطِمَةَ، وَدَعَا اللَّهُ أَنْ
 يَفْطَمَهَا مِنَ النَّارِ، وَقَدْ لُقِّبَتْ بِـ (الزَّهْرَاءِ) وَكَانَتْ تُكْنَى
 بِأُمِّ أَبِيهَا، وَفِي هَذَا دَرَسٌ عَظِيمٌ مِنْ دُرُوسِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ
 بِأَنَّ مِنْ رِزْقِ الْبَنَاتِ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُظْهِرَ الْفَرَحَ
 وَالسُّرُورَ وَيَشْكُرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَا وَهَبَهُ مِنَ الدُّرِيِّةِ،
 وَأَنْ يَعْزِمَ عَلَى حُسْنِ تَرْبِيَّتِهَا، وَتَأْدِيبِهَا، وَعَلَى تَزْوِجِهَا
 بِالْكَفِّءِ (التَّقِيِّ) صَاحِبِ الدِّينِ حَتَّى يَظْفَرَ بِالْأَجْرِ الْجَزِيلِ
 مِنَ اللَّهِ، وَفِي مَرَحَلَةِ الطُّفُولَةِ يَلْزَمُ الْأَبَوَيْنِ الْاهْتِمَامَ
 بِالطُّفْلِ وَتَوْفِيرَ كَافَّةِ الْاِحْتِيَاجَاتِ الْخَاصَّةِ بِهَذِهِ الْمَرَحَلَةِ:
 الْحَاجَاتِ الْجَسْمِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ؛ وَبِالذَّاتِ الْأُمِّ فَعَلَيْهَا تَقَعُ
 الْمَسْئُورِيَّةُ الْكُبْرَى فِي رِعَايَةِ أَوْلَادِهَا فِي مَرَحَلَةِ الطُّفُولَةِ،
 فَهُمْ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ التِّصَاقًا بِهَا وَقَدْ حَرَصَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ
 السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى تَرْبِيَةِ وَرِعَايَةِ
 أَوْلَادِهَا مُنْذُ وُلَادَتِهِمْ، وَكَانَتْ إِذَا وُلِدَتْ وَلَدًا تُرَبِّيه فِتْرَةً
 مِنَ الزَّمَنِ فِي الْبَادِيَةِ حَتَّى يَنْشَأَ عَلَى الْفَصَاحَةِ وَالشَّجَاعَةِ

كَمَا كَانَتْ عَادَةٌ فُرَيْشٍ، لَا كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْأُمَّهَاتِ فِي
زَمَانِنَا مِنْ دَفْعِ أَوْلَادِهِمْ إِلَى الْخَادِمَاتِ وَالْمُرَبِّيَّاتِ، الْأَمْرُ
الَّذِي قَدْ يَحْصُلُ مَعَهُ خَلْلٌ فِي عَقِيدَةِ الطِّفْلِ وَسُلُوكِهِ.

وَسِرُّ تَرْبِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِبَنَاتِهِ كَانَ فِي
تَبَسُّمِهِ لِهِنَّ.

وَفِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ -مَرَحَلَةِ الطُّفُولَةِ- يَجِبُ
عَلَى الْأَبَوَيْنِ أَنْ يُلَقِّنَا الْبِنْتَ مَبَادِيَّ الْإِسْلَامِ، وَالْعَقِيدَةَ
الصَّحِيحَةَ، وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالصَّلَاةَ، وَالتَّعَوُّدَ
عَلَى لِبْسِ الْحِجَابِ حَتَّى تَنْشَأَ الْبِنْتُ عَلَى ذَلِكَ مُنْذُ نُعُومَةِ
أَظْفَارِهَا، وَإِذَا كَبُرَتْ الْبِنْتُ قَلِيلًا وَجَبَ عَلَى وَالِدَيْهَا
أَنْ يُعَلِّمَاهَا حُقُوقَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَحُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ،
وَحُقُوقَ الْآخَرِينَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَحُسْنَ التَّصَرُّفِ فِي
شَتَّى الْأُمُورِ، وَعَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى لِبْسِ الْحِجَابِ
وَالتَّسْتُرِ وَالْبُعْدِ عَنِ أَعْيُنِ الرِّجَالِ حَتَّى تَنْشَأَ الْبِنْتُ عَلَى
التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، تَعْرِفُ مَا يَجِبُ لَهَا وَمَا

يَجِبُ عَلَيْهَا، مَعَ الْأَخْذِ فِي عَيْنِ الْإِعْتِبَارِ إِعْدَادَهَا لِمَا

هُوَ مُنْتَظَرٌ مِنْهَا مِنْ دَوْرٍ هَامٍ فِي الْحَيَاةِ بِأَنْ تَكُونَ زَوْجَةً صَالِحَةً، وَأُمًّا حَانِيَةً تُرَبِّي أَوْلَادَهَا وَتُعِدُّهَا لِأَنْ يَكُونُوا صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، فَقَدْ بَادَرَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِتَمْرِينَ ابْنَتَيْهَا الْكُبْرَى زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا كَبُرَتْ عَلَى الْمَشَارَكَةِ فِي أَعْمَالِ الْبَيْتِ وَالتَّوْبِيغِ عَلَى الْأُمُومَةِ، فَكَانَتْ زَيْنَبُ لِشَقِيقَتِهَا الصُّغْرَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمًّا صَغِيرَةً تَرَعَى شُؤْنَهَا وَتَمْضِي فَرَاغَهَا فِي مُلَاعَبَتِهَا.

وَتَزْوِجُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِبَنَاتِهِ:

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُ بَنَاتَهُ قَبْلَ تَزْوِجِهِنَّ، فَعِنْدَمَا خَطَبَ سَيِّدَنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ لَهَا سَيِّدْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عَلِيًّا يَذْكُرُكَ» فَسَكَتَتْ فَزَوَّجَهَا⁽¹⁾.

وَقَدْ زَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَمِيعَ بَنَاتِهِ مِنْ خَيْرَةِ الرِّجَالِ: فَزَوَّجَ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ الْقُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ خَالَتِهَا هَالَةَ

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو حَنِيفَةَ فِي مُسْنَدِهِ (7)

بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وَأَبُو الْعَاصِ كَانَ مِنْ رِجَالِ مَكَّةَ الْمَعْدُودِينَ
مَالًا، وَأَمَانَةً، وَتِجَارَةً.

وَقَدْ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ
ابْنِ الرَّبِيعِ فِي مُصَاهَرَتِهِ خَيْرًا، وَقَالَ: «حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي،
وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي»⁽¹⁾.

وَزَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ السَّيِّدَةَ رُقَيْةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ
عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخَلِيفَةَ الرَّاشِدِ، الزَّاهِدِ الْجَوَادِ،
السَّخِيِّ الْحَيِّيِّ، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ أَخْلَاقِهِ وَأَشَدِّهَا تَمَكُّنًا مِنْ
نَفْسِهِ خُلُقُ الْحَيَاءِ، الَّذِي تَأَصَّلَ فِي كَيَانِهِ؛ لِذَا فَقَدْ أَشَادَ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْحَيَاءِ الْوَاسِعِ الْعَمِيمِ
فَقَالَ: «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِّيٌّ»⁽²⁾، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»⁽³⁾.

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ كَثِيرًا فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3110).

(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2402).

(3) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2401).

رُقِيَّةُ زَوْجَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِأُخْتِهَا أُمِّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
وَلَمَّا مَاتَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْتُهَا عُثْمَانَ»⁽¹⁾.

وَزَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنِ عَمِّهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ
آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصِّبْيَانِ، وَكَانَ قَدْ
تَرَبَّى فِي حِجْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ
وَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَعَثَهُ
اللَّهُ نَبِيًّا.

وَمِنْ هَدِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَفَاةِ بَنَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ
أَنَّهُ كَانَ يُشْرِفُ عَلَى غُسْلِهِنَّ وَتَكْفِينِهِنَّ، وَيُصَلِّي
عَلَيْهِنَّ وَيَدْفِنُهُنَّ، وَيَقِفُ عَلَى قُبُورِهِنَّ وَيَدْعُو اللَّهَ لَهُنَّ،
فَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ نَغْسِلُ ابْنَتَهُ، فَقَالَ: اغْسِلْنَاهَا

(1) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (3 / 127)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ
الْكَبِيرِ (490).

ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الْأَخِرَةِ كَأْفُورًا فَإِذَا فَرَعْتُنَّ فَأَذِنِّي، فَلَمَّا فَرَعْنَا أَذَّنَاهُ، فَأَلْقَى إِلَيْنَا حِقْوَهُ فَقَالَ: أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ»⁽¹⁾.

وَفِي كَيْفِيَّةِ الْغُسْلِ قَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا غَسَلْنَا بِنْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا وَنَحْنُ نَغْسِلُهَا: «ابْدَأَنَّ بِمِيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا»⁽²⁾.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقِفُ عَلَى قَبْرِ مَنْ تُوُفِّيَ مِنْ بَنَاتِهِ وَيَدْعُو لَهَا فَقَدْ كَانَتْ رُقِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرِيضَةً أَثْنَاءَ غَزْوَةِ بَدْرٍ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ زَوْجَهَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْبَقَاءِ إِلَى جَانِبِهَا لِتَمْرِيضِهَا، وَلَمَّا عَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَزْوَةِ وَقَدْ مَاتَتْ ابْنَتُهُ رُقِيَّةُ، خَرَجَ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ وَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا يَدْعُو لَهَا بِالْغُفْرَانِ. هَكَذَا كَانَ حَبِيبُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْأَبُ الْحَنُونُ وَالصَّدِيقُ لَهْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلِذَلِكَ أَصْبَحْنَ نِسَاءً صَالِحَاتٍ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (1253)، وَمُسْلِمٌ (939).

(2) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

نَقْتَدِي بِهِنَّ فِي حَيَاتِنَا بِسَبَبِ تَرْبِيَّتِهِ الصَّحِيحَةِ رَغْمَ
مَشَاغِلِهِ وَمَسْئُولِيَّاتِهِ.

فَمَا كَانَ يَطْوِي عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ، فَكَيْفَ بِنَاتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ»⁽¹⁾.

يُلَاحِظُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
ضَمَّ أَصَابِعَهُ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمَا كِنَايَةً عَنْ شِدَّةِ قُرْبِ مَنْ
عَالَ جَارِيَتَيْنِ مِنَ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «دَخَلْتُ
عَلَيَّ أَمْرَأَةً وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسَأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي
شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتَهَا إِيَّاهَا فَقَسَّمَتْهَا بَيْنَ
ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2631).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ
الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» (1).
أَيَّ حِجَابًا وَوَقَايَةً مِنَ النَّارِ. وَلَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ
أَنَّ الْبَنَاتَ بَلَاءٌ.

قِصَّةُ زَوْاجِ أَبِي الْعَاصِ مِنَ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
مَمَّا يَدُلُّ عَلَى شَهَامَةِ وَصِدْقِ قِصَّةِ إِسْلَامِ أَبِي
الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ كَانَ فِي تِجَارَةِ لُقْرِيشٍ إِلَى الشَّامِ
وَفِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلَى مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ لَقِيَتْهُ سَرِيَّةٌ فَأَخَذُوا
مَا مَعَهُ، وَجَاءَ تَحْتَ اللَّيْلِ إِلَى زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ
كَانَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامُ فَهُوَ لَمْ يَدْخُلْ
فِي الْإِسْلَامِ بَعْدُ، فَاسْتَجَارَ بِهَا فَأَجَارَتْهُ وَخَرَجَتْ وَالنَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْفَجَرَ فَقَالَتْ: «أَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ» فَلَمَّا سَلَّمَ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَيُّهَا
النَّاسُ هَلْ سَمِعْتُمْ الَّذِي سَمِعْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَّا

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (1352).

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى سَمِعْتُ مَا
سَمِعْتُمْ وَأَنَّهُ يُجِيرُ عَلَيَّ الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ، ثُمَّ انصَرَفَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيَّ ابْنَتِي زَيْنَبَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: أَيُّ بَنِيَّةٍ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ وَلَا يَخْلُصَنَّ إِلَيْكَ
فَإِنَّكَ لَا تَحْلِينَ لَهُ.

قَالَ: وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَحَثَّاهُمْ عَلَيَّ رَدِّ مَا كَانَ
مَعَهُ فَرَدُّوهُ بِأَسْرِهِ لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئًا فَأَخَذَهُ أَبُو الْعَاصِ
فَرَجَعَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ مَا كَانَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا
مَعشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ؟
قَالُوا: لَا، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وَفِيًّا، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ مَا مَنَعَنِي عَنِ
الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا تَخَوُّفُ أَنْ يَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَكُلَّ
أَمْوَالِكُمْ فَلَمَّا آدَّاهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَفَرَعْتُ مِنْهَا أَسْلَمْتُ (1).

وَقَدْ زَوَّجَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ ابْنَتِي زَيْنَبَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا طَلَبَتْ مِنْهُ أُمُّهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(1) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ت السَّقَات (1 / 658).

أَنْ يُزَوِّجَهَا لَهُ فَوَافَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَلَبِهَا،
لِمَا يُعْرَفُ مِنْ رَجَاحَةِ عَقْلِهَا وَثِقَتِهَا بِابْنِ أُخْتِهَا، فَكَانَتْ
تَعُدُّهُ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا، وَهُنَا دَرَسَ نَبِيُّ كَرِيمٍ فِي تَزْوِيجِ
الْبَنَاتِ، أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ أَخْذِ رَأْيِ وَالِدَةِ الْبِنْتِ وَالتَّشَاوُرِ
مَعَهَا فِي ذَلِكَ إِكْرَامًا لَهَا وَاعْتِرَافًا بِحَقِّهَا.

عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا
كَانَ أَشْبَهَ كَلَامًا وَحَدِيثًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
فَاطِمَةَ، وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ؛ قَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَهَا وَرَحَّبَ
بِهَا وَأَخَذَ بِيَدِهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَتْ هِيَ إِذَا
دَخَلَ عَلَيْهَا؛ قَامَتْ إِلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ وَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَدَخَلَتْ
عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، فَأَسْرَّ إِلَيْهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ
أَسْرَّ إِلَيْهَا فَضَحِكَتْ»⁽¹⁾.

فَقَالَتْ أَيْ عَائِشَةُ: «كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ
فَضْلًا عَلَى النَّاسِ؛ فَإِذَا هِيَ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ، بَيْنَا هِيَ تَبْكِي؛
فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَلَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3623)، وَمُسْلِمٌ (2450).

سَأَلْتُهَا عَن ذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَسْرَ إِلَيَّ أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ
أَسْرَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوْلُ أَهْلِهِ لِحُوقًا بِهِ فَضَحِكْتُ،
وَفِي رَوَايَةٍ: أَنَّهُ بَشَّرَهَا أَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ⁽¹⁾.

احتواء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِبَنَاتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ:

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُرْهِ الْمُجْتَمَعِ لِانْجَابِ الْبَنَاتِ
وَتَرْبِيَتِهِنَّ جَعَلَ لِلْمَرْأَةِ مَكَانَةً خَاصَّةً كَانَ سَبَبًا لِدُخُولِ
النِّسَاءِ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ حَفِظَ الْإِسْلَامُ لَهُنَّ حُقُوقَهُنَّ
وَأَصْبَحَتْ بَنَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُدُوةً يُقْتَدَى بِهَا
الكَثِيرُ مِنَ النِّسَاءِ.

سَلَامَةُ التَّرْبِيَةِ مُنْذُ الصَّغَرِ تَجْنِي ثَمَرَتَهَا فِي الْكِبَرِ،
وَهَذَا مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ بَنَاتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ
أَجْمَعِينَ، وَكَانَ السَّرُّ فِي التَّرْبِيَةِ بِالْإِتْسَامَةِ.



(1) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانٍ (6953).



ابْتِسَامَةُ الْمَغْضَبِ

هَلَا تَرَكْتَ الْحُزْنَ وَالذَّمَعَاتِ وَسَلَكْتَ دَرْبًا كُلَّهُ خَيْرَاتِ
 دَرْبِ التَّبَسُّمِ يَا حَبِيبِي فَالْتَزِمِ فَحَبِيبَنَا قَدْ أَكْثَرَ الْبَسْمَاتِ
 إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ مَرْضِيَّةٌ بَلْ إِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ
 فِي كُلِّ حَالٍ قَدْ تَبَسَّمَ سَيِّدِي فِي الْجِدْبَلِ فِي أَصْعَبِ اللَّحْظَاتِ
 خَتَمَ الْحَيَاةَ بِبِسْمَةٍ فِيهَا رِضَى إِذْ شَاهَدَ الْأَصْحَابَ فِي الصَّلَوَاتِ
 قَدْ غَادَرَ الدُّنْيَا زَكِيًّا طَاهِرًا مُتَبَسِّمًا فِي سَاعَةِ السَّكَرَاتِ
 هَلَا ابْتَسَمْتَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَهَا أَوْصَى بِهَا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ

بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُتَمِّمًا لِلْأَخْلَاقِ
 الْكَرِيمَةِ، وَهَادِيًا لَطَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَمَرَنَا بِاتِّبَاعِهِ وَالْاِقْتِدَاءِ
 بِهِ فِي جَانِبِهِ الْبَشَرِيِّ، وَلِذَا كَانَ التَّكْلِيفُ وَكَانَ الْعِقَابُ
 وَالثَّوَابُ، وَلَمْ يَتْرُكِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَانِبًا مِنْ
 جَوَانِبِ الْحَيَاةِ إِلَّا كَانَتْ بِهِ بَصْمَتُهُ الشَّرِيفَةُ، وَالذَّلِيلُ
 الشَّافِي لِكَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ.

أَحِبَّتِي فِي اللَّهِ: تَأْخُذُنَا الْحَيَاةُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ

الَّتِي تُدْخِلُ عَلَى الْقَلْبِ وَالرُّوحِ الْبَسْطَ وَالشُّرُورَ، وَمِنْهَا
مَا يُدْخِلُ عَلَيْهِمَا الْقَبْضَ وَالْحُزْنَ، وَجَمِيعُهَا انْفِعَالَاتٌ
طَبِيعَةٌ خَلِقْنَا بِهَا، وَلَكِنْ كَيْفَ هِيَ الْحِكْمَةُ فِي التَّعَامُلِ
مَعَهَا؟ وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ الانْفِعَالَاتِ الَّتِي تَتَابُ الْإِنْسَانَ مِنْ
وَقْتٍ لآخر (الغضب)، وَبِدَايَةِ نُرِيدُ أَنْ نَعْرِفَ مَاذَا يَعْنِي
الغضبُ، وَمَاهِي أسبابه، وَكَيْفِيَّةُ العِلاجِ مِنْهُ، وَكَيْفَ
تَعَامَلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ الغضبِ؟

وَالغضبُ عَدُوُّ العَقْلِ، وَهُوَ يَدْفِنُ الحَسَنَاتِ وَيُبْرِزُ
السَّيِّئَاتِ، وَيَخْلُقُ لِلْبَرِيِّءِ الجِنَايَاتِ.

وَلَقَدْ عَرَفَ الغضبَ جَمْعٌ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَغَيْرِهِمْ،
وَاخْتَلَفَتِ العِبَارَاتُ، وَاتَّفَقَتِ الثَّمَرَةُ.

قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَالغضبُ فِي اللُّغَةِ:
الشَّدَّةُ، وَرَجُلٌ غَضُوبٌ، أَيُّ: شَدِيدُ الخُلُقِ، وَالغَضُوبُ:
الحَيَّةُ الحَيِثَّةُ؛ لِشِدَّتِهَا،

وَالغَضْبَةُ: الدَّرَقَةُ مِنْ جِلْدِ البَعِيرِ يُطَوَّى بَعْضُهَا عَلَى
بَعْضٍ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِشِدَّتِهَا.

وَقِيلَ فِي مَعْنَاهُ: تَغَيَّرَ يَحْصُلُ عِنْدَ فَوْرَانِ دَمِ الْقَلْبِ
لِيَحْصُلَ عَنْهُ التَّشْفِي فِي الصَّدْرِ، وَقِيلَ: الْغَضَبُ إِرَادَةٌ
الْإِضْرَارِ بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ.

وَأَسْبَابُ الْغَضَبِ وَبَوَاعِثُهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَالنَّاسُ
مُتَفَاوِثُونَ فِيهَا، فَمِنْ أَسْبَابِ الْغَضَبِ:

أَوَّلًا: الْعُجْبُ:

فَالْعُجْبُ بِالرَّأْيِ وَالْمَكَانَةِ وَالنَّسَبِ وَالْمَالِ سَبَبٌ
لِلْعَدَاوَةِ إِنْ لَمْ يُعْقَلْ بِالدِّينِ (أَيُّ: يُقَيِّدُ)، وَذَلِكَ بَرْدُهُ
وَدَفْعُهُ فَالْعُجْبُ قَرِينُ الْكِبَرِ وَمُلَازِمٌ لَهُ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شَحًّا مُطَاعًا وَهَوًى
مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ
نَفْسُكَ وَدَعُ أَمْرَ الْعَوَامِ»⁽¹⁾.

فَالْعُجْبُ قَرِينُ الْكِبَرِ وَمُلَازِمٌ لَهُ.

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3058)، وَابْنُ حِبَّانَ (385).

ثَانِيًا: الْمِرَاءُ:

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ: الْمِرَاءُ رَائِدُ الْغَضَبِ فَأَخْرَجَنِي
اللَّهُ عَقْلًا يَأْتِيكَ بِهِ الْغَضَبُ. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ
كَانَ مُحَقًّا»⁽¹⁾.

ثَالِثًا: كَثْرَةُ الْمِرَاحِ:

إِنَّ الْمِرَاحَ بِدُوهُ حَلَاوَةٌ: لَكِنَّمَا آخِرُهُ عَدَاوَةٌ يَحْتَدُّ مِنْهُ
الرَّجُلُ الشَّرِيفُ، وَيَجْتَرِي بِسَخْفِهِ السَّخِيفَ، فَتَجِدُ بَعْضَ
الْمُكْثَرِينَ مِنَ الْمِرَاحِ يَتَجَاوَزُ الْحَدَّ الْمَشْرُوعَ مِنْهُ: إِمَّا بِكَلَامٍ
لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، أَوْ بِفِعْلٍ مُؤَذٍ قَدْ يَنْتُجُ عَنْهُ ضَرَرٌ بَالِغٌ، ثُمَّ يَزْعَمُ
بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَمْرُحُ؛ لِذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ صَاحِبِهِ جَادًّا وَلَا لَاعِبًا»⁽²⁾.

وَنَهَى الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ إِثَارَةِ الضَّغَائِنِ

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4800)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (7653).

(2) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (5003)، وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (17940).

بِالْمِزَاحِ، وَالْحَقُّ أَمَرَ بِعَدَمِ السُّخْرِيَّةِ أَوْ الْاسْتِهْزَاءِ ﴿يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ
عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

رَابِعًا: بَدَاءَةُ اللِّسَانِ وَفُحْشُهُ: بِشْتَمٍ أَوْ سَبِّ
أَوْ تَعْيِيرٍ مِّمَّا يُوْغِلُ الصُّدُورَ، وَيُثِيرُ الغَضَبَ، وَقَدْ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْفَاحِشَ
الْبَدِيءَ» (1).

وَمِنْ أَسْبَابِ الغَضَبِ أَيْضًا: العَدْرُ وَشِدَّةُ الحِرْصِ
عَلَى فُضُولِ المَالِ وَالجَاهِ، قَالَ الغَزَالِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَمِنْ
أَشَدِّ البَوَاعِثِ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ الجُهَّالِ: تَسْمِيَتُهُمُ الغَضَبُ
شَجَاعَةً وَرُجُولِيَّةً وَعِزَّةً نَفْسٍ وَكِبَرَ هِمَّةٍ».

كُلُّ مَا سَبَقَ إِخْوَتِي مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى
هَذَا الخُلُقِ الَّذِي يَنْهَانَا اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ هُنَاكَ

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2002)، وَابْنُ جِبَّانٍ (5695).

سؤال، هل كل أحوال الغضب يدخل في هذا النهي؟

والإجابة أحبتي: لا، ليس كل أنواع وأحوال الغضب

منهي عنه، فكما أن هناك غضب مذموم يوجد أيضًا

غضب محمود، وهو ما كان الله تعالى عندما تنتهك

محارمه، وهذا النوع ثمرة من ثمرات الإيمان إذ أن

الذي لا يغضب في هذا المحل ضعيف الإيمان، قال

الله سبحانه وتعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام بعد علمه باتخاذ

قومه العجل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ

يَحْرُوه ۗ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ

بِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وهذا النوع من الغضب هو ما حث عليه سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بل كانت كل المواقف التي

نقلها العلماء في سيرته الشريفة تؤكد لنا هذا المعنى،

فالغضب وإن كانت حقيقته جمرة تشعل النيران في

القلب فتدفع صاحبها إلى قول ما يندم عليه، أو فعل ما

لَا تُحَمَدُ عُقْبَاهُ، أَوْ كَانَ دَافِعُهُ الْإِنْتِصَارُ لِلنَّفْسِ أَوْ الْعَصِيَّةِ
وَالْحَمِيَّةِ لِلْآخَرِينَ، فَهُوَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَوْلُ
بِالْحَقِّ، وَغَيْرُهُ عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ، لَا اعْتِدَاءَ فِيهِ وَلَا غُلُوبًا،
وَدَافِعُهُ دَوْمًا إِنْكَارًا لِمُنْكَرٍ أَوْ عِتَابٌ عَلَى تَرْكِ الْأَفْضَلِ.

وَيُؤَكِّدُ الْمَعْنَى السَّابِقَ مَا ذَكَرْتَهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

مِنْ حَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا
خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ
فَيُتْتَمَّ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُتْتَمَّ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ،
فَيُتْتَمَّ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ»⁽¹⁾.

وَمَوَاقِفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْغَضَبِ تَكْشِفُ
لَنَا عَنْ دِقَّةِ وَصْفِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَمِنْ ذَلِكَ
مَوْقِفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ
بَعَثَهُ فِي سَرِيَّةٍ، فَقَامَ بِقَتْلِ رَجُلٍ بَعْدَ أَنْ نَطَقَ بِالشَّهَادَةِ
وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (274)، وَمُسْلِمٌ (2328).

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ لَهُ:
«أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟ أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى
تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا»، حَتَّى قَالَ أُسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَمَا زَالَ
يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَيَّتُ أَنِّي أَسَلَمْتُ يَوْمَئِذٍ»⁽¹⁾.

وَفِي مَوْقِفٍ آخِرٍ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا
يَلْبَسُ خَاتَمًا مِنَ الذَّهَبِ، فَغَضِبَ وَنَزَعَ الخَاتَمَ مِنْ يَدِ
الرَّجُلِ وَطَرَحَهُ فِي الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى
جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»⁽²⁾.

وَعِنْدَمَا حَاوَلَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّفَاعَةَ فِي
الْمَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، غَضِبَ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ
فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ لِأُسَامَةَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ
اللَّهِ؟»، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ فِي النَّاسِ قَائِلًا: «إِنَّمَا أَهْلَكَ
الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ،
وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ

(1) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (6872)، وَمُسْلِمٌ (158).

(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2090).

أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» (1).

وَفِي أَحَدِ أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ وَقَعَ خِلَافٌ بَيْنَ صَحَابِيٍّ
وَأَحَدِ تُجَّارِ الْيَهُودِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزِضُ
سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ. فَقَالَ لَا وَالَّذِي اصْطَفَى
مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَامَ،
فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى
الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا فَذَهَبَ إِلَيْهِ،
فَقَالَ أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَأْسُ فُلَانٍ لَطَمَ
وَجْهِي. فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ «لَا تُفَضِّلُوا
بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مِنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا مِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ
أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ،

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3475)، وَمُسْلِمٌ (1688).

فَلَا أَدْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي» (1).
وَالْعِلَاجُ النَّبِيُّ الَّذِي يُوصِينَا بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
لِتَجَنَّبَ الْغَضَبَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْرِدَهُ فِي عِدَّةِ نِقَاطٍ، وَهِيَ:

أَوَّلًا: الاستِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[الأعراف: ٢٠٠].

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ
وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أُوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ» فَقَالُوا لَهُ:
إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ،
فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟ (2).

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3414)، وَمُسْلِمٌ (2373).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3282)، وَمُسْلِمٌ (2610).

ثَانِيًا: تَغْيِيرُ الْحَالِ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ»⁽¹⁾.

ثَالِثًا: تَرْكُ الْمُخَاصَمَةِ وَالسُّكُوتِ:

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَذِيَّةَ النَّاسِ لَكَ وَخُصُوصًا فِي الْأَقْوَالِ السَّيِّئَةِ لَا تَضُرُّكَ بَلْ تَضُرُّهُمْ إِلَّا إِنْ أَشْغَلَتْ نَفْسَكَ فِي الْإِهْتِمَامِ بِهَا، وَسَوَّغَتْ لَهَا أَنْ تَمْلِكَ مَشَاعِرَكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَضُرُّكَ كَمَا ضَرَّتْهُمْ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْنَعْ لَهَا بَالًا، لَمْ تَضُرَّكَ شَيْئًا.

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ فَأُكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا
يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِينًا
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4782)، وَأَحْمَدُ (21348).

أَنَّهُ قَالَ: «عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ»⁽¹⁾.

رَابِعًا: الْوُضُوءُ:

عَنْ عَطِيَّةِ السَّعْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»⁽²⁾.

خَامِسًا: اسْتِحْضَارُ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ لِكَظْمِ الْغَيْظِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»⁽³⁾.

(1) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2136)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (7934).

(2) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4784)، وَأَحْمَدُ (17985).

(3) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2493)، وَابْنُ مَاجَهَ (4186).

سَادِسًا: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْقُوَّةَ فِي كَظْمِ الْغَيْظِ وَرَدِّهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ
نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»⁽¹⁾.

سَابِعًا: الْإِبْتِسَامَةُ (وَهِيَ مَحْوَرُ حَدِيثِنَا):

فَقَدْ كَانَ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَتَسَمُّ حَتَّى
وَهُوَ غَضَبَانٌ.

وَأَثْرُ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةِ فِي سَاعَةِ الْغَضَبِ أَحَدٌ مِنَ
السَّيْفِ الْقَاطِعِ إِذَا صَدَرَتْ مِنْ قَلْبِ الْمُحِبِّ الْمُشْفِقِ،
فَكَيْفَ قَلْبُهُ وَشَفَقَتُهُ عَلَى أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَوَقَعَ هَذِهِ
الْإِبْتِسَامَةِ أَشَدُّ مِنْ كُلِّ لَفْظٍ قَارِعٍ يُمَكِّنُ اسْتِخْدَامَهُ فِي
تِلْكَ السَّاعَةِ الْفَاصِلَةِ، وَبِهَذِهِ الْإِبْتِسَامَةِ يَحْدُثُ التَّوَازُنُ
بَيْنَ حَسَنَاتِ الشَّخْصِ وَسَيِّئَاتِهِ، وَالتَّغْلِبُ عَلَى جُمُوحِ
عَاطِفَةِ الْغَضَبِ بِدَاخِلِهِ.

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

وَكَمْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ فِقْهِ الْمُوَازَنَاتِ وَالْإِنْصَافِ
وَالرَّحْمَةِ قَبْلَ خَوْضِ بَحْرِ الْجَدَلِ وَالنَّقْدِ وَالثَّلْبِ، وَبِدُونِ
ذَلِكَ لَنْ نَتَمَكَّنَ مِنْ فَتْحِ مَعَالِيِقِ الْقُلُوبِ أَوْ التَّأْثِيرِ عَلَيْهَا.
وَمَنْ تَوَلَّىٰ مُهِمَّةَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ إِظْهَارِ هَذَيْنِ الْجَانِبَيْنِ فِي شَخْصِيَّتِهِ:
جَانِبِ الشِّدَّةِ بِالْحَقِّ وَالغَيْرَةِ عَلَىٰ مَحَارِمِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**
إِذَا انْتَهَكَتْ وَجَاهَرَ بِهَا الْبَعْضُ، وَجَانِبِ اللَّيْنِ وَالرَّحْمَةِ
وَالعَطْفِ بِالنَّاسِ وَالْحِرْصِ عَلَىٰ إِيْصَالِ الْخَيْرِ لَهُمْ
وَالشَّفَقَةِ بِهِمْ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الْحَبِيبُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**.

بَعْضُ أَقْوَالِ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ عَنِ الْغَضَبِ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ عَصِمَ مِنَ
الْهَوَىٰ، وَالْغَضَبِ، وَالطَّمَعِ».

وَقَالَ الْحَسَنُ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ
الشَّيْطَانِ، وَحَرَمَهُ عَلَى النَّارِ: مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الرَّغْبَةِ،
وَالرَّهْبَةِ، وَالشَّهْوَةِ، وَالْغَضَبِ».

وَحُكِيِّ أَنَّ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ كَانَ إِذَا قِيلَ لَهُ: إِنَّ
فُلَانًا يَقَعُ فِي عِرْضِكَ، يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَا غِيْظَنَنَّ مَنْ أَمْرُهُ،
يَعْنِي: إِبْلِيسَ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَاغْفِرْ لِي،
وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَاغْفِرْ لَهُ».

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ».

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: «إِذَا لَمْ يَغْضَبِ الرَّجُلُ
لَمْ يَحْلُمْ؛ لِأَنَّ الْحَلِيمَ لَا يُعْرِفُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ».

وَقِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: اجْمَعْ لَنَا حُسْنَ الْخُلُقِ فِي
كَلِمَةٍ، قَالَ: «تَرْكُ الْغَضَبِ».

وَقَالَ الْحَسَنُ: «الْمُؤْمِنُ حَلِيمٌ لَا يَجْهَلُ وَإِنْ جُهِلَ
عَلَيْهِ»، وَتَلَا قَوْلَ اللَّهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: «مَا أَبْكَى الْعُلَمَاءَ بُكَاءَ
آخِرِ الْعُمُرِ مِنْ غَضَبَةٍ يَغْضِبُهَا أَحَدُهُمْ، فَتَهْدِمُ عَمَلَ
خَمْسِينَ سَنَةً، أَوْ سِتِّينَ سَنَةً، أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً، وَرُبَّ غَضَبَةٍ
قَدْ أَقْحَمَتْ صَاحِبَهَا مَقْحَمًا مَا اسْتَقَالَهُ».

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَيْبٍ: «إِنَّمَا غَضِبِي فِي نَعْلِي،
فَإِذَا سَمِعْتُ مَا أَكْرَهُ أَخَذْتُهُمَا وَمَضَيْتُ».

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: «أَحْسَنُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ لَمْ يَحْرِدْ،
وَأَحْضَرُ النَّاسِ جَوَابًا مَنْ لَمْ يَغْضَبْ».

وَقَالَ أَيُّضًا: «الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ
شَيْءٌ بِضِدِّ مَا تَهَوَّاهُ نَفْسُهُ، أَنْ يَذْكَرَ كَثْرَةَ عِضْيَانِهِ رَبَّهُ،
وَتَوَاتَرَ حِلْمِ اللَّهِ عَنْهُ، ثُمَّ يَسْكُنُ غَضَبَهُ، وَلَا يُزْرِي بِفِعْلِهِ
الْخُرُوجَ إِلَى مَا لَا يَلِيْقُ بِالْعُقَلَاءِ فِي أَحْوَالِهِمْ، ثُمَّ تَأْمَلُ
وُفُورَ الثَّوَابِ فِي الْعُقْبَى، بِالْإِحْتِمَالِ وَنَفْيِ الْغَضَبِ».

يَقُولُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ تَخْلُفِهِ، وَمَا كَانَ
مِنْ شَأْنِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: «فَحِثُّهُ - أَيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -
فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ»⁽¹⁾.

تَخَلَّفَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَلَمْ
يَحْضُرْ مَعَهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ عَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
وَذَهَبَ كَعْبٌ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ (وَالْقِصَّةُ طَوِيلَةٌ) قَالَ كَعْبُ

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

فِي سَرْدِهِ لِحِكَايَتِهِ: «فَحِثُّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ»، فَقَالَ: «مَا خَلَّفَكَ؟»، أَي: أَنَّهُ تَبَسَّمَ وَهُوَ غَاضِبٌ، وَلَمْ يُبْدِ مِنْ غَضَبِهِ سِوَى أَنَّهُ تَبَسَّمَ، كَمَا يَقُولُ كَعْبٌ فِي نِهَايَةِ حِكَايَتِهِ، وَبَعْدَ أَنْ أَبْلَغُوهُ قَبُولَ اللَّهِ الْعَفْوَ عَنْهُ، يَقُولُ: «فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةً قَمَرٍ»⁽¹⁾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»⁽²⁾.

وَهَنِيئًا لِمَنْ امْتَثَلَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ وَعَمِلَ بِهَا وَلَا شَكَّ أَنَّهَا وَصِيَّةٌ جَامِعَةٌ مَانِعَةٌ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا الرَّجُلُ ظَنَّ أَنَّهَا وَصِيَّةٌ بِأَمْرٍ جُزْئِيٍّ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِكَلَامٍ

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (6116).

كُلِّي، وَلِهَذَا رَدَّدَ. فَلَمَّا أَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، عَرَفَ أَنَّ هَذَا كَلَامٌ جَامِعٌ، وَهُوَ كَذَلِكَ؟ فَإِنَّ قَوْلَهُ: «لَا تَغْضَبْ» يَتَضَمَّنُ أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْأَمْرُ بِفِعْلِ الْأَسْبَابِ، وَالتَّمَرُّنُ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ، وَتَوْطِينِ النَّفْسِ عَلَى مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْخُلُقِ، مِنْ الْأَذَى الْقَوْلِيِّ وَالْفِعْلِيِّ. فَإِذَا وَفَّقَ لَهَا الْعَبْدُ، وَوَرَدَ عَلَيْهِ وَارِدُ الْغَضَبِ، احْتَمَلَهُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَتَلَقَّاهُ بِحِلْمِهِ وَصَبْرِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِحُسْنِ عَوَاقِبِهِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالشَّيْءِ أَمْرٌ بِهِ، وَبِمَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الشَّيْءِ أَمْرٌ بِضِدِّهِ، وَأَمْرٌ بِفِعْلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى اجْتِنَابِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَهَذَا مِنْهُ. الثَّانِي: الْأَمْرُ - بَعْدَ الْغَضَبِ - أَنْ لَا يُنْفِذَ غَضَبَهُ: فَإِنَّ الْغَضَبَ غَالِبًا لَا يَتِمَّكَنُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَفْعِهِ وَرَدِّهِ، وَلَكِنَّهُ يَتِمَّكَنُ مِنْ عَدَمِ تَنْفِيذِهِ. فَعَلَيْهِ إِذَا غَضِبَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا الْغَضَبُ. فَمَتَى مَنَعَ نَفْسَهُ مِنْ فِعْلِ آثَارِ الْغَضَبِ الضَّارَّةِ، فَكَأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَغْضَبْ، وَبِهَذَا يَكُونُ الْعَبْدُ كَامِلَ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْقُوَّةِ الْقَلْبِيَّةِ.

قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَغْضَبْ. قَالَ: أَمَرْتَنِي
أَلَّا أَغْضَبُ وَإِنَّهُ لَيَغْشَانِي مَا لَا أَمْلِكُ. قَالَ: فَإِنْ غَضِبْتَ
فَأَمْلِكْ لِسَانَكَ وَيَدَكَ.

وَلَمْ يَكُنْ تَبَسُّمُهُ عِنْدَ الْفَرَحِ وَعِنْدَ الرَّضَا فَحَسَبُ،
بَلْ كَانَ رُبَّمَا اسْتَعْمَلَ بِسْمَتَهُ فِي تَخْفِيفِ حِدَّةِ غَضَبِهِ،
وَيَنْجَحُ فِي ذَلِكَ.

مَهْمَا وَاجَهْتُنَا الْحَيَاةُ مِنْ صِعَابٍ وَمَهْمَا تَعَرَّضْنَا
لِلْمَوَاقِفِ الَّتِي تَقُودُنَا لِعَدَمِ التَّحَكُّمِ فِي أَعْصَابِنَا وَإِظْهَارِ قُوَّةِ
الْغَضَبِ فَتَرَوْيْضُ أَنْفُسِنَا عَلَى الْحِلْمِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ سَوْفَ
نُهْدَبُ هَذِهِ الشَّهْوَةَ بِدَاخِلِنَا وَذَلِكَ هُوَ هَدَفُنَا، أَنْ نَتَمَّ خُلُقَ
الْحِلْمِ بِدَاخِلِنَا كَمَا أَرَشَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَكَمَا فَعَلَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَالصَّالِحُونَ مِنْ
بَعْدِهِ، وَنَحْنُ كَيْفَ لَنَا أَنْ نَطْمَعَ بِشَرَفِ نَظَرِهِ الشَّرِيفِ إِنْ
لَمْ نَقْتَفِ أَثْرَهُ وَنَنْتَهِجْ نَهْجَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لِذَا لَا بُدَّ أَنْ
نُجَاهِدَ أَنْفُسَنَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَّمَنَا مَشَايخُنَا

الكَرَامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ «إِنَّمَا الْجِلْمُ بِالتَّحْلُمِ»⁽¹⁾.

بِدَايَةٌ سَتَكُونُ مُجَاهِدَتِنَا تَكْلُفًا، ثُمَّ بِالصَّدَقِ وَالْمُدَاوِمَةِ
سَتَكُونُ تَعْرِفًا وَتَشْرُفًا؛ وَلِذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ نُدْرِبَ أَنْفُسَنَا عَلَى
الابْتِسَامِ عِنْدَ الْغَضَبِ:

هَلَّا تَرَكْتَ الْحُزْنَ وَالذَّمَعَاتِ وَسَلَكْتَ دَرَبًا كُلَّهُ خَيْرَاتِ
دَرْبِ التَّبَسُّمِ يَا حَبِيبِي فَالْتَزِمِ فَحَبِيبِنَا قَدْ أَكْثَرَ الْبَسْمَاتِ
إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ مَرْضِيَّةٌ بَلْ إِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ
فِي كُلِّ حَالٍ قَدْ تَبَسَّمَ سَيِّدِي فِي الْجِدْبَلِ فِي أَصْعَبِ اللَّحْظَاتِ
خَتَمَ الْحَيَاةَ بِبِسْمَةِ فِيهَا رَضِيَ إِذْ شَاهَدَ الْأَصْحَابَ فِي الصَّلَوَاتِ
قَدْ غَادَرَ الدُّنْيَا زَكِيًّا طَاهِرًا مُتَبَسِّمًا فِي سَاعَةِ السَّكَرَاتِ
هَلَّا ابْتَسَمْتَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَهَا أَوْصَى بِهَا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ
وَأَخِيرًا أَيُّهَا الْمُحِبُّ:

اعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بِالْعَمَلِ، وَجَدَ حَلَاوَتَهُ قَبْلَ
أَنْ يَعْمَلَ.

(1) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (3 / 118)، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ
(1 / 133) وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ (5 / 198)،



بِسْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

فِي التَّشْرِيعِ...

شَوْقِي تَزَايَدَ وَالْفُؤَادُ عَلِيلُ وَالْعَيْنُ تَبْكِي وَالذُّمُوعُ تَسِيلُ
وَالرُّوحُ أَنْتَ مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِهَا وَالصَّبْرُ عَنْ خَيْرِ الْأَنَامِ قَلِيلُ
إِذْ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ جَمَالِ الْمُصْطَفَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ لِلْقُلُوبِ خَلِيلُ
ذَاكَ الَّذِي أُسِرَ الْفُؤَادُ بِحُبِّهِ ذَاكَ الَّذِي هُوَ لِلْعِبَادِ دَلِيلُ
تَحِيًّا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ بِحُبِّهِ يَا سَعْدَ قَلْبٍ كَانَ فِيهِ نَزِيلُ
لَمَّا تَدَلَّتْ دَمْعَتِي شَوْقًا لَهُ أَبْصَرْتُ نُورًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلُ

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الدِّينَ كَمُلَ فِي زَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
بَلْ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، وَلَا مَجَالَ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ، وَلَكِنْ جَاءَ
عَلَى شَكْلِ قَوَاعِدِ عَامَّةٍ وَضَوَابِطِ ثَابِتَةٍ، فِي (60.000)
سِتِّينَ أَلْفِ حَدِيثٍ، مِنْهُ (2000) أَلْفِي حَدِيثٍ فِي الْأَحْكَامِ
و(58.000) ثَمَانِيَّةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفًا فِي الْأَخْلَاقِ) مَعَ قَابِلِيَّةٍ
ذَلِكَ عَلَى مُلَاحَظَةِ الظُّرُوفِ وَالْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ،

وَهَذَا مَنْوُطٌ بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْاجْتِهَادِ مِنْ فُقَهَاءِ كُلِّ زَمَانٍ فِي
حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وَمَقَاصِدِهَا وَكُلِّ مَظَاهِرِ السَّمَاحَةِ وَالرَّفْقِ
وَاللِّينِ وَمَعَانِيهَا تَجِدُهَا فِي تَكَايُفِ الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ كَانَتْ
عَلَى صُورَةِ التَّكَايُفِ.

وَجَاءَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنَشَرَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ
مَظَاهِرَ هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَالسَّمَاحَةِ وَاللِّينِ، فَقَدْ قَالَ عَنْهُ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَعَنْ أَبِي مَحْجَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْيُسْرَ وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ» (1).

لِذَا كَانَتْ الرُّخْصُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَسْبَابِ الْفَرَحِ لَنَا
لَأَنَّهَا تَتَجَلَّى بِهَا مَظَاهِرُ الرَّحْمَةِ لِهَذَا التَّشْرِيعِ، وَالرَّسُولُ
الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي بَشَّرَنَا بِذَلِكَ، فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ كَمَا
يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ» (2) أَي فَرَائِضُهُ.

(1) أَخْرَجَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (4/ 17)، وَالْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ
كَمَا فِي بُغْيَةِ الْبَاحِثِ عَنْ زَوَائِدِ مُسْنَدِ الْحَارِثِ (237).

(2) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (5302)، وَأَبْنُ حَبَّانٍ (3568).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»⁽¹⁾.

وَمَظْهَرُ الرَّحْمَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: رَحْمَةُ اللَّهِ بِالْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ؛ لِأَنَّهُ يَعْرِضُ لَهُمَا مَا يُغَيِّرُ مَا اعْتَادَ مِنَ الْخَيْرِ، وَالْمَرَضُ وَالسَّفَرُ مِنْ عَوَارِضِ الْأَنْشَغَالِ وَالْعَجْزِ، وَقَدْ يَعِزُّ عَلَى الْعَامِلِينَ تَغْيِيرُ بَرَامِجِهِمْ وَنَشْطَاتِهِمْ، فَجَاءَ هَذَا الْعِزَاءُ رَحْمَةً بِهِمْ، وَمَظَاهِرُ الرَّحْمَةِ فِي أَحَادِيثِهِ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّ الْحُدُودَ مُكْفَّرَاتٌ إِلَّا أَنَّ السُّتْرَ وَالْعَفْوَ أَخْفُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَأَرْحَمَ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْحَمُ بِهِ مِنَ الْعِبَادِ الَّذِينَ قَدْ يَشْمَتُونَ بِهِ، أَوْ يَحْفَظُونَهَا عَلَيْهِ؛ فَجَعَلَ الشُّبُهَاتِ دَرَاءً لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ.

وَبَعْدُ أَحِبَّتِي: أَرْجُو مِنَ اللَّهِ قَدْ يَكُونُ مَا سَرَدْنَاهُ لَكُمْ وَهُوَ جَهْدُ الْمُقِلِّ عَنْ رَحْمَةِ دِينِنَا سَبَبًا فِي أَنْ تَعْلُو

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (2996).

وَجْهَكَ ابْتِسَامَةُ الْإِطْمِئْنَانِ؛ لِأَنَّكَ مِنْ أُمَّةِ الرَّحْمَةِ وَنَبِيِّكَ
هُوَ رَحْمَةُ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ مَنْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ فَابْتَسِمُ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتِنًا وَلَا مُتَعْتِنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا
مُسِرًّا»⁽¹⁾.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاذٍ وَأَبِي مُوسَى حِينَ
بَعَثَهُمَا إِلَى الْيَمَنِ: «يَسِّرًا، وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشِّرًا، وَلَا تُنْفِرًا،
وَتَطَاوَعًا، وَلَا تَخْتَلِفَا»⁽²⁾.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَقُولُ: لَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ وَلَا صُومَنَ
النَّهَارَ مَا عَشْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ
الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (1478).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3038)، وَمُسْلِمٌ (1733).

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ
وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ
الْحَسَنَةَ بَعْشَرَ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ، قَالَ:
قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ
يَوْمَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ، قَالَ: صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ
مِنْ ذَلِكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لَا أَفْضَلَ مِنْ
ذَلِكَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِأَنَّهُ أَكُونُ قَبِلْتُ
الثَّلَاثَةَ الْأَيَّامَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي»⁽¹⁾.

قَاعِدَةٌ:

حَيْثُ وَجَدْتَ الْمَشَقَّةَ وَجَدَ التَّيْسِيرُ وَالنَّبِيُّ الْكَرِيمُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِكُلِّ رَحْمَةٍ وَتَيْسِيرٍ فَلَمْ يَشَقَّ عَلَى
أُمَّتِهِ فَكَانَ بِهِمْ رَوْفًا رَحِيمًا، فَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ بِقَدْرِ مَا تُؤْخَذُ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (1975)، وَمُسْلِمٌ (1159).

الْفَرَائِضُ وَفَتْ السَّعَةِ تُؤْتِ الرُّحْصُ وَفَتْ الضِّيْقِ،
وَكَلاهُمَا لَهُمَا نَفْسُ الْأَجْرِ.

إِنَّ الدِّينَ يُسْرُّ وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الشَّقَاءَ وَالْعُسْرَ بِمُخَالَفَةِ
الدِّينِ، وَالْوَاقِعُ الْمَحْسُوسُ أَنَّ كُلَّ مَنْ شَقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
إِنَّمَا لِكَوْنِهِمْ خَرَجُوا عَنِ النَّصِّ الشَّرْعِيِّ بِمَفْهُومِ مُغَايِرِ
لِمَقْصُودِ الشَّرِيعَةِ، لِذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرُّ
وَلَنْ يَشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَبَشِّرُوا
وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدُوءِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»⁽¹⁾.

شَوْقِي تَزَايِدَ وَالْفُؤَادُ عَلِيلُ وَالْعَيْنُ تَبْكِي وَالذُّمُوعُ تَسِيلُ
وَالرُّوحُ أَنْتَ مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِهَا وَالصَّبْرُ عَنْ خَيْرِ الْأَنَامِ قَلِيلُ
إِذْ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ جَمَالِ الْمُصْطَفَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ لِلْقُلُوبِ خَلِيلُ
ذَاكَ الَّذِي أُسِرَ الْفُؤَادُ بِحُبِّهِ ذَاكَ الَّذِي هُوَ لِلْعِبَادِ دَلِيلُ
تَحِيًّا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ بِحُبِّهِ يَا سَعَدَ قَلْبٍ كَانَ فِيهِ نَزِيلُ
لَمَّا تَدَلَّتْ دَمْعِي شَوْقًا لَهُ أَبْصَرْتُ نُورًا فِي الْحَيَاةِ جَمِيلُ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (39).



البِسْمَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ

اتِّبَاعُ سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

مِنْ أَسْبَابِ الْفَرَحِ فِي الدَّارَيْنِ

فَلَنَبْتَسِمَ وَلَنَنْشُرَ الْأَفْرَاحَ وَلَنَتْرُكَ الْأَوْجَاعَ وَالْأَتْرَاحَ
إِنَّ التَّبَسُّمَ بِلِسْمٍ لِحِرَاجِنَا وَلِكُلِّ قَلْبٍ إِنَّهَا مِفْتَاحُ
وَهِيَ السَّبِيلُ لِمَنْ أَرَادَ سَعَادَةً وَهِيَ الْمَعِينُ لِمُبْتَغِي الْإِصْلَاحِ

أَحَبَّتِي: أَطْرَحُ عَلَيْكُمْ سُؤَالَ لَطَالَمَا سَأَلْنَاهُ لِأَنفُسِنَا
فِي أَغْلَبِ أَوْقَاتِنَا وَقَدْ يَصِلُ أَحَدُنَا إِلَى إِجَابَةٍ وَقَدْ لَا
يَصِلُ، وَلَكِنِّي أَوَدُّ أَنْ أُشَارِكَكُمْ هَذَا الْفَضْلَ وَالْخَيْرَ
لِلْإِجَابَةِ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ، وَالسُّؤَالُ هُوَ: مَنْ هُمْ أَسْعَدُ
النَّاسِ؟ أَوْ كَيْفَ أَكُونُ مِنَ السُّعَدَاءِ؟ أَوْ كَيْفَ أَعْرِفُ أَنِّي
مِنَ السُّعَدَاءِ؟

صِغٌ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنَّ الْإِجَابَةَ عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ، الْكُلُّ
يَسْعَى وَيَسِيرُ سَيْرًا حَثِيثًا لِإِدْرَاكِ هَذِهِ الْغَايَةِ، وَهِيَ
السُّعَادَةُ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا لِلإِنْسَانِ نَعِيمُ الدُّنْيَا، هَذَا هُوَ

حَالٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي سَعْيِهِمْ وَرَاءَ هَذَا الْأَمْرِ، فَإِنَّ
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُقْصِرُونَ السَّعَادَةَ عَلَى هَذِهِ الْبُرْهَةِ
الْقَصِيرَةِ، وَالْفَتْرَةَ الْوَجِيزَةَ مِنْ مَرَاجِلِ الْعُمُرِ، وَمِنْ مَنَازِلِ
الْإِنْسَانِ، وَهِيَ مَنْزِلَتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَهَذِهِ الدُّنْيَا وَصَفَهَا
اللَّهُ **جَلَّ جَلَالُهُ** فَقَلَّلَ مِنْ شَأْنِهَا فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهَا مَتَاعٌ
قَلِيلٌ، فَمَهْمَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الصَّفَاءِ وَالْجُودَةِ وَالْجَمَالِ
فَإِنَّهَا مُؤَذَّنَةٌ بِالزَّوَالِ، وَهِيَ رَاحِلَةٌ يَتَّقِلُ مِنْهَا النَّاسُ
وَيَصِيرُونَ إِلَى دَارٍ يَسْتَقَرُّونَ فِيهَا؛ وَهِيَ الدَّارُ الَّتِي يَنْبَغِي
لَهُمْ أَنْ يَسْعُوا إِلَى تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ فِيهَا، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ
أَنَّ السَّعَادَةَ الْحَقَّةَ هِيَ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فَبِقَدْرِ
التَّزَامِ الْإِنْسَانِ بِهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، بِقَدْرِ
مَا يَكُونُ مَعَهُ مِنْ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَتَخْفِيفِ الْوِزْرِ، وَرَفْعِ
الذِّكْرِ.

فَمِنْ جُمْلَةِ مَا بَيْنَهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لَنَا مِنْ فَضَائِلِ اتِّبَاعِ
رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، مَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ أَمْرًا عُمُومًا
النَّاسِ: ﴿فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَكَلِمَتِيهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ [الأعراف: ١٥٨].

إِنَّ مِمَّا حَثَّ بِهِ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النَّاسَ عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنْ جَعَلَ اتِّبَاعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَبَبًا لِمَحَبَّتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فَبِقَدْرِ مَا مَعَكَ مِنْ اتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ لَكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَالإِنْسَانُ يَسْعَى لِأَنْ يَكُونَ مَحْبُوبًا لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَإِذَا كُنْتَ مِمَّنْ يَسْعَى لِذَلِكَ فَاحْرِضْ عَلَى هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَهُمْ تَمَامُ الْإِنْقِيَادِ لِمَا كَانَ يَفْعَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ ذَلِكَ نَمُودَجُ حَفِظْتَهُ السُّنَّةَ لَنَا وَهُوَ: أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ فِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ فَخَلَعَ نَعْلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَمَا كَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَّا أَنْ خَلَعُوا نِعَالَهُمْ تَأْسِيًا وَاقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لَيْسَ الْخَاتَمَ فَلَيْسُوهُ، خَلَعَ الْخَاتَمَ

فَخَلَعُوهُ، وَهَكَذَا كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ،
حَتَّىٰ أَنَّهُمْ حَفِظُوا لَنَا حَرَكَةَ لِحْيَتِهِ وَهُوَ يُصَلِّي؛ لِشِدَّةِ
تَأْسِيهِمْ بِهِ؛ وَنَظَرِهِمْ إِلَيَّ أَفْعَالِهِ لِيَقْتَدُوا بِهَا وَيَتَأَسَّوْا.

وَمِنْ عَجِيبِ مَا حَفِظُوهُ لَنَا: عَدَدَ مَا فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ
مِنَ الشَّيْبِ! فَحَفِظُوا أَنَّ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ تِسْعَ شَعْرَاتٍ
مِنَ الشَّيْبِ فَقَطْ لَا غَيْرَ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنَّ الصَّحَابَةَ
جَعَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الْمَجْهَرِ عِنْدَهُمْ
إِنْ صَحَّ التَّعْيِيرُ، يَرْفُؤُونَ فِعْلَهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ مَا يَفْعَلُ،
وَلَيْسَ نَظَرٌ تَرَفُّهُ وَتَفَكُّهُ وَحُبُّ اسْتِطْلَاعِ، وَإِنَّمَا هُوَ نَظَرٌ
اتِّبَاعٍ وَاقْتِدَاءٍ، فَكَانُوا يَهْتَدُونَ وَيَقْتَدُونَ بِهِ فِي دَقِيقِ الْأَمْرِ
وَجَلِيلِهِ، حَتَّىٰ يَعْمَلُوا بِقَوْلِهِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ
يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»⁽¹⁾.

إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى السَّعَادَةِ فِيهِ نَوْعٌ صُعُوبَةٌ لَا سِيَّمَا فِي
مَبَادِيهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ،
وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»⁽²⁾.

(1) أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ (7791).

(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2822).

لِذَلِكَ يَحْتَاجُ هَذَا الطَّرِيقُ إِلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَتَخَلَّى الْإِنْسَانُ عَنْ مَأْلُوفِهِ، وَمَا اعْتَادَهُ وَمَا شَبَّ عَلَيْهِ وَتَرَبَّى عَلَيْهِ، وَالنَّظْرُ إِلَى هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي جُلِّ شُؤُونِهِ؛ لِذَلِكَ نَحْتَاجُ إِلَى عَزْمٍ أَكِيدٍ، وَرَغْبَةٍ صَادِقَةٍ، وَجُهْدٍ مُتَوَاصِلٍ، وَلَكِنْ مَعَ النَّظْرِ إِلَى الثَّمَرَةِ، وَمَا سَنَجْنِيهِ سَيَكُونُ بَاعِثًا شَدِيدًا عَلَى الاستِمْرَارِ وَالسَّيْرِ مَضْحُوبًا ذَلِكَ بِالاستِعَانَةِ بِاللَّهِ وَابْتِسَامَةِ قَلْبِكَ وَرُوحِكَ لِتَتَّصَلَ بِابْتِسَامَةِ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُبَلِّغَنَا وَإِيَّاكُمْ هَدْيَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى التِّزَامِ سُنَّتِهِ، وَأَنْ يَسْلُكَ بِنَا سَبِيلَهُ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَا أَبِي؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي»⁽¹⁾.

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (7280).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ
بِهِ» (1).

عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ عُمَرَ فَلَمَّا طَافَ اسْتَقْبَلَ الْحَجَرَ فَقَالَ: إِنِّي
أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ، ثُمَّ قَبَّلَهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:
بَلَىٰ إِنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، قَالَ: بِمِ قَالِ بِكِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ
مِنَ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا
بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَمَسَحَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ فَقَرَّرَهُمْ بِأَنَّهُ الرَّبُّ
وَأَنَّهِمُ الْعَبِيدُ، وَأَخَذَ عُهُودَهُمْ وَمَوَائِقَهُمْ، وَكَتَبَ ذَلِكَ
فِي رِقٍّ وَكَانَ لِهَذَا الْحَجَرِ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ، فَقَالَ: افْتَحْ
فَفَتَحَ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ ذَلِكَ الرَّقِّ، وَقَالَ: أَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاكَ
بِالْمُؤَافَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَجَرِ
الْأَسْوَدِ وَلَهُ لِسَانٌ ذَلِقٌ يَشْهَدُ لِمَنْ يَسْتَلِمُهُ بِالتَّوْحِيدِ فَهُوَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ
أَعِيشَ فِي قَوْمٍ لَسْتُ فِيهِمْ يَا أبا حَسَنِ»⁽¹⁾.

ضَحِكُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ وُضُوئِهِ:

عَنْ ذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَعَا
بِمَاءٍ فَتَمَضَّمَصَّ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا،
وَذَرَعِيهِ ثَلَاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، وَظَهَرَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ ضَحِكَ،
فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَلَا تَسْأَلُونِي مَا أَضْحَكَنِي؟ فَقَالُوا:
مَا أَضْحَكَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ كَمَا تَوَضَّأْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ
فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مَا أَضْحَكَنِي؟ فَقَالُوا: مَا أَضْحَكَكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَعَا
بِوُضُوءٍ فَغَسَلَ وَجْهَهُ، حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ خَطِيئَةٍ أَصَابَهَا
بِوُجْهِهِ، فَإِذَا غَسَلَ ذِرَاعَيْهِ كَانَ كَذَلِكَ، وَإِنْ مَسَحَ بِرَأْسِهِ

(1) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (1682).

كَانَ كَذَلِكَ، وَإِذَا طَهَّرَ قَدَمَيْهِ كَانَ كَذَلِكَ» (1).

إِنَّ مِمَّا حَثَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَحَثَّ بِهِ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ اتِّبَاعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.
وَرَتَّبَ عَلَى اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْفَلَاحَ، فَقَالَ: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أَيُّ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْفَلَاحَ الْكَامِلَ؛ وَالْفَلَاحُ هُوَ مَنْ أَتَمَّ وَأَبْلَغَ كَلِمَاتِ الْعَرَبِ فِي حُصُولِ الْمَقْصُودِ، وَالْأَمْنِ مِنَ الْمَرْهُوبِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَفْلَحَ فَقَدْ أَدْرَكَ رَغْبَتَهُ، وَحَصَلَ طَلِبَتُهُ، وَأَمِنَ مِمَّا يَخَافُ وَيَحْذَرُ؛ وَلِذَلِكَ إِذَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِالْفَلَاحِ عَنْ عَبْدٍ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي النَّعِيمِ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِي تَحْصِيلِ مَطْلُوبَاتِهِ، وَالْأَمْنِ مِمَّا يَكْرَهُ، ﴿أَوْلَيْتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، وَالنُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ: كِتَابَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَهُوَ السُّنَّةُ

(1) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (415).

الَّتِي جَاءَ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]. أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى الاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ مَا الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِهِ وَفِي نَهْيِهِ، وَفِي قَوْلِهِ وَفِي تَرْكِهِ وَفِي فِعْلِهِ، وَفِي كُلِّ مَا دَعَانَا إِلَيْهِ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، مَا الَّذِي يُرِيدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ؟ إِنَّهُ يُرِيدُ لَنَا الْحَيَاةَ الْكَامِلَةَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَالْحَيَاةَ الْكَامِلَةَ فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ فِي الدُّنْيَا: فَإِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ وَأَكْمَلَهُمْ حَيَاةً هُمْ أَتْبَاعُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَالْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالاسْتِجَابَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَّا الْآخِرَةُ: فَاتَّبَاعُهُ لَهُمُ الْجَنَّةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي وَصْفِهَا: ﴿وَأَبْوَابُ الدَّارِ الْآخِرَةِ لَهِيَ مَتَّحَتَةٌ لِلْحَيَوَانِ﴾ [العنكبوت: ٢٤] أَيِ الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ الْحَقِيقِيَّةِ.

فَلتَبَسِّمِ وَلتَنْشُرِ الْأَفْرَاحَ وَلتَتْرِكِ الْأَوْجَاعَ وَالْأَتْرَاحَ

تَبَسُّمٌ
Tabassam

إِنَّ التَّبَسُّمَ بِلِسْمٍ لِحِرَاحِنَا وَلِكُلِّ قَلْبٍ إِنَّهَا مِفْتَاحُ
وَهِيَ السَّبِيلُ لِمَنْ أَرَادَ سَعَادَةً وَهِيَ الْمَعِينُ لِمُبْتَغِي الإِصْلَاحِ





البِسْمَةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ

الْعَدْلُ فِي قَضَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

أَحَبَّتِي فِي اللَّهِ قَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا**
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ
نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾** [النساء: ٥٨]، يُعَدُّ الْقَضَاءُ فِي
الإِسْلَامِ مِنْ أَهَمِّ الْوِظَائِفِ التَّابِعَةِ لِلْخِلَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ،
وَهُوَ مِنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي الإِسْلَامِ، وَمُهَمَّتُهُ الْفَصْلُ بَيْنَ
النَّاسِ فِي الْخُصُومَاتِ حَسْمًا لِلتَّوَادِعِ وَقَطْعًا لِلتَّنَازُعِ،
وَذَلِكَ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَلَقَّاةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الْقَضَاءَ الإِسْلَامِيَّ أَوْ النِّظَامَ الْقَضَائِيَّ
فِي الْحَضَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ اِحْتَلَّ مَكَانَةً كَبِيرَةً فِي دَوْلَةِ
الإِسْلَامِ، مِنْ أَجْلِ هَذَا هَابَ الصَّالِحُونَ مَنْصِبَ الْقَضَاءِ
وَتَبِعَاتِهِ، وَحَرَّصُوا عَلَى دَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَيُرْوَى لَنَا
تَارِيخُ الإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ مَوَاقِفَ مُضِيئَةً، نَذُكُرُ مِنْهَا مَا
رُوِيَ مِنْ أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ عَرَضَ عَلَى ابْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**
الْقَضَاءَ فَأَبَى، وَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ لِقَبُولِهِ مُذَكَّرًا إِيَّاهُ بِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ

يَقْضِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنْ أَبِي كَانَ يَقْضِي، فَإِذَا أُشْكِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا أُشْكِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ جَبْرِيلَ، وَإِنِّي لَا أَجِدُ مَنْ أَسْأَلُ.

وَرُوِيَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرَادَ أَنْ يُؤَلِّيَ (يَزِيدَ بْنَ مَرْثِدٍ) الْقَضَاءَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ، فَلَبَسَ فَرَوَةً وَقَلَبَهَا، فَجَعَلَ الْجِلْدَ عَلَى ظَهْرِهِ وَالصُّوفَ خَارِجًا، وَأَخَذَ بِيَدِهِ رَغِيفَ خُبْزٍ وَعِرْقًا (أَيَّ عَظْمٍ عَلَيْهِ لَحْمٌ)، وَخَرَجَ بِهَا رِذَاءً وَلَا قُلُنْسُوءَ (أَيَّ حَاسِرِ الرَّأْسِ) وَلَا نَعْلَ وَلَا خُفًّا، وَجَعَلَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَأْكُلُ، فَقِيلَ لِلْوَلِيدِ: إِنَّ يَزِيدَ قَدْ اخْتَلَطَ (أَيَّ حَرْفٍ) وَأُخْبِرَ بِمَا فَعَلَ، فَتَرَكَهُ الْوَلِيدُ.

وَلَقَدْ غَرَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَفْحَةَ الْعَدْلِ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ كَانَ الْمَثَلَ الْأَعْلَى فِي تَنْفِيذِ تِلْكَ الْأَوَامِرِ، فَكَانَ خُلِقَ الْعَدْلُ غَرِيزَةً فُطِرَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ حَدَاثَةِ سِنِّهِ؛ فَقَدْ شَهِدَ حِلْفَ الْفُضُولِ الَّذِي عَقَدَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِنُصْرَةِ

الْمَظْلُومِ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ، وَذَلِكَ قَبْلَ بَعْثِهِ،
وَكَذَلِكَ لَمَّا اخْتَلَفَتْ فُرَيْشٌ عَلَى رَفْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ
عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ رَضِيَتْ بِهِ حَكَمًا عَادِلًا؛ مَعَ أَنَّ قَبِيلَتَهُ
قَبِيلَةُ بَنِي هَاشِمٍ طَرَفٌ فِي الْقَضِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ فَرْطِ
ثِقَتِهِمْ فِي عَدْلِهِ قَبِلُوا بِهِ حَكَمًا.

لَقَدْ حَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَدْلِ
بَعْدَمَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِلْعَالَمِينَ فَأَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْعَدْلَ
بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَجَعَلَهُ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَكُلِّ
لَحْظَةٍ، وَلَعَلَّ مِنْ أَشْهَرِ مَوَاقِفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا عَدْلُهُ وَقُوَّتُهُ فِي الْحَقِّ، مَا رَوَتْهُ السَّيِّدَةُ
عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِقَوْلِهَا: «إِنْ قَرِيشًا أَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ
الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا
أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ
أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ
مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ؟! ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبَلَكُمُ

أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَأَيُّمُ اللهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»⁽¹⁾.

امتدَّ قضاؤه العادلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى غيرِ المُسلمينَ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لِقِيِ اللهِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»⁽²⁾.

وَقَالَ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «لَكَ بَيْنَةٌ؟» قُلْتُ: لَا، فَقَالَ لِيهِودِي: «احْلِفْ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا يَحْلِفُ وَيَذْهَبُ بِمَالِي، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﷻ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(2) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (2416)، وَمُسْلِمٌ (222).

عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿[آل عمران: ٧٧]﴾^(١).

إِنَّهُ لَمَوْقِفٌ نَادِرٌ حَقًّا! إِنَّهُ اخْتِصَامٌ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرِ يَهُودِيٌّ، فَيَأْتِيَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا، فَلَا يَجِدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَامَهُ إِلَّا أَنْ يُطَبَّقَ الشَّرْعَ فِيهِمَا دُونَ مُحَابَاةٍ وَلَا تَحْيِيزٍ، وَالشَّرْعُ يُلْزِمُ الْمُدَّعِيَّ وَهُوَ الْأَشْعَثُ بِنُ قَيْسٍ بِالْبَيِّنَةِ أَوْ الدَّلِيلِ، فَإِنْ فَشَلَ فِي الْإِثْيَانِ بِالِدَّلِيلِ فَيَكْفِي أَنْ يَحْلِفَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَهُوَ الْيَهُودِيٌّ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَتَّهَمُهُ بِهِ الْمُدَّعِي، فَيُصَدَّقُ فِي ذَلِكَ، وَذَلِكَ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»^(٢).

لِهَذَا أَحَبَّتِي فِي اللَّهِ ابْتَسِمُوا وَلَا تَكْتَرُوا كَثِيرًا لِمَا يُقَالُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَلِتَجِدُوا سَلَوَاكُمْ فِي أَنْ كَثِيرًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ الْجُدُدِ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ عِنْدَمَا يَسْأَلُونَ عَنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (2416).

(٢) أَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ (3190).

سَبَبِ دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَبَاعِثُهُمْ فِي ذَلِكَ تَكُونُ
إِجَابَتَهُمْ عَدْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا رَأَوْهُ فِي هَذَا
الدِّينِ مِنَ السَّمَاخَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَأَبْتَسِمُوا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ
عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، هَلَكْتُ قَالَ: مَا أَهْلَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي،
وَأَنَا صَائِمٌ وَفِي رِوَايَةٍ: أَصَبْتُ أَهْلِي فِي رَمَضَانَ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تَعْتِقُهَا؟ قَالَ:
لَا: قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ؟ قَالَ:
لَا، قَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ:
فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِعَرِقٍ فِيهِ تُمْرٌ - وَالْعَرِقُ: الْمَكْتَلُ -
قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: خُذْ هَذَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ،
فَقَالَ الرَّجُلُ: عَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ
لَابَتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي،
فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ

قَالَ: **أَطْعَمَهُ أَهْلَكَ**» (1).

وَهَذَا الْحَدِيثُ يَحْتَوِي عَلَى عِدَّةِ مَسَائِلَ، وَهِيَ:
اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ مَنْ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً لَا حَدَّ فِيهَا،
وَجَاءَ مُسْتَفْتِيًّا: أَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ لِأَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ، مَعَ
اعْتِرَافِهِ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى: أَنَّ مَجِيئَهُ مُسْتَفْتِيًّا يَقْتَضِي النَّدَمَ
وَالْتَوْبَةَ، وَالتَّعْزِيرُ اسْتِصْلَاحٌ، وَلَا اسْتِصْلَاحَ مَعَ الصَّلَاحِ،
وَلِأَنَّ مُعَاقِبَةَ الْمُسْتَفْتِي تَكُونُ سَبَبًا لِتَرْكِ الاسْتِفْتَاءِ مِنَ
النَّاسِ عِنْدَ وَقُوعِهِمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ مَفْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ
يَجِبُ دَفْعُهَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ فِي
الدُّنْيَا عَلَى مَنَابِرَ مِنْ لَوْلُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ
بِمَا أَقْسَطُوا فِي الدُّنْيَا» (2).

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(2) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (7006)، وَأَحْمَدُ (6485).

رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ افْتَقَدَ
 دِرْعًا لَهُ كَانَتْ أَثِيرَةً عِنْدَهُ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ وَجَدَهَا فِي يَدِ
 رَجُلٍ يَهُودِيٍّ يَبِيعُهَا فِي سُوقِ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا،
 وَقَالَ: هَذِهِ دِرْعِي سَقَطَتْ عَنْ جَمَلٍ لِي فِي لَيْلَةٍ كَذَا وَفِي
 مَكَانٍ كَذَا، فَقَالَ الذَّمِّيُّ: بَلْ هَذِهِ دِرْعِي، وَفِي يَدِي يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ، وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ الْإِمَامُ
 عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْصَفْتَ فَهَلُمَّ إِلَيْهِ، فَلَمَّا صَارَا عِنْدَ شُرَيْحِ
 الْقَاضِي فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ، قَالَ شُرَيْحٌ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا
 رَيْبَ عِنْدِي فِي أَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا تَقُولُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
 وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ شَاهِدَيْنِ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَعَمْ،
 مَوْلَايَ قَنْبَرٌ وَوَلَدِي الْحَسَنُ يَشْهَدَانِ لِي، فَقَالَ شُرَيْحٌ:
 وَلَكِنْ شَهَادَةُ الْإِبْنِ لِأَبِيهِ لَا تَجُوزُ، فَقَالَ عَلِيُّ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ
 رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ، أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ
 أَهْلِ الْجَنَّةِ»⁽¹⁾. فَقَالَ شُرَيْحٌ: بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، غَيْرَ أَنِّي

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3768)، وَأَحْمَدُ (11777).

لَا أُجِيزُ شَهَادَةَ الْوَالِدِ لِوَالِدِهِ، عِنْدَ ذَلِكَ التَّفَتَّ عَلَيَّ إِلَى
الذَّمِّيِّ، وَقَالَ: خُذْهَا، فَلَيْسَ عِنْدِي شَاهِدٌ غَيْرُهُمَا، فَقَالَ
الذَّمِّيُّ: وَلَكِنِّي أَشْهَدُ بَأَنَّ الدَّرْعَ دَرْعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
ثُمَّ أَرَدَفَ قَائِلًا: يَا اللَّهُ! أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُقَاضِيَنِي أَمَامَ قَاضِيهِ،
وَقَاضِيهِ يَقْضِي لِي عَلَيْهِ، أَشْهَدُ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي يَأْمُرُ بِهَذَا
لِحَقٍّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

الْعَدْلُ خُلِقَ كَرِيمٌ وَصِفَةٌ عَظِيمَةٌ جَلِيلَةٌ مُحَبَّبَةٌ إِلَى
النُّفُوسِ، تَبَعَتْهُ الْأَمَلُ لَدَى الْمَظْلُومِينَ؛ لِذَلِكَ جَاءَ أَمْرُ
اللَّهِ صَرِيحًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠].

كَمَا أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِالْعَدْلِ مَعَ الْعَدُوِّ رَغْمَ شِدَّةِ
كَرَاهِيَّتِنَا لِأَفْعَالِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاانُ
قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] فَالْعَدْلُ
يُعِيدُ الْأُمُورَ إِلَىٰ نِصَابِهَا، وَبِهِ تُؤَدَّى الْحُقُوقُ لِأَصْحَابِهَا،
وَمَا وُجِدَ فِي قَوْمٍ إِلَّا سَعْدُوا، وَمَا فُقِدَ عِنْدَ آخَرِينَ إِلَّا
شَقُوا، وَفَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سَبَبًا لِإِفْتِخَارِنَا
وَسَعَادَتِنَا بِأَنَّنا نَنْتَمِي لِهَذَا النَّبِيِّ الْعَادِلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.



مَلِكُ الْقُلُوبِ بِالِابْتِسَامَةِ

كُلُّ الْقُلُوبِ إِلَى الْحَبِيبِ تَمِيلُ وَمَعِيَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ وَدَلِيلُ
أَمَّا الدَّلِيلُ إِذَا ذَكَرْتُ مُحَمَّدًا صَارَتْ دُمُوعُ الْعَاشِقِينَ تَسِيلُ

أَحِبَّتِي فِي اللَّهِ: لَقَدْ شَقَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ طَرِيقَهُ
إِلَى الْقُلُوبِ بِالِابْتِسَامَةِ، فَأَذَابَ جَلِيدَهَا، وَبَثَّ الْأَمَلَ
فِيهَا، وَأَزَالَ الْوَحْشَةَ مِنْهَا، بَلْ سَنَّ لِأُمَّتِهِ وَشَرَعَ لَهَا هَذَا
الْخُلُقَ الْجَمِيلَ، وَجَعَلَهُ مِنْ مَيَادِينِ التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرِ،
وَمَعَ وَضُوحِ هَذَا الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ وَنَصَاعَتِهِ إِلَّا أَنَّكَ تَرَى
بَعْضَ النَّاسِ يَجْلِبُ إِلَى نَفْسِهِ وَإِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَنْ حَوْلَهُ
الشَّقَاءَ بِحَبْسِ هَذِهِ الْابْتِسَامَةِ فِي نَفْسِهِ.

إِنَّكَ تَشْعُرُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ مِنْ شِدَّةِ عُبُوسِهِ وَتَقْطِيبِهِ
يَظُنُّ أَنَّ أَسْنَانَهُ عَوْرَةٌ مِنْ قَلْبِهِ مَا يَتَبَسَّمُ، فَأَيْنَ هُوَ لِأَنَّ
هَذَا الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الْعَظِيمِ.

لَقَدْ مَلَكَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْقُلُوبَ
بِابْتِسَامَتِهِ لَمْ لَا! وَهُوَ جَمِيلُ الصِّفَاتِ مُشْرِقُ الْمُحْيَا،

قَرِيبٌ مِنَ الْقُلُوبِ، حَيْبٌ إِلَى الْأَزْوَاحِ، سَهْلٌ الْخَلِيقَةِ،
مَيْسِرٌ الطَّرِيقَةِ، مُبَارَكٌ الْحَالِ، تَعْلُوهُ مَهَابَةٌ وَتُرَافِقُهُ جَلَالَةٌ،
عَلَى وَجْهِهِ نُورُ الرِّسَالَةِ، وَعَلَى ثَغْرِهِ بَسْمَةُ الْمَحَبَّةِ، حَيُّ
الْقَلْبِ، ذَكِيُّ الْخَاطِرِ، عَظِيمُ الْفِطْنَةِ، سَدِيدُ الرَّأْيِ، رَيَّانُ
الْمَشَاعِرِ بِالْخَيْرِ، يَسْعَدُ بِهِ جَلِيسُهُ، وَيَنْعَمُ بِهِ رَفِيقُهُ،
وَيَرْتَاحُ لَهُ صَاحِبُهُ، يُحِبُّ الْفَأَلَ وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ، يَعْغُو
وَيَضْفَحُ، وَيَسْخُو وَيَمْنَحُ، أَجْوَدُ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ،
وَأَكْرَمُ مِنَ الْغَيْثِ الْهَاطِلِ، وَأَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ، وَسِعَ النَّاسَ
بِأَخْلَاقِهِ وَطَوَّقَ الرَّجَالَ بِكَرَمِهِ، وَأَسْعَدَ الْبَشَرِيَّةَ بِدَعْوَتِهِ،
«مَنْ رَأَهُ بِدَيْهَةٍ هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ
نَاعَتُهُ: لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ قَطُّ»⁽¹⁾.

كَلَامُهُ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ، وَسَجَايَاهُ تَأْسِرُ الْأَزْوَاحَ.
وَمِمَّا حَدَّثَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مَلِكُ
الْقُلُوبِ بِرَحْمَتِهِ وَعَطْفِهِ، فَلَقَدْ نَالَ أَهْلُ مَكَّةَ عَفْوًا
عَامًّا رَغْمَ أَنْوَاعِ الْأَذَى الَّتِي أَلْحَقُوهَا بِهِ وَبِدَعْوَتِهِ، وَمَعَ

(1) جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3638).

قُدْرَةَ الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى إِبَادَتِهِمْ، وَقَدْ جَاءَ إِعْلَانُ الْعَفْوِ عَنْهُمْ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ قُرْبَ الْكَعْبَةِ يَنْتَظِرُونَ حُكْمَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ فِيهِمْ، فَقَالَ: «مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟»، فَقَالُوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ⁽¹⁾.

فَقَالَ: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[يوسف: ٩٢]. وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أَثَرِ عَفْوِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الشَّامِلِ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَالْعَفْوِ عَنْ بَعْضِ مَنْ أَهْدَرَ دِمَاءَهُمْ، أَنْ دَخَلَ أَهْلُ مَكَّةَ رِجَالًا وَنِسَاءً وَأَحْرَارًا وَمَوَالِي فِي الْإِسْلَامِ طَوَاعِيَةً وَاخْتِيَارًا، وَبِدُخُولِ مَكَّةَ تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا، فَلِنَظَرِ إِلَى رَسُولِنَا الْكَرِيمِ وَلِنَتَعَلَّمَ مِنْهُ كَيْفَ عَامَلَ أَعْدَاءَهُ بِاللِّينِ وَالرَّفْقِ وَالِابْتِسَامَةِ فِي وُجُوهِهِمْ فَلَانَتْ لَهُ الْقُلُوبُ الْقَاسِيَةُ وَصَفَتْ لَهُ النُّفُوسُ الْمُوَحِّشَةُ فَمَهْمَا كَانَ أَعْدَاؤُكَ فَانْتَهَجْ نَهَجَ نَبِيِّكَ فِيهِمْ فَلَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا.

(1) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى (18275).

يَقُولُ فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيُّ: «قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ
عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَكُنْتُ أُرِيدُ قَتْلَهُ، فَلَمَّا
اقْتَرَبْتُ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي: **أَفْضَالَةُ؟**
قُلْتُ: نَعَمْ فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ
نَفْسَكَ؟** قُلْتُ: لَا شَيْءَ، كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ، قَالَ: فَضَحِكَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ لِي: **اسْتَغْفِرِ اللَّهَ**، ثُمَّ وَضَعَ
يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى صَدْرِي، فَوَاللَّهِ مَا رَفَعَهَا حَتَّى مَا مِنْ
خَلْقِ اللَّهِ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ»⁽¹⁾.

جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ مُتَنَكِّرَةً خَوْفًا
مِنَ الرَّسُولِ أَنْ يَعْرِفَهَا، لِمَا صَنَعَتْ بِعَمِّهِ حَمْزَةَ، فَقَالَ
الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَبَايَعَنَّ عَلَى الْأَلَا
تُشْرِكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا»**، فَبَايَعَهُنَّ عَلَى الْأَلَا يُشْرِكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا،
فَقَالَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ: **«وَلَا تَسْرِقْنَ»**، فَقَالَتْ هِنْدُ: **«إِنَّ أَبَا
سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَإِنْ أَنَا أَصَبْتُ مِنْ مَالِهِ هَنَاتٍ؟»**،
فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **«وَمَا أَصَبْتُ فَهُوَ لَكَ حَلَالٌ»**، فَضَحِكَ

(1) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

الرَّسُولُ وَعَرَفَهَا، فَقَالَ: «وَإِنَّكَ لَهِنْدٌ؟»، قَالَتْ: «نَعَمْ،
فَاعْفَ عَمَّا سَلَفَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، عَفَا اللَّهُ عَنْكَ»، فَقَالَ: «وَلَا
يَزْنِينَ»، فَقَالَتْ: «أَوْتَرْنِي الْحُرَّةُ؟»، فَقَالَ: «وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَادَهُنَّ»، فَقَالَتْ: «رَبَّيْنَاهُمْ صِغَارًا، وَقَتَلْتُمُوهُمْ كِبَارًا،
فَأْتُمْ وَهُمْ أَعْلَمُ» - وَكَانَ ابْنُهَا حَنْظَلَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ
قَدْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ - فَضَحِكَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى اسْتَلْقَى،
فَتَبَسَّمَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتَانٍ»،
فَقَالَتْ: «وَاللَّهِ إِنَّ الْبِيْهْتَانَ لَأَمْرٌ قَبِيْحٌ، وَمَا تَأْمُرُنَا إِلَّا بِالرُّشْدِ
وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»، فَقَالَ: «وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ»،
فَقَالَتْ: «وَاللَّهِ مَا جَلَسْنَا مَجْلِسَنَا هَذَا وَفِي أَنْفُسِنَا أَنْ
نَعْصِيَنَّكَ»، وَلَمَّا رَجَعَتْ جَعَلَتْ تَكْسِرُ صَنَمَهَا، وَتَقُولُ:
كُنَّا مِنْكَ فِي غُرُورٍ⁽¹⁾.

وَمِنْ ذَلِكَ مَوْقِفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثُمَامَةَ بْنِ أَنَاثِلٍ
سَيِّدِ بَنِي حَنِيفَةَ وَقَدْ كَانَ عَدُوًّا لَهُ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(1) ذَكَرَهُ الْبَعَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (8/101)، وَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ الْحَدِيثِ أَخْرَجَهُ
الْبُخَارِيُّ (2097)، وَمُسْلِمٌ (1714).

قَالَ: «بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ! فَاَنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ،

وَإِنْ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَسَلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ⁽¹⁾.

الابْتِسَامَةُ تُلِينُ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ، وَهَذَا دَرْسٌ لَهُ أَثَرٌ عَمِيقٌ فِي نُفُوسِنَا لَا بُدَّ مِنْ تَفْعِيلِهِ الْيَوْمَ مَعَ كُلِّ مَا يَمُرُّ بِنَا مِنْ مَوَاقِفَ تُوَقَّعُ بِالنَّفْسِ الْانْقِبَاضِ، وَمَعَ زِيَادَةِ النُّفُوسِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي تُرِيدُ لَأُمَّتِنَا السُّقُوطَ فَلْنَعْلَمَهُمْ دَرْسًا عَلَّمَهُ لَنَا رَسُولُنَا الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ التَّبَسُّمُ فِي وَجْهِ أَعْدَائِهِ لَيْسَ مِنْ بَابِ النِّفَاقِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ بَابِ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ وَحُبِّ الْخَيْرِ لَهَا، نَعَمْ: قَدْ تَمَّرُ بِالْإِنْسَانِ سَاعَاتٌ يَحْزَنُ فِيهَا، أَوْ يَكُونُ مَشْغُولَ الْبَالِ، أَوْ تَمَّرُ بِهِ ظُرُوفٌ خَاصَّةٌ تَجْعَلُهُ مُغْتَمًّا، لَكِنْ أَنْ يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَى حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْحُزْنُ وَالْانْقِبَاضُ، وَحَبْسَ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4372)، وَمُسْلِمٌ (1764).

تَبَسُّمٌ Tabassam

هَذِهِ الصَّدَقَةُ الْعَظِيمَةُ وَهِيَ التَّبَسُّمُ، فَهَذَا وَاللَّهُ مِنَ الشَّقَاءِ
الْمُعْجَلِ لِصَاحِبِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

يَا سَائِلِي عَنْ بَسْمَةِ الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْأَحِبَّةِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
هِيَ بَسْمَةٌ خَرَجَتْ فَفَاحَ عَبِيرُهَا فِي الْكَوْنِ حَتَّى زَالَتْ الْأَكْدَارُ
هِيَ بَسْمَةٌ نَبَوِيَّةٌ مَمْرُوجَةٌ بِالْوُدِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَسْرَارِ
هِيَ بَسْمَةٌ تُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ
يَأْتِي الصَّحَابُ إِلَيْهِ حِينَ يُصِيبُهُمْ أَلَمٌ وَهَمٌّ يُزْعِجُ الْأَفْكَارُ
فَإِذَا بِهِ وَبِـبَسْمَةِ عَفْوِيَّةٍ عَنْهُمْ يَزِيحُ الْهَمُّ وَالْأَكْدَارُ
فَتَرَاهُمْ قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُمْ مِنْ بَسْمَةِ خَرَجَتْ مِنَ الْمُخْتَارِ





الرَّحْمَةُ فِي النُّصْحِ

وَفَنُّ الْإِبْتِسَامَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

كُنْ مِثْلَهُ مُتَفَائِلًا مُتَبَسِّمًا لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمُ

أَحِبَّتِي فِي اللَّهِ: مِنْ أَكْبَرِ تِلْكَ الْوَسَائِلِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي دَعْوَتِهِ، هِيَ تِلْكَمُ الْحَرَكَةُ
الَّتِي لَا تُكَلِّفُ شَيْئًا، وَلَا تَسْتَغْرِقُ أَكْثَرَ مِنْ لَمْحَةٍ بَصَرٍ،
تَنْطَلِقُ مِنَ الشَّفَتَيْنِ، لِتَصِلَ إِلَى الْقُلُوبِ، عَبْرَ بَوَابَةِ الْعَيْنِ،
فَلَا تَسَلُ عَنْ أَثَرِهَا فِي سَلْبِ الْعُقُولِ، وَذَهَابِ الْأَحْزَانِ،
وَتَصْفِيَةِ النُّفُوسِ، وَكَسْرِ الْحَوَاجِزِ مَعَ بَنِي الْإِنْسَانِ! تِلْكَمُ
هِيَ الصَّدَقَةُ الَّتِي كَانَتْ تَجْرِي عَلَى شَفَتَيْهِ الطَّاهِرَتَيْنِ، إِنَّهَا
الْإِبْتِسَامَةُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تُفَارِقُ مُحِيًّا رَسُولَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَلَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُنَا الْكَرِيمُ
أُسُسَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهِيَ:

وَالْحِكْمَةُ هِيَ: قَوْلُ مَا يَنْبَغِي، فِي الْوَقْتِ الَّذِي
يَنْبَغِي، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي. فَيَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا
الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ.

المَوْعِظَةُ وَالْجِدَالُ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ:

كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْهِ
أَنْ يَتَحَلَّى بِخُلُقِ سَيِّدِ الدَّعَاةِ، رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
فَالْمَوْعِظَةُ، لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ حَسَنَةً، وَلَكِنْ عِنْدَمَا نَتَعَرَّضُ
لِمَوْقِفٍ فِي الْجِدَالِ فَلَا بُدَّ أَنْ نُجَادِلَ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ:

﴿وَجَادِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وَيَأْمُرُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ نَبِيَّيْنِ كَرِيمَيْنِ عَظِيمَيْنِ، أَلَا وَهُمَا:
نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى، وَنَبِيُّ اللَّهِ هَارُونَ عَلَى نَبِيَّنَا وَعَلَيْهِمَا
الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ، رَبُّ الْعِزَّةِ يَأْمُرُ مُوسَى وَهَارُونَ أَنْ
يَذْهَبَا إِلَى أَكْبَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ ظُلْمًا وَطُغْيَانًا فِي زَمَانِهِ..
إِلَى فِرْعَوْنَ، لِمَاذَا؟ لِلدَّعْوَةِ عَجِيبُ! لِدَّعْوَةِ فِرْعَوْنَ؟!

بِاللِّينِ وَالْحِكْمَةِ! وَهُوَ الَّذِي قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾

[النازعات: ٢٤]، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [الفصص: ٣٨].

فَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى حِكْمَةٍ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى لِينٍ، هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عُنْفٍ وَيَحْتَاجُ إِلَى قَسْوَةٍ، هَذَا أَكْفَرُ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ تَنَبَّهْ! فَأَنْتَ فِي مَقَامِ دَعْوَةٍ؛ فَقَالَ لَهُمَا: ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٤٣) فَقَوْلَا لَهُ، قَوْلَا لَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٦].

لَمَّا قَرَأَ سَيِّدُنَا قِتَادَةَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ قَالَ: سُبْحَانَكَ رَبِّي مَا أَحْلَمَكَ! تَأْمُرُ مُوسَى وَهَارُونَ أَنْ يَقُولَا لِفِرْعَوْنَ قَوْلًا لَيْنًا، إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ حِلْمُكَ بِفِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤]، فَكَيْفَ يَكُونُ حِلْمُكَ بَعَبِدٍ قَالَ: سَبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى! انظُرْ إِلَى الْفَهْمِ! هَذِهِ رَحْمَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا خُلُقُهُ وَهَذَا مِنْهَجُهُ، فَمَا أَحْوَجَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَيْهِ وَأَنْ نَفِيءَ إِلَيْهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ،
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي وَلِمَحَمَّدٍ وَلَا تَغْفِرْ لِأَحَدٍ مَعَنَا، فَضَحِكَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «لَقَدْ احْتَظَرْتَ وَاسِعًا؛ لَقَدْ
حَجَرْتَ وَاسِعًا» ثُمَّ وَلَّى، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ،
فَشَجَّ يَبُولُ، فَقَالَ: الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَهِقَهُ، فَقَامَ إِلَيَّ بِأَبِي
وَأُمِّي، فَلَمْ يُؤْنَبْ، وَلَمْ يَسَبَّ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا
يُبَالُ فِيهِ، وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْلِ مِنْ
مَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَيَّ بَوْلِي»⁽¹⁾.

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ
يُقَالُ لَهُ: مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هَذَا الصَّحَابِيُّ
دَخَلَ الصَّلَاةَ يَوْمًا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،
وَكَانَ هَذَا الصَّحَابِيُّ لَمْ يَعْلَمْ بَعْدُ أَنَّ حُكْمَ الْكَلَامِ فِي
الصَّلَاةِ قَدْ نُسِخَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ فِي
أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَلَمْ يَعْلَمْ هَذَا الصَّحَابِيُّ بِحُكْمِ النَّسْخِ، وَلَيْسَ

(1) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (529).

فِي ذَلِكَ مِنْ حَرَجٍ وَلَا إِثْمٍ، فَبَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانَ لَا يَبْلُغُهُ الدَّلِيلُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَوْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ، فَلَمَّا دَخَلَ هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مُعَاوِيَةَ بْنَ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ الصَّلَاةَ، وَعَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ تَعَلَّمُوا أَنَّ قَضِيَّةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ الصَّلَاةِ قَدْ نُسِخَ، فَمَاذَا قَالَ سَيِّدُنَا مُعَاوِيَةُ قَالَ: «فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ» نَظَرُوا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ: «وَأَكَلُ أُمِّيَاهُ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟!»، أَي: لِمَاذَا تَنْظُرُونَ إِلَيَّ هَكَذَا؟! قَالَ: «فَضْرَبَ الْقَوْمُ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْحَاذِهِمْ يُصِمُّونَنِي يَعْنِي: يُرِيدُونَ أَنْ يُسَكِّتُونِي - قَالَ: فَسَكَتُ - انْظُرْ مَاذَا يَقُولُ - يَقُولُ: فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ مَا كَهَرَنِي يَعْنِي: لَمْ يَنْهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي وَإِنَّمَا قَالَ لِي: «إِنَّ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» (1).

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (537).

مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَيْسَرِهَا الْابْتِسَامَةُ
الَّتِي تَجْعَلُ مِنْ تَدْعُوهِ يَتَقَبَّلُ وَيَعْبِي مَا تَقُولُ؛ لِذَلِكَ عَلَّمَنَا
الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا مِنْ مَفَاتِيحِ الْقَبُولِ
لِلنَّفُوسِ .

لَقَدْ اجْتَمَعَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَكْبَرُ الصِّفَاتِ
الْخَلْقِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ الَّتِي لَمْ يُؤْتَهَا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ
غَيْرَهُ، وَجَمَاعُ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي
أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ وَخَاصَّةُ الْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ
بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَسْتَقُوا مِنْ رَحِيقِ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي
تَعَامُلِهِ مَعَ النَّاسِ وَحِكْمَتِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ مَنْهَجَهُ
فِي الدَّعْوَةِ هُوَ الْمَنْهَجُ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ وَعَدَمُ مُخَالَفَتِهِ .





البِسْمَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

رَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْأَسْرَى

اجْعَلْ حَيَاتَكَ جَنَّةً وَلْتَبْتَسِمَ لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمُ
وَلْتَقْتَدِي بِالْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى وَكُنْ بِسَيْطَا كُنْ رَقِيقًا وَأَنْسِجِمُ⁽¹⁾

الإِسْلَامُ دِينُ السَّلَامِ وَشِعَارُهُ السَّلَامُ، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ
أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَقَاتُلُونَ لِعُقُودٍ مِنَ الزَّمَنِ لِأَجْلِ سَبَاقِ
بَيْنَ فَرَسَيْنِ أَوْ لِأَجْلِ نَاقَةٍ أَوْ لِأَسْبَابِ تَافِهَةٍ مِنْ نَيْلِ الثَّارِ
وَغَيْرِهِ، جَاءَ الإِسْلَامُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْوَتَامِ وَالسَّلَامِ، وَكَانَ
غَايَتُهُ أَنْ يُدْخَلَ النَّاسَ فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَيَنْبُدُوا الْحُرُوبَ
وَالشَّحْنَاءَ، وَأَكَّدَ عَلَى التَّمَايُزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كَمَا فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ
عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ لَا يُكْرَهُ أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ

(1) الشَّاعِرُ وَالْمُحَدِّثُ: عَبْدُ السَّلَامِ إِبْرَاهِيمُ الْحَاسِي الْمَالِكِيُّ الْأَشْعَرِيُّ
الْخَلَوْتِيُّ اللَّيْبِيُّ.

فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَيُؤَكِّدُ مِنْهَجُ الْإِسْلَامِ عَدَمَ الْعُدْوَانِ بِاسْمِ الْجِهَادِ
كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْبِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَسَلِمَ
فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

إِنَّ الْجِهَادَ فِي الْإِسْلَامِ شُرْعٌ لِغَايَاتِهِ لَا لِذَاتِهِ، وَلِهَذَا
فَإِنَّ الشَّهَادَةَ وَأَجْرَهَا الْعَظِيمَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ أَدْرَكَ غَايَةَ
الْجِهَادِ وَالتَّزَمَ بِمَبَادِيهِ، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَمْ يَتَعَرَّضْ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
لِغَيْرِ الَّذِينَ قَاتَلُوهُ، كَمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شَدِيدَ
الْحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ وَاحْتِرَامِ أَرْوَاحِ الْأَبْرِيَاءِ، وَالْعِنَايَةِ
بِالْأَسْرَى وَلَا يَسْتَخْدِمُ الْإِسْلَامُ الْقُوَّةَ لِيَفْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى
الْآخَرِينَ، وَإِنَّمَا يَسْعَى إِلَى إِحْقَاقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ،
لَقَدْ تَعَدَّدَتْ أَسَالِيبُ التَّعَامُلِ مَعَ الْأَسْرَى مِنْ دِيَانَةٍ إِلَى
أُخْرَى، وَمِنْ مُجْتَمَعٍ إِلَى آخَرَ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي يَغْلِبُ
عَلَى الْجَمِيعِ - قَبْلَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ - هُوَ الْقَسْوَةُ وَالْبَطْشُ

وَالظُّلْمُ، وَرَغَمَ شُيُوعِ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ
الْأَسْرَى إِلَّا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَحِدْ عَن
طَبِيعَتِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَهُمْ، فَلَقَدْ كَانَتْ الْقَاعِدَةُ
الْعَامَّةُ الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي
أَوَّلِ غَزْوَةِ غَنَمٍ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ أَسْرَى هِيَ: «**اسْتَوْصُوا
بِهِمْ - أَيِ بِالْأَسْرَى - خَيْرًا**»⁽¹⁾.

وَهَذِهِ الْمُعَامَلَةُ الْحَسَنَةُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْأَسْرَى لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ قَوَائِنَ نَظْرِيَّةٍ
لَيْسَ لَهَا تَطْبِيقٌ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ، وَلَكِنَّهَا تَمَثَّلَتْ فِي
مَظَاهِرَ كَثِيرَةٍ تُنبِئُ عَن قُلُوبٍ مَلَأَتْهَا الرَّحْمَةُ، بَلْ كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَرِيصًا أَيضًا عَلَى رَاحَةِ
الْأَسِيرِ الْبَدَنِيَّةِ وَالصِّحِّيَّةِ لِيُذْرِكَ - بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا
لِلشَّكِّ - أَنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ إِلَهِيٌّ، وَلَيْسَ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ!
وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ أَرْحَمَ بِالْعِبَادِ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ
أَنَّهُ أَوْصَى بِرِعَايَةِ الْأَسِيرِ حَتَّى لَوْ كَانَ هَذَا الْأَسِيرُ كَافِرًا

(1) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الصَّغِيرِ (409).

به، وَقَدْ حَرَّصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كُلَّ الْحَرِّصِ عَلَى تَطْبِيقِ هَذَا الْمَنْهَجِ الإِلَهِيِّ الرَّحِيمِ؛ فَخَرَجَتْ لَنَا عِدَّةٌ مَوَاقِفَ نَجْزِمُ أَنَّهَا لَا تُوجَدُ فِي تَارِيخِ أُمَّةٍ غَيْرِ أُمَّةِ الإِسْلَامِ، وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَهْتَمُّ بِالنَّوَاحِي النَّفْسِيَّةِ لِلْأَسْرَى وَيَحْتَرِمُهَا كُلَّ الإِحْتِرَامِ، وَيُظْهِرُ هَذَا الأَمْرَ بِوُضُوحٍ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ وَبَعْدَ الحُرُوبِ خَاصَّةً، فَجَدُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يُوجِّهُ أَصْحَابَهُ الكِرَامَ تَوْجِيهَاتٍ إِنْسَانِيَّةٍ رَاقِيَةٍ فِي شَأْنِ التَّعَامُلِ مَعَ الأَسْرَى مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ؛ فَيَنْهَى عَنِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الأُمِّ وَطِفْلِهَا؛ فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالدَّةِ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

وَكَانَ إِذَا بَعَثَ بَعْثًا أَوْ جَيْشًا أَوْ صَاهِمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا: «لَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدُرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1566)، وَالْحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ (2334)، وَأَحْمَدُ

وَلَا امْرَأَةً وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا وَلَا رَاهِبًا فِي صَوْمَعَتِهِ»⁽¹⁾.

لَقَدْ أَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ضَرْبَ غُلَامِي قُرَيْشٍ فِي أَحْدَاثِ بَدْرٍ، إِذْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقًا وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ» فَرَعِمَ كَوْنُ هَذَانِ الْغُلَامَانِ مِنَ الْجَيْشِ الْمُعَادِي، وَضَرَبُهُمَا قَدْ يَكْشِفُ لِلْمُسْلِمِينَ مَنَاطِقَ الضَّعْفِ فِي الْجَيْشِ الْقُرَشِيِّ، إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اسْتَنْكَرَ ضَرَبَهُمَا وَتَعَذِّبَهُمَا، وَهَذَا الْأَمْرُ مَا عَبَّرَ عَنْهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إِذْ سُئِلَ: أَيُعَذَّبُ الْأَسِيرُ إِنْ رُجِيَ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَةِ الْعَدُوِّ؟ قَالَ: مَا سَمِعْتُ بِذَلِكَ.

حِينَ دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ فَاتِحًا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَظُنُّونَ أَنَّهُ سَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ، بَلْ إِنْ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَعَدَّ لِذَلِكَ وَعَدُوهُ مِنْ بَابِ الْقِصَاصِ حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمْ: الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ». وَأَتْبَعَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ حَتَّى إِذَا وَقَفَ رَجُلٌ مِنْ

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (1731).

المُشْرِكِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«هُوَ عَلِيكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ
الْقَدِيدَ»⁽¹⁾.

أَيُّ رَحْمَةٍ تَسْكُنُ قَلْبَ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ لَتُنْسِيهِ أَذَى
اشْتَدَّ عَلَيْهِ فِي مَكَّةَ مِنَ الصَّدِّ وَالسُّخْرِيَّةِ وَمَكْرِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْمَظَاهِرِ لِرَحْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَا
عَامَلَ بِهِ أُسَارَى بَدْرٍ (أَوْلَى مَعَارِكِ الْإِسْلَامِ)، فَقَدْ اخْتَارَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأْيَ أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُعَامِلَهُمْ بِالْحُسْنَى وَأَنْ
يَقْبَلَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ، وَأَعْرَضَ عَنِ رَأْيِ عُمَرَ الَّذِي كَانَ يَرَى
قَتْلَهُمْ حَتَّى يَهَابَهُ الْمُشْرِكُونَ، ثُمَّ إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ
مُؤَيَّدًا رَأْيَ عُمَرَ وَمُعَاتِبًا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُوصِي أَصْحَابَهُ بِالْأَسْرَى عُمُومًا، وَهَذَا
هُوَ أَحَدُ الْأَسْرَى يُحَدِّثُنَا عَنْ عَظِيمِ امْتِثَالِ الصَّحَابَةِ بِهَذِهِ
الْوَصِيَّةِ وَاحْتِرَامِهِمْ لِهَذِهِ التَّوَجِيهَاتِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي لَا تُضَاهِيهَا
الْيَوْمَ أَخْلَاقُ الْجُنُودِ مَهْمَا بَلَغَتْ صَرَامَةَ التَّعْلِيمَاتِ وَشِدَّةَ

(1) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (3312)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (4366).

العُقُوبَاتِ، إِنَّ جُنُودَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَخَرَّجُوا مِنْ مَدْرَسَةِ الرَّحْمَةِ وَالرَّفْقِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا الْعَسْكَرِيَّةَ وَفُنُونَ الْقِتَالِ.

يَقُولُ أَبُو عَزِيزِ بْنِ عَمِيرٍ (وَهُوَ أَحَدُ الْأَسْرَى): كُنْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَدْ قَدِمُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فَكَانُوا إِذَا قَدِمُوا غَدَاءَهُمْ أَوْ عَشَاءَهُمْ خَصُّونِي بِالْخُبْزِ وَأَكَلُوا التَّمَرَ لَوْصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِنَا، فَمَا تَقَعُ فِي يَدِ أَحَدٍ مِنْهُمْ خُبْزَةٌ إِلَّا نَفَحَنِي بِهَا فَأَسْتَحِي فَأَرُدُّهَا عَلَيَّ أَحَدٍ فَرُدُّوَهَا عَلَيَّ مَا يَمْسُهَا. فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَطْوَعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَهُ!، مَا أَرْحَمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ! (1).

كَانَ مِنْ بَيْنِ الْأَسْرَى خَطِيبٌ مِنْ خُطَبَاءِ الْمُشْرِكِينَ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَيْهِ وَيَتَكَلَّمُ فِيهِ بِسُوءٍ وَهُوَ (سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو) فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَحَدُ الصَّحَابَةِ أَنْ يَنْزِعَ ثِيَابَهُ (أَسْنَانَهُ الْأَمَامِيَّةَ) لئَلَّا يَخْطُبَ فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ فَمَا كَانَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ

(1) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ت السَّقَات (1 / 645).

الرَّحِيمِ الرَّقِيقُ إِلَّا أَنْ أَبِي أَنْ يُمَثَّلَ بِهِ وَرَجَى اللَّهُ أَنْ يُهَيَّئَ
لِسُهَيْلِ الْهَدَايَةِ وَأَنْ يَقُومَ مَقَامًا يُدَافِعُ فِيهِ عَنِ الْإِسْلَامِ، إِنَّهُ
تَمَامًا نَفْسُ الْقَلْبِ الَّذِي أَبِي عَرَضَ مَلِكِ الْجِبَالِ أَنْ يُطَبَّقَ
عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، لَا يَكْتَفِي بِالْعَفْوِ بَلْ يَرْجُو لَهُمُ النَّجَاةَ
وَالْخَيْرَ.

أَتَى أَبُو أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ بِسَبِيٍّ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَصَفُّوا،
فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ
تَبْكِي؛ فَقَالَ: مَا بَيْكِيكَ؟ فَقَالَتْ: بَيْعَ ابْنِي فِي بَنِي عَبْسٍ؛
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي أُسَيْدٍ: «لَتَرْكَبَنَّ
فَلْتَحِثَّنَّ بِهِ» فَرَكِبَ أَبُو أُسَيْدٍ فَجَاءَ بِهِ، رَقَّ قَلْبُ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْمَرْأَةِ الْأَسِيرَةِ فَأَرْسَلَ أَحَدَ جُنُودِهِ
إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ لِيَأْتِيَ لَهَا بِابْنِهَا، حَتَّى يَهْدَأَ بِأَلْهَا، وَتَجِفَّ
دُمُوعُهَا⁽¹⁾.

يَقُولُ الْمُسْتَشْرِقُ غُوسْتَا فُ لُوبُون: (اِقْتَرَفَ الصَّلَيبِيُّونَ
مِنَ الْجَرَائِمِ نَحْوَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى الشَّرْقِيِّينَ، وَكَانَ

(1) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى (18308).

مِنْ ضُرُوبِ اللَّهْوِ عِنْدَهُمْ تَقْطِيعُ الْأَطْفَالِ إِرْبًا إِرْبًا وَشَيْهِمْ،
 وَيَدُلُّ سُلُوكُ الصَّلِيبِيِّينَ فِي جَمِيعِ الْمَعَارِكِ عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ
 أَشَدِّ الْوُحُوشِ حَمَاقَةً، فَقَدْ كَانُوا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ
 وَالْأَعْدَاءِ. لَقَدْ أَفْرَطَ قَوْمُنَا فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ فِي هَيْكَلِ
 سُلَيْمَانَ، وَكَانَتْ جُثُّ الْقَتْلَى تَغْرُقُ فِي الدَّمِ، وَكَانَتْ
 الْأَيْدِي وَالْأَذْرُعُ الْمَبْتُورَةُ تَسْبِحُ كَأَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَتَّصِلَ
 بِجُثِّ غَرِيبَةٍ عَنْهَا!! وَأَبَادَ الْفُرْسَانُ الصَّلِيبِيِّونَ الْأَتْقِيَاءُ!
 جَمِيعَ سُكَّانِ الْقُدْسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى،
 وَكَانَ سُلُوكُ الصَّلِيبِيِّينَ غَيْرَ سُلُوكِ الْخَلِيفَةِ الْكَرِيمِ عُمَرَ بْنِ
 الْخَطَّابِ حِينَ وَصَلَ الْقُدْسَ مِنْذُ بَضْعَةِ قُرُونٍ، وَلَا يَسَعُنَا
 سِوَى الْإِعْتِرَافِ بِأَنَّنا لَمْ نَجِدْ بَيْنَ وَحُوشِ الْفَاتِحِينَ مَنْ
 يُؤَاخِذُ عَلَى اقْتِرَافِهِ جَرَائِمَ قَتْلِ كَتْلِكَ الَّتِي اقْتَرَفْتَ ضَدَّ
 الْمُسْلِمِينَ) إِنَّهَا بِحَقِّ شَهَادَةٍ مُنْصَفَةٍ عَلَى مَنْهَجِ الرَّحْمَةِ
 الَّذِي أَسَّسَهُ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ فِي نُفُوسِ أَتْبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

اجْعَلْ حَيَاتَكَ جَنَّةً وَلْتَبْتَسِمَ لَا تَجْعَلَنَّ الْحُزْنَ فَوْقَكَ يَرْتَسِمُ
 وَلْتَفْتَدِي بِالْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى وَكُنْ بِسَيْطًا كُنْ رَقِيقًا وَأَنْسِجِمْ



البِسْمَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

رَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَيَوَانَ

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ رَحْمَةُ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، بَلْ شَمَلَتْ رَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الْعَجَمَاوَاتِ مِنَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانَ، فَكَانَ رَحْمَةً لِمَنْ عَلَى الْأَرْضِ جَمِيعًا، وَيَنْطَلِقُ الْهَدْيِيُّ النَّبِيُّ لِلرَّحْمَةِ بِالْحَيَوَانَ فِي تَوَازُنٍ يَجْمَعُ بَيْنَ مَنْفَعَةِ الْإِنْسَانِ، وَبَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّفْقِ، فَيَأْمُرُ بِرَحْمَةِ الْحَيَوَانَ وَعَدَمِ الْقَسْوَةِ مَعَهُ، وَلَا يَتَجَاهَلُ أَحْتِيَاجَاتِ الْإِنْسَانِ الْغِذَائِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا يَسْمَحُ بِالْعَبَثِ بِالْحَيَوَانَاتِ أَوْ إِيْذَائِهَا أَوْ تَكْلِيفِهَا مَا يَشُقُّ عَلَيْهَا، وَلَا يُوَافِقُ عَلَى قَوْلِ بَعْضِ جَمَاعَاتِ الرَّفْقِ بِالْحَيَوَانَ الْمُعَاصِرَةِ الَّتِي تَدْعُو إِلَىٰ مَنْعِ قَتْلِ الْحَيَوَانَاتِ بِالْكُلِّيَّةِ، تَذَرُّعًا بِالرَّفْقِ مَعَهَا وَحِمَايَةَ حُقُوقِهَا.

وَمِنْ الرَّحْمَةِ بِالْحَيَوَانَ وَالطَّيْرِ فِي هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَعْذِيبُهَا وَلَا تَجْوِيعُهَا، أَوْ تَكْلِيفُهَا

مَا لَا تُطِيقُ، وَلَا اتَّخَذَهَا هَدَفًا يُرْمَى إِلَيْهِ، بَلْ وَتَحْرِيمُ لَعْنِهَا،
وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ تَزَقْ إِلَيْهِ الْبَشَرِيَّةُ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ،
وَلَا حَتَّى فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ، الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْكِتَابَاتُ
عَنِ الرَّفْقِ بِالْحَيَوَانِ، وَقَدْ شَدَّدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
الْمُؤَاخَذَةَ عَلَى مَنْ تَقَسَّوْا قُلُوبَهُمْ عَلَى الْحَيَوَانِ وَيَسْتَهِينُونَ
بِأَلَامِهِ، وَيَبِينُ أَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى عِظَمِ قَدْرِهِ وَتَكْرِيمِهِ عَلَى كَثِيرٍ
مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ النَّارَ فِي إِسَاءَةٍ يَرْتَكِبُهَا مَعَ الْحَيَوَانِ،
فَقَدْ دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ، حَبَسَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا
وَلَا هِيَ أَطْلَقَتْهَا.. وَفِي الْمُقَابِلِ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ فِي
كَلْبٍ سَقَتَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهَا فَعَفَرَ لَهَا، وَمِنْ صَوَرِ
رَحْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْبَهِيمَةِ حَالِ
ذَبْحِهَا، وَأَثْنَى عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، بَلْ وَنَهَى أَنْ تُحَدَّ أَلَةُ
الذَّبْحِ أَمَامَهَا.

فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا

الدَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثَ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِخَ ذَيْبِحَتَهُ»⁽¹⁾.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَذْبِحُ الشَّاةَ، وَأَنَا أَرْحَمُهَا - أَوْ قَالَ:
إِنِّي أَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أذْبَحَهَا - فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ»⁽²⁾.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاةً
وَهُوَ يُحَدِّثُ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
«أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ، هَلَّا أَحَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ
تُضْجِعَهَا»⁽³⁾.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَيْبِحَةَ عُصْفُورٍ، رَحِمَهُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽⁴⁾.

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (1955).

(2) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (7562)، وَأَحْمَدُ (20363).

(3) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (7563)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (11916).

(4) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُرْتَدِّ (381)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ
(7915) وَاللَّفْظُ لَهُ.

نَهَيْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ اتِّخَاذِ شَيْءٍ فِيهِ الرُّوحُ
عَرَضًا يُتَعَلَّمُ فِيهِ الرَّمِي، فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: مَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِفَتِيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ
نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلِّ
خَاطِئَةٍ مِنْ نِبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ
عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ عَرَضًا (1).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيَّ يَحْيَى بْنُ
سَعِيدٍ وَغُلَامٍ مِنْ بَنِي يَحْيَى رَابِطٌ دَجَاجَةٌ يَرْمِيهَا، فَمَشَى
إِلَيْهَا ابْنُ عُمَرَ حَتَّى حَلَّهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا وَبِالْغُلَامِ مَعَهُ،
فَقَالَ: أَزْجُرُوا غُلَامَكُمْ عَنْ أَنْ يُصْبَرَ هَذَا الطَّيْرَ لِلْقَتْلِ،
فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ تُصْبَرَ بِهِمَةَ
أَوْ غَيْرَهَا لِلْقَتْلِ وَالتَّصْبِيرِ: أَنْ يُحْبَسَ وَيُرْمَى» (2).

وَمِنْ رَحْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَحُولَ

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (1958).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (5514).

أَحَدٌ بَيْنَ حَيَوَانٍ أَوْ طَيْرٍ وَبَيْنَ وَلَدِهِ فَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ
 مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 فِي سَفَرٍ فَاذْهَبْنَا لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمْرَةَ (طَائِرَ صَغِيرٍ)
 مَعَهَا فَرْحَانٌ، فَأَخَذْنَا فَرَحِيهَا، فَجَاءَتْ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ
 تُعْرِّشُ (تُرْفِرُ بِجَنَاحَيْهَا)، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا؟، رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»⁽¹⁾.

أَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِمُعَامَلَةِ الْحَيَوَانِ بِالرَّفْقِ،
 فَقَدْ اسْتَضَعَبَ جَمَلٌ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَأَعَادَهُ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَالِهِ الْأُولَى بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ، فَعَنَ
 أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ
 لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ (يَسْقُونَ عَلَيْهِ)، وَإِنَّهُ اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِمْ
 فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نُسْنِي عَلَيْهِ
 وَإِنَّهُ اسْتَضَعَبَ عَلَيْنَا، وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ وَقَدْ عَطَشَ الزَّرْعُ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ (382)، وَأَبُو دَاوُدَ (2675).

وَالنَّخْلُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا،
فَقَامُوا، فَدَخَلَ الْحَائِطَ (البُسْتَانَ)، وَالْجَمَلَ فِي نَاحِيَتِهِ،
فَمَشَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ، نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ،
قَالَ: لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ، فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ
يَدَيْهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا
كَانَتْ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ هَذَا بَهِيمَةٌ لَا يَعْقِلُ يَسْجُدُ لَكَ، وَنَحْنُ نَعْقِلُ،
فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ؟ قَالَ: لَا يَصْلِحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ
لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ
تَسْجُدَ لِرِزْوَجِهَا لِعِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا»⁽¹⁾.

هَكَذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كُلُّهَا رَحْمَةً،
شَمَلَتْ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، بَلْ حَتَّى
الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ، وَهُوَ الْقَائِلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

(1) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (12614)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (287).

«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اِرْحَمُوا
مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»⁽¹⁾.



(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1924)، وَأَبُو دَاوُدَ (4941).



البِسْمَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

بَيْنَ التَّنْمِيَةِ وَالتَّرْكِيبِ

يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

أَحَبِّي فِي اللَّهِ: كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهْتَمُّ بِجَسَدِهِ وَبِصِحَّتِهِ، فَيُغَذِّيهِ بِمَا يُوجِبُ نُمُوَهُ وَسَلَامَتَهُ، وَيَقِيهِ مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَمْرَاضِ، وَيَبَادِرُ إِلَى الطَّبِيبِ عِنْدَ شُعُورِهِ بِالْمَرَضِ أَوْ الْأَلَمِ لِيُعَالِجَهُ مِنْهُ، فَيَسْتَعِينُ بِالْجَسَدِ السَّلِيمِ الْقَوِيِّ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ، فَكَذَلِكَ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ، يَنْبَغِي الْإِهْتِمَامُ بِهَا وَتَغْدِيَّتُهَا بِمَا يُوجِبُ رُقِيَّتَهَا وَسَلَامَتَهَا، وَيَنْبَغِي الْعَمَلُ عَلَى وَقَائِتِهَا مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَإِذَا أُصِيبَتْ بِآفَةٍ أَوْ مَرَضٍ بَادَرَ إِلَى عِلَاجِهَا مُسْتَعِينًا بِتَقْوِيَةِ الْجَانِبِ الْإِنْسَانِيِّ فِيهَا، فَتَنْمِيَّتُهَا بِالْفَضَائِلِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ حَتَّى يَقْوَى فِيهَا جَانِبُهَا الْإِنْسَانِيُّ وَبُعْدُهَا الْمَعْنَوِيِّ وَهِيَ تَرْكِيبُ النَّفْسِ. فَالْإِنْسَانُ يُوَلَدُ وَيَنْشَأُ وَلَهُ شَهَوَاتٌ قَدْ تَكُونُ جَامِحَةً،

وَلَهُ طِبَاعٌ رُبَّمَا تَكُونُ سَيِّئَةً، وَرُبَّمَا تَسَلَّتْ إِلَىٰ أَحْوَالِهِ
مِنْ عَادَاتِ قَوْمِهِ عَادَاتٌ سَيِّئَةٌ أَوْ مَسَالِكٌ غَيْرُ سَوِيَّةٍ.. وَلَا
يَقُومُ دِينَ مَا دَامَتْ هَذِهِ الشَّوَابِ دَاخِلِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛
فَكَانَ لَا بُدَّ مِنَ التَّرَكِّيَةِ وَلَكِنْ لِمَاذَا أَحْبَبْتِي لَا بُدَّ لَنَا مِنَ
التَّرَكِّيَةِ ؟

أَوَّلًا: يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ مَا تَعْنِي هَذِهِ الْكَلِمَةُ:

قَالَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ تَطْهِيرٌ
لِلنَّفْسِ مِنْ أَدْرَانِهَا وَأَوْسَاخِهَا الطَّبِيعِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ، وَتَقْلِيلُ
قَبَائِحِهَا وَمَسَاوِيهَا، وَزِيَادَةُ مَا فِيهَا مِنْ مَحَاسِنِ الطَّبَائِعِ،
وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمِنْ التَّعْرِيفِ السَّابِقِ يُعْلَمُ أَنَّ التَّرَكِّيَةَ
تَقُومُ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ، وَهُمَا: التَّخْلِيَةُ وَالتَّحْلِيَةُ، تَخْلِيَةُ النَّفْسِ
مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ، وَتَحْلِيَّتُهَا بِالْمُكْرَمَاتِ
وَالْأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ، وَالْآنَ
أَحْبَبْتِي أَنْ لَنَا أَنْ نَعْرِفَ لِمَاذَا لَا بُدَّ لَنَا مِنَ التَّرَكِّيَةِ؟

أَوَّلًا: كَثْرَةُ الْفِتَنِ وَالْمُغْرِيَّاتِ وَأَصْنَافِ الشَّهَوَاتِ
وَالشُّبُهَاتِ؛ فَحَاجَةُ الْمُسْلِمِ الْآنَ لَا رَيْبَ إِلَيْ الْبِنَاءِ

أَعْظَمُ مِنْ حَالَةِ أَحِيهِ أَيَّامِ السَّلَفِ، وَالْجُهْدِ بِالطَّبَعِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ؛ لِفَسَادِ الزَّمَانِ وَالْإِخْوَانِ، وَضَعْفِ الْمُعِينِ، وَقِلَّةِ النَّاصِرِ.

ثَانِيًا: لِأَنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ ذَاتِيَّةً، وَلِأَنَّ التَّبَعَةَ فَرْدِيَّةً وَالْإِنْسَانَ يُحَاسِبُ عَنْ نَفْسِهِ لَا عَنْ غَيْرِهِ فَلَا بُدَّ مِنْ جَوَابٍ وَاسْتِعْدَادٍ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجَدِّدًا عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

ثَالِثًا: عَدَمُ الْعِلْمِ بِمَا نَحْنُ مُقْبِلُونَ عَلَيْهِ؛ أَهْوُ الْإِبْتِلَاءِ أَمْ التَّمَكِينِ؟ وَفِي كِلَا الْحَالَيْنِ نَحْنُ فِي أَمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَى بِنَاءِ أَنْفُسِنَا لِتَثْبُتِ فِي الْحَالَيْنِ.

رَابِعًا: لِأَنَّنا نُرِيدُ أَنْ نَبْنِي غَيْرَنَا، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ بِنَاءِ نَفْسِهِ فَهُوَ عَنْ بِنَاءِ غَيْرِهِ أَعْجَزُ، وَمِنْ مَقَاصِدِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَوِظَائِفِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَهَامِهِ الْعُظْمَى تَرْكِيَّةُ الْمُجْتَمَعِ، حَيْثُ جَعَلَ الْقُرْآنُ التَّرَكِيَّةَ إِحْدَى الرِّكَائِزِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي الْبَعْثَةِ، وَقَدْ أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ أَصْحَابُ الْقُلُوبِ النَّقِيَّةِ عَلَى أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تَصِلُ إِلَى مُنَاهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَوْلَاهَا، وَلَا تَصِلُ إِلَى مَوْلَاهَا حَتَّى تَكُونَ

صَحِيحَةٌ سَلِيمَةٌ زَكِيَّةٌ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا
طَيِّبًا، فَكُلُّ مَا طَابَتْ النَّفْسُ وَزَكَتْ قَرَبَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
فَتَسَعَدُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَأْتِسُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَسْتَعِينِي
بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ [الشمس: ٩].

وَالصَّلَاةُ تَزَكِيَّةٌ: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا
بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خُمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ
يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا. قَالَ: فَذَلِكَ
مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا»^(١).

وَالصَّدَقَةُ تَزَكِيَّةٌ: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وَالْحَجُّ تَزَكِيَّةٌ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَرَعَ لَنَا الشَّرَائِعَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَزْكُو

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (528)، وَمُسْلِمٌ (667).

نُفُوسِنَا، وَأَنْ تَصْلِحَ دُنْيَانَا وَآخِرَتُنَا، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْنَى
وَأَعَزُّ مَنْ أَنْ يَنْتَفِعَ بِطَاعَاتِ الْعِبَادِ، أَوْ أَنْ يَتَضَرَّرَ بِمَعَاصِيهِمْ
كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي
فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي»⁽¹⁾.

فَطَاعَةُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، حَلَاوَةٌ تَذَوُّقُهَا الْقُلُوبُ إِذَا
بَاشَرَتْهَا، وَهَذِهِ الْحَلَاوَةُ تَقْصُرُ دُونَهَا الْعِبَارَةُ، وَلَا تُحِيطُ
بِهَا الْإِشَارَةُ قَالَ بَعْضُهُمْ: أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدُّ مِنْ
أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ، وَلَوْ لَا اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ فِي
الدُّنْيَا، فَمَنْ أَرَادَ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَهَّدَ نَفْسَهُ
بِالِصَّلَاحِ وَالتَّزْكِيَةِ؛ فَكَمَا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَوْ
كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا، فَكَذَلِكَ قُلُوبُ الْعِبَادِ، لَوْ
كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتْ بِذَلِكَ فَسَادًا لَا يُرْجَى لَهُ
صَلَاحٌ، حَتَّى تَعْرِفَ رَبَّهَا عَزَّ وَجَلَّ وَتَعْبُدَهُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ،
وَالنُّفُوسُ الْجَاهِلِيَّةُ حَتَّى تَتَرَقَّى فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَوِلَايَتِهِ تَحْتَاجُ إِلَى رِفْقٍ وَمُدَارَاةٍ حَتَّى تَصِيرَ سَعَادَتَهَا فِي

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2577).

الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: عَالَجْتُ قِيَامَ
اللَّيْلِ سَنَةً وَتَمَتَّعْتُ بِهِ عِشْرِينَ سَنَةً.

فَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يُعَالِجُ نَفْسَهُ وَيُجْبِرُهَا عَلَى مَا فِيهِ
سَعَادَتَهَا، وَهَذِهِ الْمُعَالَجَةُ لَنْ تَطُولَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَا تَلْبَثُ نَفْسُ
العَبْدِ أَنْ تَتَعَلَّمَ وَتَذُوقَ حَلَاوَةَ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ المَعَاصِي.
نَصَحَتْ إِحْدَى الصَّالِحَاتِ مِنَ السَّلَفِ بِنَيْهَا فَقَالَتْ
لَهُمْ: تَعَوَّدُوا تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ، فَإِنَّ الْمُتَّقِينَ أَلْفَتْ
جَوَارِحُهُمُ الطَّاعَةَ فَاسْتَوْحَشَتْ مِنْ غَيْرِهَا، فَإِذَا أَمَرَهُمُ
المَلْعُونُ بِمَعْصِيَةٍ مَرَّتِ المَعْصِيَةُ بِهِمْ مُحْتَشِمَةً فَهُمْ لَهَا
مُنْكَرُونَ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ
خُلُقًا»⁽¹⁾، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفَاسِفِهَا.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الدِّينُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
حُسْنُ الخُلُقِ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ يَمِينِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1162، 2792)، وَالنَّسَائِيُّ (9154).

مَا الدِّينُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حُسْنُ الْخُلُقِ، ثُمَّ آتَاهُ
 مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ فَقَالَ: مَا الدِّينُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
 حُسْنُ الْخُلُقِ، ثُمَّ آتَاهُ مِنْ وَرَائِهِ فَقَالَ: مَا الدِّينُ؟
 فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَمَا تَفْقَهُ؟ هُوَ أَنْ لَا
 تَغْضَبَ»⁽¹⁾.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ بِخَيْرٍ مَا
 كَانَ لَهُ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِهِ وَكَانَتْ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هِمَّتِهِ».
 وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ: «لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى
 يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِه».

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «الْمُؤْمِنُ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ،
 يُحَاسِبُ نَفْسَهُ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا خَفَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى
 قَوْمٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا شَقَّ الْحِسَابُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ».
 وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَحَدِ عُمَّالِهِ

(1) أَخْرَجَهُ الْخَرَائِطِيُّ فِي مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ (ص: 163).

فَقَالَ: «حَاسِبْ نَفْسَكَ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشُّدَّةِ،
فَإِنَّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشُّدَّةِ
عَادَ أَمْرُهُ إِلَى الرِّضَى وَالغِبْطَةِ، وَمَنْ أَلْهَتْهُ حَيَاتُهُ وَشَغَلَتْهُ
أَهْوَاؤُهُ عَادَ أَمْرُهُ إِلَى النَّدَامَةِ وَالْخُسَارَةِ».

وَكَانَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَجِيءُ إِلَى الْمِصْبَاحِ فَيَضَعُ
أَصْبَعَهُ فِيهِ ثُمَّ يَقُولُ: «حَسَّ يَا حُنَيْفُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا
صَنَعْتَ يَوْمَ كَذَا، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ يَوْمَ كَذَا؟»
وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، عَنِ وَهْبٍ قَالَ: «مَكْتُوبٌ
فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ: حَقُّ عَلَى الْعَاقِلِ أَلَّا يَغْفَلَ عَنْ أَرْبَعِ
سَاعَاتٍ: سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا
نَفْسَهُ، وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا مَعَ إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ،
وَيُصَدِّقُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَسَاعَةٍ يُخَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ
لَذَائِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمَلُ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ عَوْنًا عَلَى
تِلْكَ السَّاعَاتِ، وَإِجْمَامًا لِلْقُلُوبِ».

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِ التَّرَكِّيَةِ وَعَوَاقِبِهَا عَلَى أَصْحَابِهَا
أَنَّهَا تَهْبِئُهُمْ سَعَادَةَ الدُّنْيَا قَبْلَ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ، قَالَ ابْنُ

الْجَوَازِي: مِنْ أَحَبِّ تَصْفِيَةِ الْأَحْوَالِ فَلِيَجْتَهِدْ فِي تَصْفِيَةِ
 الْأَعْمَالِ، وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ كُلَّمَا زَكَّى الْعَبْدُ نَفْسَهُ
 بِالتَّوْحِيدِ وَطَاعَةِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ كُلَّمَا سَعِدَ، وَالْعَكْسُ
 بِالْعَكْسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
 لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ
 وَلَا يَشْقَى ۝ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
 وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ
 كُنْتُ بَصِيرًا ۝ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ۝ [طه:

. [١٢٦ - ١٢٣]





البِسْمَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ

فوائد الابتسامَةِ في حياة الإنسان

أَحَبَّتِي: لِلاِبْتِسَامَةِ دُورٌ فَعَالٌ عَلَى صِحَّةِ الْإِنْسَانِ
النَّفْسِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، كَمَا أَنَّ لَهَا تَأْثِيرًا إِيْجَابِيًّا فِي مَسِيرَتِهِ
وَحَيَاتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتُشِيرُ الدَّرَاسَاتُ النَّفْسِيَّةُ إِلَى
أَنَّ الْإِبْتِسَامَةَ تَزِيدُ مِنْ شُعُورِ الْإِنْسَانِ بِالسَّعَادَةِ وَالثِّقَةِ
بِالنَّفْسِ، وَهِيَ صِمَامٌ أَمَانٍ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْقَلْقِ وَالْكَبْتِ
وَالْاِكْتِيَابِ.

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: التَّبَسُّمُ مَبَادِيُّ الضَّحِكِ، وَالضَّحِكُ
انْسِاطُ الْوَجْهِ حَتَّى تَظْهَرَ الْأَسْنَانُ مِنَ الشُّرُورِ، فَإِنْ كَانَ
بَصُوتٌ وَكَانَ بِحَيْثُ يُسْمَعُ مِنْ بَعْدِ فَهُوَ الْقَهْقَهَةُ، وَإِلَّا
فَهُوَ الضَّحِكُ، وَإِنْ كَانَ بِلاَ صَوْتٍ فَهُوَ التَّبَسُّمُ، وَالْمُسْلِمُ
فِي حَاجَةٍ إِلَى ابْتِسَامَةِ أَخِيهِ؛ لِيُدْخَلَ فِي نَفْسِهِ الشُّرُورَ
وَالطُّمَأْنِينَةَ؛ فَإِنَّ لِلاِبْتِسَامَةِ أَثْرًا كَبِيرًا فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ،
فَهِيَ تَبْعَتْ إِشْرَاقَةَ الدَّفْءِ وَالْحُبَّ إِلَى الْإِنْسَانِ، كَمَا
أَنَّهَا وَسِيلَةٌ حَيَّةٌ لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا يَجُولُ فِي خَاطِرِ الْإِنْسَانِ

تَجَاهَ أَخِيهِ مِنْ رَضَىٰ أَوْ عَدَمِهِ، فَلَوْ فَكَّرَ الْإِنْسَانُ كَمْ
سَتَكَلَّفُهُ تِلْكَ الْإِبْتِسَامَةُ الَّتِي يَرِسُمُهَا عَلَىٰ مُحْيَاهُ عِنْدَ
لُقْيَاهُ شَخْصًا آخَرَ؟ فَسَيَكُونُ الْجَوَابُ: لَا شَيْءَ، بَلْ
عَلَى الْعَكْسِ سَوْفَ يَكْسِبُ بِهَا أَجْرًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ
تَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ يُكْتَبُ لَكَ بِهِ صَدَقَةٌ»⁽¹⁾.

ثُمَّ لَوْ فَكَّرَ الْإِنْسَانُ مَرَّةً أُخْرَىٰ كَمْ سَتَسْتَعْرِقُ مِنْهُ
هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةُ، وَكَمْ سَتَقْتَطِعُ مِنْ وَقْتِهِ، لَوْ جَدَّ أَنَّهَا لَنْ
تَسْتَعْرِقَ أَكْثَرَ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ، وَلَكِنْ ذَكَرَ هَا تَبَقَىٰ إِلَى
آخِرِ الْعُمُرِ، وَإِنَّا لَوْ طَبَّقْنَا ذَلِكَ عَلَىٰ مَوْقِفٍ وَاحِدٍ مِنْ
مَوَاقِفِ حَيَاتِنَا الْمُتَكَرِّرَةِ لَأَدْرَكْنَا الْبُعْدَ النَّفْسِيَّ الَّذِي
تُحْدِثُهُ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةُ، فِيهَا تَبْتَعِدُ الْوَحْشَةَ عَنِ النَّاسِ،
وَتَزُولُ الْعُرْبَةُ عَنْهُمْ، وَتَتَفَتَّحُ الْقُلُوبُ مِنْ أَجْلِ صَدَاقَةِ
جَدِيدَةٍ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مَعْرِفَةً عَابِرَةً لَهَا فِي الذَّاكِرَةِ صُورَةٌ
طَيِّبَةٌ يَرْتَاحُ لَهَا عِنْدَ رُؤْيَيْهَا، وَتَطْيِبُ نَفْسَهُ فِي تَذَكُّرِهَا،

(1) أَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ فِي مُسْنَدِهِ (6096)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (8342).

وَكَأَنَّكَ أَعْطَيْتَهُ كُلَّ مَا تَمْلِكُ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ الْجَاحِظُ:
مَنْ قَابَلَنِي ضَاحِكًا وَإِنْ لَمْ يُقْرِنِي أَيُّ (يُضَيِّفُنِي) فَكَأَنَّهُ
أَضَافَنِي الدَّهْرَ كُلَّهُ.

أَكَّدَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ: أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَصِلَ
الْوَدَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ طَرِيقَهَا الْبَسْمَةُ وَحَدَهَا.

أَمَّا الْكَاتِبُ الْاجْتِمَاعِيُّ الْأَمْرِيكِيُّ الشَّهِيرُ (دِيل
كَارَنِيْجِي) فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ: «كَيْفَ تَكْسِبُ الْأَصْدِقَاءَ
وَتُوَثِّرُ فِي النَّاسِ»، فَيَقُولُ: إِنَّ قَسَمَاتِ الْوَجْهِ خَيْرٌ مُعَبَّرٌ
عَنْ مَشَاعِرِ الصُّحْبَةِ، فَالْوَجْهُ الصَّبُوحُ ذُو الْإِبْتِسَامَةِ
الطَّبِيعِيَّةِ الصَّادِقَةِ خَيْرٌ وَسِيلَةٌ لِلْكَسْبِ، وَإِنَّهَا أَفْضَلُ
مِنْهَا يُقَدِّمُهَا الْمَرْءُ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ الْإِبْتِسَامَةَ
الْمُشْرِقَةَ ذَاتُ أَثَرٍ سَرِّيٍّ عَجِيبٍ فِي نُفُوسِ النَّاسِ، وَهِيَ
لَا تُكَلِّفُ شَيْئًا، وَلَكِنَّهَا تَعُودُ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ، وَهِيَ لَا تَفْتَقِرُ
مَنْ يَمْنَعُهَا مَعَ أَنَّهَا تُبْهِجُ مَنْ يَأْخُذُهَا، وَهِيَ لَا تَسْتَعْرِقُ
سِوَى لِحَظَاتٍ تَبْقَى ذِكْرِي حُلُوةً إِلَى أَمَدٍ بَعِيدٍ.

إِنَّ الْإِبْتِسَامَةَ الْحُلُوةَ الْمُنْبِعَثُ شُعَاعُهَا مِنَ الْقَلْبِ

النَّقِيّ هُوَ أَقْوَى سِلَاحٍ لِلدُّخُولِ إِلَى أَعْمَاقِ الْأَشْخَاصِ،
فَالضَّحِكُ وَالِابْتِسَامَةُ قُوَّةٌ تُجَدِّدُ النَّفْسَ، وَتُبْعَثُ نُورَ
الدَّفءِ إِلَى الْقَلْبِ وَتَجْعَلُهُ يَنْسَى مَتَاعِبَهُ وَلَوْ لِلْحَضَاتِ
تَجَلُّو النَّفْسَ وَتَسْتَعِيدُ أَنْفَاسَهَا، وَتُبْعَثُ بِأَرْجِحِهَا الْفَوَاحِ
مُعَطَّرًا إِلَى مَنْ حَوْلَهَا، وَقَدْ قِيلَ لِأَحَدِ الْأَشْخَاصِ:
لِيَكُنْ وَجْهَكَ بِاسْمًا، وَكَلَامُكَ لِيْنَا، تَكُنْ أَحَبَّ إِلَيَّ
النَّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ.

تَبَسُّمٌ بِوَجْهِ الْمَرْءِ تَكْسِبُ وُدَّاهُ فَلَيسَ طَلِيقُ الْوَجْهِ يُشْبِهُ عَابِسَهُ

لِمَاذَا نَبَسِمُ؟ نَبَسِمُ لِنُسْعِدَ أَنْفُسَنَا وَمَنْ حَوْلَنَا،
نَبَسِمُ لِنَتَغَلَّبَ عَلَى تِيَارِ الضُّغُوطِ الْيَوْمِيَّةِ الَّتِي جَلَبَتِ
الكَثِيرَ مِنَ الْأَمْرَاضِ كَالسُّكْرِيِّ وَالضُّغُوطِ وَالتَّوتُّرِ وَالْقَلَقِ
وَالْأَزْمَاتِ الْقَلْبِيَّةِ كُلِّهَا مِنْ آثَارِ الضُّغُوطِ الَّتِي تَعْرِضُ
لِلْفَرْدِ، فَتَعَالَ نَبَسِمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَلْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لِنَسْلَمَ
بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ تِلْكَ الضُّغُوطِ، نَبَسِمُ لِنَزِيدَ رَصِيدَنَا مِنَ
الْحَسَنَاتِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ

أَخِيكَ صَدَقَةً»⁽¹⁾. وَقَالَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا
وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ»⁽²⁾.

وَكَأَنَّمَا يُرِيدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُدَرِّبَنَا عَلَى الْإِبْتِسَامَةِ
لِتَكُونَ سَجِيَّةً لَنَا فَكَلَّمَا ابْتَسَمْتَ أُهْدِيَتْ إِلَيْكَ صَدَقَةٌ فَهَلْ
تَزِيدُ رَصِيدَكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ؟ نَبْتَسِمُ مَحَبَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَتَأْسِيًا بِهِ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دَائِمَ
الْبِشْرِ طَلَقَ الْمُحْيَا، الْبِشَاشَةَ تَعْلُو وَجْهَهُ وَالْإِبْتِسَامَةَ لَا
تَكَادُ تُفَارِقُهُ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزءٍ قَالَ: «مَا
رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»⁽³⁾.

وَعَنْ جَرِيرٍ قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ، وَلَقَدْ شَكَوْتُ
إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي
وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا وَمَهْدِيًا»⁽⁴⁾.

(1) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(2) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(3) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2857، 2871)، وَمُسْلِمٌ (2475، 2476).

لِمَنْ نَبَسَمُ؟ نَبَسَمُ لِأَنْفُسِنَا وَأَزْوَاجِنَا فَمِنْ حَقِّهَا
عَلَيْنَا أَنْ نَبَسَمَ لَهَا وَنُسَعِدَهَا وَنُدْخِلَ الشُّرُورَ عَلَيْهَا،
نَبَسَمُ لِأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْنَا مِنَ وَالِدَيْنِ وَزَوْجَةٍ وَأَوْلَادٍ
فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْإِبْتِسَامَةِ فَكَمْ حُطِّمَتْ عَلَى بَرِيقِ
الْإِبْتِسَامَةِ مِنَ الْحَوَاجِزِ الْوَهْمِيَّةِ الَّتِي نَسَجَهَا الشَّيْطَانُ
فَبَدَّدَتْ تِلْكَ الْإِبْتِسَامَةَ جِبَالَ الْمَشَاكِلِ الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ
مَا تَكُونُ بِجِبَالٍ ثَلْجِيَّةٍ مَا إِنْ تُلْقِيهَا حَرَارَةُ الْإِبْتِسَامَةِ إِلَّا
وَسَارَعَتْ بِالْأَنْصِهَارِ وَالذُّوبَانِ.

جَرَّبَ سِحْرَ الْإِبْتِسَامَةِ عِنْدَمَا تَعَرَّضُ لِبَعْضِ الْمَشَاكِلِ
الْعَائِلِيَّةِ لِتَرَى أَثَرَ الْإِبْتِسَامَةِ فِي ذَلِكَ، نَبَسَمُ لِرَفَقَاءِ الْعَمَلِ
وَجِيرَانِ الْمَنْزِلِ وَتَلَامِيذِ الْفَضْلِ، كُلُّ أَوْلِيَّكَ يَنْتَظِرُونَ مِنْكَ
إِبْتِسَامَةً تُسَعِدُهُمْ بِهَا تُفَرِّجُ عَنْ مَهْمُومٍ، وَتُدَاوِي مَكْلُومٍ،
وَتُنَشِّطُ عَامِلٍ، وَتُفَرِّحُ مَحْزُونًا، نَبَسَمُ لِكُلِّ مَنْ نَلْقَاهُ.

مَتَى نَبَسَمُ؟ نَبَسَمُ كُلَّ صَبَاحٍ لِتُشْرِقَ نَفُوسُنَا قَبْلَ
أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ عَلَى الْبَسِيطَةِ، نَبَسَمُ عِنْدَمَا نُحَقِّقُ
إِنْجَازًا وَلَوْ صَغِيرًا فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْفَعُ إِلَيْنَا مَزِيدًا مِنَ الْعَطَاءِ

وَالْإِنْجَازِ، نَبَسِمُ عِنْدَ وُرُودِ الْمَشَاكِلِ وَتَتَابِعِ الْهُمُومِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْحُلُولِ لَهَا، وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ فَلَا تُقْصِرْهَا بِالْهُمُومِ، نَبَسِمُ عِنْدَ الْإِخْفَاقِ لِأَنَّ ذَلِكَ خُطْوَةٌ عَلَى طَرِيقِ النَّجَاحِ.

قَالَ سَيِّدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَحَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ» - وَفِي رِوَايَةٍ - «طَلِيقٍ»⁽¹⁾.

أَعَدَّتْ دَرَاةً فِي مَحَلِّ تِجَارِيٍّ، طَلَبَ مِنَ الْعَامِلِينَ فِيهِ بَأْنَ يُوقِفُوا الْإِبْتِسَامَةَ فِي وُجُوهِ الْعَامِلِينَ لِمُدَّةِ شَهْرَيْنِ، فَقَدْ لُوْحِظَ أَنَّ الدَّخَلَ فِيهِ قَلَّ بِمَعْدَلِ 60%. يَقُولُ عُلَمَاءُ جَامِعَةِ لُومَايْنَنْدِ بِكَالْفُورْنِيَا: إِنَّ التَّفَاوُلَ عِنْدَ الْمَحْنِ وَالشَّدَائِدِ وَضُغُوطِ الْحَيَاةِ يَزِيدُ مِنْ قُوَّةِ تَحْمُلِ الْإِنْسَانِ، كَمَا أَنَّ لَهَا دَوْرًا فَاعِلًا فِي الْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأُسْرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ فِي النَّاحِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ. قَالُوا عَنِ الْإِبْتِسَامَةِ: جَمَالُ الْوَجْهِ بِإِبْتِسَامَتِهِ الْبَرِيَّةِ،

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2626).

ابْتِسَامُكَ الْبَرِيئَةُ تُكْسِبُكَ الْمَزِيدَ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ.
- الْاِبْتِسَامَةُ لَا تُكَلِّفُ شَيْئًا وَلَكِنَّهَا تَعْنِي الْكَثِيرَ.
- ابْتِسَامَةُ صَادِقَةٍ خَيْرٌ مِنْ ضَحِكَةِ زَائِفَةٍ.
- إِنَّ أَجْمَلَ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ هِيَ الْاِبْتِسَامَةُ الَّتِي
تَشُقُّ طَرِيقَهَا وَسَطَ الدُّمُوعِ.
- إِنَّ مِفْتَاحَ الْقُلُوبِ هِيَ الْاِبْتِسَامَةُ وَسِلَاحُ الْحَيَاةِ
الْعَقْلُ.

- الْاِبْتِسَامَةُ هِيَ اللُّغَةُ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَرْجُمَةٍ.
- أَحْسَرُ أَيَّامِ عُمْرِكَ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ تَبْتَسِمْ فِيهِ.
- عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةَ أَنْ أَبْتَسِمَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْتَظِرُنِي
فِيهِ الْآخَرُونَ أَنْ أَبْكِي.
- إِذَا الْحُزْنَ وَقَفَ فِي طَرِيقِكَ مَرَّةً فَالْفَرَحُ سَيَقِفُ
فِي طَرِيقِكَ مَرَّاتٍ.

- إِذَا ابْتَسَمَ صَدِيقُكَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَذْكَرَ لَكَ السَّبَبَ،
وَإِذَا بَكَى فَمِنْ وَاجِبِكَ أَنْ تَبْحَثَ أَنْتَ عَنِ السَّبَبِ.

- الْإِبْتِسَامَةُ هِيَ جَوَازُ السَّفَرِ إِلَى الْقُلُوبِ .
- إِنَّ الَّذِي لَا يُحْسِنُ الْإِبْتِسَامَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْتَحَ
مَتَجَرًّا .

- عَلَى قَدْرِ مَا يَكُونُ الْحُزْنُ فَإِنَّ شِئْتَ أَنْ يُجَافِيكَ
الْحُزْنُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُجَافِيَ الْفَرَحَ .
- الْإِبْتِسَامَةُ لَا تُكَلِّفُ شَيْئًا، وَلَكِنْ تَعُودُ بِالْخَيْرِ
الكَثِيرِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَسْتَعْرِقُ أَكْثَرَ مِنْ لَمَحَةٍ بَصَرٍ، وَلَكِنْ
ذَكَرَاهَا تَبَقَى طَوِيلًا .

- السُّعْدَاءُ تَبْتَسِمُ شِفَاهُهُمْ وَالْمُحِبُّونَ تَخْفِقُ قُلُوبُهُمْ .
- مِنَ الصَّعْبِ أَنْ تَبْتَسِمَ فِي بَيْتِ مَلِيٍّ بِالدَّمُوعِ .
- ابْتِسَامَةُ الْأَمَلِ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ الْعَقَبَاتِ .

الْإِبْتِسَامَةُ أَقْصَرُ طَرِيقٍ إِلَى الْقُلُوبِ وَأَقْرَبُ بَابٍ
إِلَى النُّفُوسِ، الْإِبْتِسَامَةُ الْمُشْرِقَةُ، أَقْوَى قَوَانِينِ الْجَازِبِيَّةِ
لِلْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، وَلِلْإِبْتِسَامَةِ سَحْرٌ خَلَّابٌ يَسْتَمِيلُ
الْقُلُوبَ وَيَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ، وَالْمُبْتَسِمُونَ أَحْسَنُ النَّاسِ

مِرَاجًا وَأَهْنَاهُمْ عَيْشًا وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا.

الابْتِسَامَةُ سِرٌّ آسِرٌ وَسُلْطَانٌ قَاهِرٌ، أَدْرَكَ الطُّفْلُ
بِفِطْرَتِهِ الْبَرِيَّةَ سِحْرَهَا فَهُوَ يَبْتُهَا بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ،
وَأَمَامَ ابْتِسَامَةِ الطُّفْلِ يَنْحَنِي أَقْسَى النَّاسِ، وَفِي مُوَاجَهَةِ
ابْتِسَامَةِ الصَّبِيِّ يَرِقُّ أَغْلَظُ النَّاسِ.

الابْتِسَامَةُ هِيَ الْمِفْتَاحُ الْأَوَّلُ لِكُلِّ الْقُلُوبِ الْمُغْلَقَةِ،
وَلَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ تَكُونَ الْابْتِسَامَةُ بِالْفِعْلِ فَأَحْيَانًا
تَبْتَسِمُ الْحُرُوفُ حِينَمَا تُكْتَبُ لِأَنَّهَا تَكُونُ مِنْ قُلُوبٍ
صَادِقَةٍ، وَتَبْتَسِمُ الْهَدَايَا عِنْدَمَا تُهْدَى لِأَنَّهَا مَلِيئَةٌ بِالْحُبِّ
وَالْوَفَاءِ.

فَلَا تَبْخُلْ عَلَى نَفْسِكَ وَابْتَسِمْ

فَنِيكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَلَا يَزَالُ يَبْتَسِمُ.





البِسْمَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

وَدَاعًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

هَلَا تَرَكْتَ الْحُزْنَ وَالذَّمَعَاتِ وَسَلَكْتَ دَرْبًا كُلَّهُ خَيْرَاتِ
 دَرْبِ التَّبَسُّمِ يَا حَبِيبِي فَالْتَزِمِ فَحَبِيبَنَا قَدْ أَكْثَرَ الْبَسْمَاتِ
 إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ مَرْضِيَّةٌ بَلْ إِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ
 فِي كُلِّ حَالٍ قَدْ تَبَسَّمَ سَيِّدِي فِي الْجِدْبَلِ فِي أَصْعَبِ اللَّحْظَاتِ
 خَتَمَ الْحَيَاةَ بِبِسْمَةِ فِيهَا رَضِيَ إِذْ شَاهَدَ الْأَصْحَابَ فِي الصَّلَوَاتِ
 قَدْ غَادَرَ الدُّنْيَا زَكِيًّا طَاهِرًا مُتَبَسِّمًا فِي سَاعَةِ السَّكَرَاتِ
 هَلَا ابْتَسَمْتَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَهَا أَوْصَى بِهَا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ

ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا هِيَ الْبَاقِيَةُ فِي حَيَاةِ الْحَبِيبِ، تَنْزِلُ
 الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿وَأَنْفُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
 نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وَيَعْرِفُ النَّبِيُّ أَنَّهَا النَّهَائِيَةُ، وَتَعُودُ ذِكْرِيَّاتُ سَنَوَاتِ
 النُّبُوَّةِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، يَزُورُ قُبُورَ الشُّهَدَاءِ، وَيُصَلِّي مَعَ النَّاسِ
 خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، يُودِّعُ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ وَيَسْتَدُّ بِهِ
 الْمَرَضُ.

وَفِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَأْتِيهِ جَبْرِيْلُ وَمَلَكَ الْمَوْتِ
مُسْتَأْذِنًا، وَيَخْتَارُهُ «الرَّفِيقُ الْأَعْلَى»، وَيَشْهَدُ الْجَمِيعُ أَنَّهُ قَدْ
أَدَّى الرِّسَالَةَ وَبَلَّغَ الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ
دِينِهِ حَتَّى آتَاهُ الْيَقِيْنُ .

يَطْلُبُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ نَزُولِ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ،
وَقَبْلَ (13 يَوْمًا مِنْ وَفَاتِهِ)، أَنْ يَزُورَ شُهَدَاءَ أَحَدٍ، كَأَنَّهُ أَرَادَ
تَوْدِيْعَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، يَخْرُجُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
وَيَقِفُ أَمَامَ شُهَدَاءِ أَحَدٍ وَيَنْظُرُ إِلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ كَأَنَّهُ
يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ ضَحُّوا، يَتَذَكَّرُ طَلْحَةَ وَهُوَ يَقُولُ: نَحْرِي دُونَ
نَحْرِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأُمَّ عِمَارَةَ وَهِيَ غَارِقَةٌ فِي دِمَائِهَا
فَتَرُدُّ ابْنَهَا الَّذِي جَاءَ يُنْقِذُهَا وَتَقُولُ لَهُ: دَعْنِي أَنْقِذْ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَهَا النَّبِيُّ: «مَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ
يَا أُمَّ عِمَارَةَ»، فَتَقُولُ: «أُطِيقُ وَأُطِيقُ وَأُطِيقُ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ
مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ»، فَيَقُولُ لَهَا: «لَسْتَ وَحْدَكَ، أَنْتِ
وَأَهْلُ بَيْتِكَ، أَنْتُمْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ».

يَقِفُ النَّبِيُّ أَمَامَ شُهَدَاءِ أَحَدٍ وَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

يَا شَهْدَاءَ أَحَدٍ أَنْتُمْ السَّابِقُونَ وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقٌ». وَيَرْجِعُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْكِي، وَسَأَلُوهُ لِمَ تَبْكِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اشْتَقْتُ إِلَى إِخْوَانِي، فَقَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ لَا، أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَمَّا إِخْوَانِي فَقَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرُونِي». اشْتَقْتُ إِلَيْهِمْ فَبَكَيتُ.

وَكَانَ مَعَهُ عِنْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ عِنْدِ شُهَدَاءِ أَحَدٍ رَجُلٌ اسْمُهُ أَبُو مُوَيْهَبَةَ. يَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ: «يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ أُرِيدُ أَنْ أَزُورَ الْبَقِيعَ»، فِيزُورَ النَّبِيُّ الْبَقِيعَ.

بَعْدَ ذَلِكَ يَشْتَدُّ الْمَرَضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيُنَادِي عَلَى زَوْجَاتِهِ، فَتَجْتَمِعُ الزَّوْجَاتُ، وَكَانَتْ هَذِهِ لَيْلَةً السَّيِّدَةِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَيَقُولُ لِهِنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَتَأْذَنَ لِي أَنْ أَمْرَضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ؟ فَأَذْنُو لَهُ.

وَبَدَأَ صَوْتُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْمَسْجِدِ يَعْزِفُونَ: مَاذَا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَصْوَاتَ النَّاسِ وَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: يَخَافُونَ عَلَيْكَ

يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **أَحْمِلُونِي إِلَيْهِمْ،**
وَأَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ فَمَا اسْتَطَاعَ، فَاتُوا بِقَرْبَةِ مَاءٍ يَصُبُّونَهَا
عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِكَيْ يَفِيقَ، صَبُّوا عَلَيْهِ سَبْعَ
قَرَبٍ، حَتَّى قَالَ: **حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ،** وَهَذَا قِصَّةٌ يَطُولُ
فِيهَا الْحَدِيثُ.

تَبَسَّمَ النَّبِيُّ ضَاحِكًا لَمَّا كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ،
فَرَأَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ. قَالَ: عَنْ
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ
الْفَجْرِ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ: كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ
عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ،
وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عَلَى عَقْبِيهِ لِيَصِلَ لَهُ الصَّفَّ،
فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ الْخُرُوجَ وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي
صَلَاتِهِمْ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ، فَأَزْحَى السِّتْرَ
وَتُوِّفِي مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ⁽¹⁾.

حَمَلَ الصَّحَابَةُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمِنْبَرِ،

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (754)، وَمُسْلِمٌ (419).

وَصَعَدُوا بِهِ فَسَكَتَ النَّاسُ وَقَالَ آخِرَ وَصَايَاهُ فِي آخِرِ
خُطْبَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَكُمْ تَخَافُونَ عَلَيَّ.
فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَوْعِدُكُمْ
مَعِيَ لَيْسَ الدُّنْيَا، مَوْعِدُكُمْ مَعِيَ عِنْدَ الْحَوْضِ، وَاللَّهِ
لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا.

أَيُّهَا النَّاسُ: وَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ
أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَتَنَافَسُوهَا، كَمَا تَتَنَافَسُهَا الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ، فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ عَبْدًا
خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ لِقَاءِ اللَّهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَلَمْ
يَفْهَمْ أَحَدٌ مَازَا يَقْصِدُ النَّبِيُّ بِالْعَبْدِ الَّذِي خَيْرَهُ اللَّهُ، إِلَّا
أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ الَّذِي ارْتَفَعَ نَشِيجُهُ⁽¹⁾ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ
وَقَفَ وَقَالَ: فَدَيْتِكَ بِأَبِي، فَدَيْتِكَ بِأُمِّي، فَدَيْتِكَ بِوَلَدِي،
فَدَيْتِكَ بِمَالِي، فَدَيْتِكَ بِكُلِّ مَا أَمْلُكُ، فَنَظَرَ النَّاسُ إِلَى
أَبِي بَكْرٍ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَوَّدُوا أَنْ يُقَاطِعَ أَحَدُ النَّبِيِّ، فَتَوَقَّفَ

(1) صَوْتُ الْإِنْسَانِ الْمُرتَفِعِ الْمُتَرَدِّدِ عِنْدَ الْبُكَاءِ مِنْ غَيْرِ انْتِحَابٍ.

النَّبِيُّ عَنِ الاستِمْرَارِ فِي الخُطْبَةِ لِكِي يُدَافِعَ عَن أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ.. دَعُوا أَبَا بَكْرٍ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ كَانَ لَهُ عَلَيَّ فَضْلٌ، إِلَّا كَافَأْتُهُ بِهِ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ لَمْ أَسْتَطِعْ مُكَافَأَتَهُ، فَتَرَكْتُ مُكَافَأَتَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كُلُّ الأبْوَابِ تُغْلَقُ عَنِ الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ لَا يُغْلَقُ أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ: أَيُّهَا النَّاسُ.. مَنْ كُنْتُ قَدْ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا، فَهَذَا ظَهْرِي فَلِيَقْتَصَّ مِنِّي، وَمَنْ كُنْتُ قَدْ أَخَذْتُ مِنْهُ مَالًا، فَهَذَا مَالِي فَلِيَقْتَصَّ مِنِّي، وَمَنْ كُنْتُ قَدْ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا، هَذَا عِرْضِي فَلِيَقْتَصَّ مِنِّي، فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ نَقِيًّا، وَلَا يَخْشَى الشَّخْنََاءَ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ طَبْعِي، فَقَامَ رَجُلٌ وَقَالَ: إِنَّ لِي عِنْدَكَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، أَعْطِهِ يَا عَبَّاسُ الدَّرَاهِمَ الثَّلَاثَةَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ، اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ، وَظَلَّ يُرَدِّدُهَا.

ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ.. اللَّهُ فِي صَلَاةِ الأَرْحَامِ، أَيُّهَا النَّاسُ.. اللَّهُ فِي النَّسَاءِ، أُوصِيكُمْ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا،

أَوْصِيَكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: أَوَاكُمُ اللَّهُ، نَصَرَكُمْ
 اللَّهُ، حَفِظَكُمْ اللَّهُ، أَيْدِكُمْ اللَّهُ، ثَبَّتَكُمْ اللَّهُ، رَفَعَكُمْ اللَّهُ،
 حَفِظَكُمْ اللَّهُ، نَصَرَكُمْ اللَّهُ، وَقَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ مِنَ الْمَنْبَرِ قَالَ:
 أَيُّهَا النَّاسُ أَبْلِغُوا مِنِّي السَّلَامَ كُلَّ مَنْ تَبِعَنِي مِنْ أُمَّتِي إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَادَ إِلَى بَيْتِ
 السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ. بَعْدَ أَنْ حَمَلَ الصَّحَابَةَ السَّلَامَ لِأُمَّتِهِ مَعَ
 أَشْوَاقِهِ وَسَلَامِهِ وَابْتِسَامَتِهِ.

حَتَّى فِي أَصْعَبِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا الْإِنْسَانُ لَمْ
 يَتْرُكِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خُلُقَ الْإِبْتِسَامِ لِيَبْقَى أَثَرُهَا
 فِي قَلْبِ كُلِّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاتَّبَعَ هُدَاهُ، وَكَذَلِكَ
 فَإِنَّهُ سَوْفَ يَسْتَقْبَلُ مُحِبِّيه بِهَذِهِ الْإِبْتِسَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

هَلَّا تَرَكْتَ الْحُزْنَ وَاللِّدْمَعَاتِ وَسَلَكْتَ دَرْبًا كُلَّهُ خَيْرَاتِ
 دَرْبِ التَّبَسُّمِ يَا حَبِيبِي فَالْتَزِمِ فَحَبِيبِنَا قَدْ أَكْثَرَ الْبَسْمَاتِ
 إِنَّ التَّبَسُّمَ طَاعَةٌ مَرْضِيَّةٌ بَلْ إِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ
 فِي كُلِّ حَالٍ قَدْ تَبَسَّمَ سَيِّدِي فِي الْجِدْبَلِ فِي أَصْعَبِ اللَّحْظَاتِ
 حَتَمَ الْحَيَاةَ بِبِسْمَةِ فِيهَا رَضِيَ إِذْ شَاهَدَ الْأَصْحَابَ فِي الصَّلَوَاتِ

تَبَسُّمًا
Tabassam

قَدْ غَادَرَ الدُّنْيَا زَكِيًّا طَاهِرًا مُتَبَسِّمًا فِي سَاعَةِ السَّكْرَاتِ
هَلَّا ابْتَسَمْتَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَهَا أَوْصَى بِهَا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ





خِتَامًا

يَا سَائِلِي عَنِ بَسْمَةِ الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْأَحِبَّةِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
 هِيَ بَسْمَةٌ خَرَجَتْ فَفَاحَ عَيْرُهَا فِي الْكَوْنِ حَتَّى زَالَتْ الْأَكْدَارُ
 هِيَ بَسْمَةٌ نَبَوِيَّةٌ مَمْرُوجَةٌ بِالوَدِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَسْرَارِ
 هِيَ بَسْمَةٌ تُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ
 يَأْتِي الصَّحَابُ إِلَيْهِ حِينَ يُصِيبُهُمْ أَلَمٌ وَهَمٌّ يُزْعِجُ الْأَفْكَارَ
 فَإِذَا بِهِ وَبِـبَسْمَةِ عَفْوِيَّةٍ عَنْهُمْ يَزِيحُ الْهَمُّ وَالْأَكْدَارُ
 فَتَرَاهُمْ قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُمْ مِنْ بَسْمَةِ خَرَجَتْ مِنَ الْمُخْتَارِ

أَحِبَّتْنَا يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾

[إبراهيم: ٢٤].

فَمِفْتَاحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ هِيَ الْاِبْتِسَامَةُ: وَالْاِبْتِسَامَةُ
 هِيَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ مِنْ غَيْرِ حُرُوفٍ وَهِيَ وَسِيلَةٌ مِنْ
 وَسَائِلِ الْاِتِّصَالِ غَيْرِ اللَّفْظِيِّ، لَدَى الْكَائِنِ الْبَشَرِيِّ، هِيَ
 الَّتِي تَبْتُ الْأَمَلَ فِي النَّفْسِ وَتُرِيْلُ وَحُشَّةَ الرُّوحِ لِأَنَّهَا

مِفْتَاحُ الْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الصَّافِيَّةِ وَهِيَ جَوَازُ السَّفَرِ
لِلْقُلُوبِ، فَلَمَّاذَا لَا نَرَسِمُهَا دَائِمًا عَلَى شَفَاهِنَا لِنَجْتَازَ مَا
يُعِينُنَا وَيُعَثِّرُ طَرِيقَنَا.

قَالَ اللَّيَالِي جَرَّعْتَنِي عَلَقَمًا قُلْتُ ابْتَسِمْ وَلَيْنُ جُرَّعْتَ الْعَلَقَمًا
فَلَعَلَّ غَيْرُكَ إِنْ رَأَىكَ مُرْنَمًا طَرَحَ الْكَابَةَ جَانِبًا وَتَرْنَمًا
أَتْرَاكَ تَعْنَمُ بِالتَّبْرَمِ دِرْهَمًا أَمْ أَنْتَ تَخْسَرُ بِالْبَشَاشَةِ مَعْنَمًا؟
فَاضْحَكُ فَإِنَّ الشُّهْبَ تَضْحَكُ وَالذُّجَى مُتَلَاظِمٌ وَلِذَا نُحِبُّ الْأَنْجَمًا

وَلِذَلِكَ أَحْبَبْتِي فِي اللَّهِ: لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نُحَافِظَ عَلَى هَذِهِ
النَّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْمِنْحَةِ الْكَرِيمَةِ، وَعَلَى هَذِهِ الْفَوَائِدِ
الْجَلِيلَةِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، فَالابْتِسَامَةُ لَهَا فَوَائِدُهَا
النَّفْسِيَّةُ وَالطَّبِيبَةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ.

فَمِنْ فَوَائِدِهَا الطَّبِيبَةُ وَالنَّفْسِيَّةُ: قَدْ لَاحَظَ كَثِيرٌ
مِنَ الْأَطِبَّاءِ تَأْثِيرَ الْابْتِسَامَةِ فِي الشِّفَاءِ، وَلِذَا تُعْتَبَرُ ابْتِسَامَةُ
الطَّبِيبِ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ عِلَاجِهِ لِمَرَضَاهُ، كَمَا أَنَّ
الابْتِسَامَةَ تَزِيدُ مِنَ الْمَنَاعَةِ ضِدَّ الْأَمْرَاضِ وَالضُّغُوطَاتِ
النَّفْسِيَّةِ وَتَزِيدُ مِنْ نَشَاطِ الدَّهْنِ وَصَفَائِهِ وَعَدَمِ تَشْتُّهِ،

وَتُوسَّعُ مِسَاحَةُ الْإِبْدَاعِ وَالتَّخْيِيلِ وَالتَّعَمُّقِ الْفِكْرِيِّ
لِلْعَقْلِ، وَلَهَا آثَارُهَا الْإِيجَابِيَّةُ عَلَى نَشَاطِ الْقَلْبِ، وَتَزِيدُ
مِنْ جَمَالِ الْوَجْهِ فَهِيَ السَّلَاحُ الْفَعَّالُ ضِدَّ التَّجَاعِيدِ؛
وَلِذَلِكَ يَنْصَحُ الْعُلَمَاءُ بِكَثْرَةِ الْإِبْتِسَامَةِ لَا سِيَّمَا لِلنِّسَاءِ
اللَّوَاتِي يَسْعَيْنَ لِلْحِفَاطِ عَلَى جَمَالِهِنَّ وَشَبَابِهِنَّ.

وَالْإِبْتِسَامَةُ فَوَائِدُهَا الْاجْتِمَاعِيَّةُ: فَهِيَ مِنْ أَهَمِّ
أَنْوَاعِ الْعَطَاءِ، بَلْ إِنَّهَا تَفُوقُ الْعَطَاءَ الْمَادِيَّ وَذَلِكَ
لِأَنَّهَا تُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِ الْآخِرِينَ فَالْإِنْسَانُ فِي
حَاجَةٍ لِلسُّرُورِ وَالْفَرَحِ أحيانًا أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِ لِلطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ، وَهِيَ أَيْضًا مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ،
فَالْمُبْتَسِمُ سَفِيرٌ لِحَلِّ النِّزَاعَاتِ وَالْخُصُومَاتِ بِامْتِصَاصِ
إِبْتِسَامَتِهِ اللَّطِيفَةِ لِشُحْنَةِ الْغَضَبِ مِنَ الْآخِرِينَ، وَهِيَ
رَمْزٌ لِلْحُبِّ وَالْوُدِّ فَالنَّاسُ يَتَذَكَّرُونَ الشَّخْصَ الْمُبْتَسِمَ
أَكْثَرَ مِنَ الْآخِرِينَ.

فَالْإِبْتِسَامَةُ تُوحِي لِلنَّاسِ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُبْتَسِمَ شَخْصٌ
مُتَوَازِنٌ وَسَوِيٌّ، وَهَذَا مَا أُثْبِتَهُ الْإِحْصَائِيَّاتُ أَنَّ الْأُمَمَاتِ

صُويِحِبَاتِ الْاِبْتِسَامَةِ يَسْتَمْتِعْنَ بِتَرْبِيَةِ اَطْفَالِهِنَّ اَكْثَرَ مِنْ
غَيْرِهِنَّ مِنَ النَّسْوَةِ.

وَلِلْاِبْتِسَامَةِ اَنْوَاعٌ وَهِيَ:

1- اِبْتِسَامَةُ الْمَلْطَفَةِ وَالتَّرْحِيْبِ وَالمُضَاحِكَةِ

عِنْدَ تَسْلِيَةِ النَّاسِ وَلِقَائِهِمْ: يَقُولُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ
أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ»⁽¹⁾.

2- اِبْتِسَامَةُ التَّفَاؤُلِ وَالأَمَلِ وَالبِشَارَةِ: عَنِ

أُمِّ حَرَامِ بِنْتِ مِلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَرِيبًا مِنِّي، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَتَبَسَّمُ
فَقُلْتُ: مَا أَضْحَكَكَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَاسٌ
مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ
كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ، قَالَتْ: فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي
مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا»⁽²⁾.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3611)، وَمُسْلِمٌ (2475).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2646)، وَمُسْلِمٌ (1912).

3- ابْتِسَامَةُ الْمُتَعَجِّبِ: فَقَدْ وَرَدَ فِي قِصَّةِ النَّمْلَةِ

مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ النَّمْلِ ﴿فَنَبَسَّرَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩].

4- ابْتِسَامَةُ الْمُغْضَبِ: يَقُولُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ تَخْلُفِهِ وَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: «فَحِثُّهُ أَيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ»⁽¹⁾.

5- ابْتِسَامَةُ السُّخْرِيَّةِ وَالاسْتِهْزَاءِ وَالشَّمَاتَةِ

بِالْمُسْلِمِينَ: وَقَدْ يُصَاحِبُ الْبَسْمَةَ صَوْتُ أَوْ ضِحْكُ أَوْ قَهْقَهَةٌ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنِ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مَعْرِضِ اسْتِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: ٤٧].

6- ابْتِسَامَةُ النِّفَاقِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ: وَهِيَ أَكْثَرُ

مَا يَرُوجُ وَيُرَوِّجُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ إِلَّا مَا رَحِمَ

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (4156)، وَمُسْلِمٌ (2769).

رَبِّي فَيَتَسَمُّ هَذَا لِهَذَا، وَالْقُلُوبُ فِي الْغَالِبِ مَلِيئَةٌ بِنَوْعٍ
مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ وَالكَرَاهِيَّةِ وَالْبُغْضِ.

عَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ
صَدَقَةٌ»⁽¹⁾.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ
بِأَمْوَالِكُمْ، فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ»⁽²⁾.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ
الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»⁽³⁾.
يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُخَاطِبًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا:
«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»⁽⁴⁾.

(1) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجُهُ.

(2) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ (6550)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (25333)،
وَالْبَزَّازُ (8544).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2626).

(4) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجُهُ.

سُبْحَانَ اللَّهِ بِمَجْرَدِ أَنْ يَتَسَمَّ أَحَدُنَا فِي وَجْهِ أَخِيهِ
فَإِنَّهُ يَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ تَصَدَّقَ بِمَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ دُونَ أَنْ يَدْفَعَ
شَيْئًا إِنَّهُ أُسْلُوبُ نَبِيِّ كَرِيمٍ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَالَ، بَلْ إِنَّ
الْبَيَانَ النَّبَوِيَّ حَدَدَ لَنَا أَنَّ التَّبَسُّمَ يَكُونُ فِي الْوَجْهِ، أَيْ
أَنَّكَ تَتَبَسَّمُ وَأَنْتَ تَنْظُرُ لَوَجْهِ أَخِيكَ، وَهَذَا قِمَّةُ التَّأثيرِ.

وَيُؤَكِّدُ الْعُلَمَاءُ حَدِيثًا أَنَّ الْاِبْتِسَامَةَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ
مِنْ نَوْعٍ خَاصٍّ، بَلْ وَتَجِدُهُمْ يُؤَلِّفُونَ كُتُبًا وَأَبْحَاثًا عَنْ
طُرُقِ الْاِبْتِسَامَةِ وَالطَّرِيقَةِ الْفَعَّالَةِ لِهَذِهِ الْاِبْتِسَامَةِ، وَقَدْ
وَجَدُوا بِالْفِعْلِ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْمُثَلَّى هِيَ أَنْ تَبْتَسِمَ وَأَنْتَ
تَنْظُرُ لِلشَّخْصِ الَّذِي تُحَدِّثُهُ، فَهَذَا سَيُعْطِيهِ شُعُورًا
سَرِيعًا بِالاطْمِئْنَانِ، وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْاِبْتِسَامَةُ مَصْدَرٌ
رِزْقٌ بِالنِّسْبَةِ لَكَ!

إِنَّ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَتَفَوَّقُ عَلَى الْعِلْمِ الْبَشَرِيِّ
لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ يَنْصَحُونَكَ بِالْاِبْتِسَامَةِ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَةِ
دُنْيَوِيَّةٍ قَدْ تَكُونُ مِنْ أَجْلِ الشُّهُرَةِ أَوْ الْمَالِ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ
الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَدَدَ لَنَا هَدَفًا أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ وَهُوَ

التَّقَرُّبُ مِنَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بِهِذِهِ الْاِبْتِسَامَةِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهَا
(صَدَقَةَ)، فَمَا أَكْرَمَ هَذَا النَّبِيَّ الطَّاهِرَ الزَّكِيَّ الرَّؤُوفَ
الرَّحِيمَ صَاحِبَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ.

وَأَخِيرًا: هَلْ نَعْمَلُ بِالْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَنَتَّصَدَّقُ
وَنُوزِعُ الْاِبْتِسَامَاتِ عَلَى كُلِّ مَنْ نُقَابِلُهُمْ، لَيْسَ لِكَسْبِ
ثِقَتِهِمْ أَوْ رِضَاهُمْ، بَلْ لِكَسْبِ رِضْوَانِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**،
لَأَنَّآ إِذَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّحَ الْعِلَاقَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّ
الْعَالَمِينَ، فَإِنَّا نَنَالُ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

خِدْمَةُ كِتَابِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ
فَهِيَ مِنْ أَشْرَفِ الْأَعْمَالِ وَأَبْرَكِهَا وَالتِّي يَتَشَرَّفُ بِهَا
الْإِنْسَانُ، وَلِرَغْبَتِي فِي الدُّخُولِ فِي هَذَا الشَّرَفِ الْعَظِيمِ مَعَ
مَنْ خَدَمُوا السُّنَّةَ وَأَحْيَوْهَا، أَحَبَّبْتُ أَنْ أُقَدِّمَ هَذَا الْمَشْرُوعَ
تَشْرُفًا بِخِدْمَةِ سُنَّةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**
بِإِرَازِ أَفْعَالِهِ فِي كَظْمِهِ لِعَيْظِهِ، وَشِدَّةِ تَمَاسِكِهِ عِنْدَ
الْغَضَبِ، بَلْ فِي شِدَّةِ غَضَبِهِ تَجِدُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَدْ
تَسَمَّ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِ تَجِدُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَدْ

تَبَسَّمَ، تَجِدُهُ فِي الْحِلْمِ عَنِ الْجُهْلَاءِ قَدْ تَبَسَّمَ، وَفِي
جَهْلِ الْجَاهِلِ عَلَيْهِ تَجِدُهُ قَدْ تَبَسَّمَ، وَفِي مِزَاحِ أَصْحَابِهِ
مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَجِدُهُ قَدْ تَبَسَّمَ، وَإِذَا لَقِيَ أَحَدًا مِنَ
النَّاسِ تَجِدُهُ قَدْ تَبَسَّمَ، كَيْفَ لَا وَهُوَ الدَّاعِي لِلَّهِ بِأَفْعَالِهِ
قَبْلَ أَقْوَالِهِ، فَكَانَ يَدْعُو وَيُوصِي أُمَّتَهُ بِالتَّبَسُّمِ فَيَقُولُ:
«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»⁽¹⁾.

وَلِمَكَانَةِ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَهْمِيَّتِهِ وَحَاجَتِنَا الْيَوْمَ وَكُلِّ يَوْمٍ
إِلَيْهِ، وَلِعِلْمِنَا بِأَنَّ سُنَّةَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
لَيْسَتْ فَقَطْ صَالِحَةً لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ
مُصْلِحَةٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَلَا أَهْمِيَّتَهَا (أَيَّ الْإِبْتِسَامَةِ)
أَخْبَيْتُ أَنْ أُقَدِّمَ لَكُمْ كِتَابِي هَذَا.

«تَبَسَّمَ»

فَهُوَ مَشْرُوعٌ لِنُحْيِي بِهِ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنُظَهَّرَهَا لِأَنفُسِنَا وَلِلنَّاسِ عَامَّةً لِنَقْتَدِيَ

(1) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

بِتَعَالِيمِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ، وَإِنَّ هَدَفَنَا وَأَمَلْنَا وَرَجَاءَنَا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا
الْكِتَابُ مُحَرَّرًا لِمَشَاعِرِ الْحُبِّ عِنْدَنَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ
لِرَسُولِنَا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وَأَنْ نُعْطِيَ الْجُمْهُورَ الطَّاقَةَ
وَالْحَافِزَ لِلِاقْتِدَاءِ بِتَعَالِيمِ الرَّسُولِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**
وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي حَيَاتِهِمْ، كَمَا نَأْمَلُ أَنْ نُقَدِّمَ الْفُرْصَةَ لِكُلِّ
النَّاسِ، مُسْلِمِينَ وَغَيْرِ مُسْلِمِينَ لِلتَّفَكِيرِ فِي شَخْصِيَّةِ
الرَّسُولِ الْكَرِيمِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وَأَخْلَاقِهِ الْعَظِيمَةِ مِنْ
خِلَالِ هَذَا الْعَمَلِ الْمُتَوَاضِعِ وَالْجَهْدِ الْمُقَلِّ، رَاجِيًا مِنْ
اللَّهِ الْإِخْلَاصَ وَالصَّدْقَ وَالسَّدَادَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَهَدَفْنَا هُوَ نَشْرُ مَحَبَّةَ النَّبِيِّ وَاتِّبَاعَ تَعَالِيمِهِ وَهَدْيِهِ،
وَنُرِيدُ أَنْ نُوفِّرَ الْجَهْدَ وَالْوَقْتَ لِمَنْ يَبْحَثُونَ وَيُرِيدُونَ
التَّعَرُّفَ عَلَى شَخْصِيَّةِ رَسُولِنَا الْكَرِيمِ مِنْ خِلَالِ
صَفَحَاتِ هَذَا السِّفْرِ، وَلِأَنَّ الْإِبْتِسَامَةَ هِيَ بَلَسْمُ الْقُلُوبِ
الْمُنْكَسِرَةِ وَمُفْتَا حُهَا لِهَذَا تَمَّتْ تَسْمِيَةُ هَذِهِ الصَّفَحَاتِ
بِهَذَا الْاسْمِ وَالصِّفَةِ الْكَرِيمَةِ.

«تَبَسُّمٌ»

لِنَقْتَدِيَ بِهِ وَلِنَدْخُلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

حَتَّى يَصِلَ الْمُحِبُّ مِنَّا لِلْمَشْهَدِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُشَاهِدَ
الْحَبِيبَ السَّعِيدَ وَيَتَبَسَّمُ وَيَقُولُ: هَذَا إِمَامِي أَمَامِي.

يَا سَائِلِي عَنِ بَسْمَةِ الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْأَحِبَّةِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
هِيَ بَسْمَةٌ خَرَجَتْ فَفَاحَ عَيْرُهَا فِي الْكَوْنِ حَتَّى زَالَتْ الْأَكْدَارُ
هِيَ بَسْمَةٌ نَبَوِيَّةٌ مَمْرُوجَةٌ بِالوَدِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَسْرَارِ
هِيَ بَسْمَةٌ تُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ
يَأْتِي الصَّحَابُ إِلَيْهِ حِينَ يُصِيبُهُمْ أَلَمٌ وَهَمٌّ يُزْعِجُ الْأَفْكَارَ
فَإِذَا بِهِ وَبِ بَسْمَةِ عَفْوِيَّةٍ عَنْهُمْ يَزِيحُ الْهَمُّ وَالْأَكْدَارُ
فَتَرَاهُمْ قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُمْ مِنْ بَسْمَةِ خَرَجَتْ مِنَ الْمُخْتَارِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا كَانَ مِنْ تَوْفِيقٍ فَهُوَ

مِنَ اللَّهِ، وَمَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي وَالشَّيْطَانِ وَاللَّهِ

وَرَسُولِهِ بَرَاءً.

الفهرس

٥.....	النَّيَّةُ
٧.....	مَقْدَمَةُ الْمُؤَلَّفِ
١١.....	شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ
١٧.....	إِهْدَاءٌ
٢١.....	المُقَدِّمَةُ
٢٧.....	البَسْمَةُ الْأُولَى
٣٥.....	البَسْمَةُ الثَّانِيَةُ
٣٧.....	الابْتِسَامَةُ مِنْهُجُ حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
٤٥.....	البَسْمَةُ الثَّلَاثَةُ
٤٧.....	تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ
٤٧.....	الفَوَائِدُ الطَّبِيبَةُ وَالنَّفْسِيَّةُ لِلابْتِسَامَةِ
٤٨.....	وَلِلابْتِسَامَةِ فَوَائِدُهَا الاجْتِمَاعِيَّةُ
٤٨.....	وَلِلابْتِسَامَةِ أَنْوَاعٌ، وَمِنْهَا:
٤٨.....	١- ابْتِسَامَةُ الْمَلَاظِفَةِ وَالتَّرْحِيبِ وَتَسْلِيَةِ النَّاسِ وَلِقَائِهِمْ:
٤٩.....	٢- ابْتِسَامَةُ التَّفَاؤُلِ وَالْأَمَلِ وَالبِشَارَةِ:

تَبَسُّمٌ

Tabassam

- ٤٩ ٣- ابْتِسَامَةُ الْمُتَعَجِّبِ
- ٥٠ ٤- ابْتِسَامَةُ الْمُغْضَبِ
- ٥٠ ٥- ابْتِسَامَةُ السَّخْرِيَّةِ وَالاسْتَهْزَاءِ وَالشَّاتَةِ بِالْمُسْلِمِينَ
- ٥٠ ٦- ابْتِسَامَةُ النَّفَاقِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ
- ٥٥ البَسْمَةُ الرَّابِعَةُ
- ٥٧ ابْتِسَامَةُ التَّفَاؤُلِ وَالْأَمَلِ وَالْبَشَارَةِ
- ٦٧ البَسْمَةُ الْخَامِسَةُ
- ٦٩ لُطْفُهُ وَرَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالضُّعْفَاءِ مِنْ رَعِيَّتِهِ
- ٧٥ وَخِتَامًا
- ٧٧ البَسْمَةُ السَّادِسَةُ
- ٧٩ بَسْمَةُ الْحِلْمِ
- ٨٣ وَمَوْقِفٌ آخِرٌ يَدُلُّ عَلَى حَلْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
- ٨٩ البَسْمَةُ السَّابِعَةُ
- ٩١ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
- ١٠٣ البَسْمَةُ الثَّامِنَةُ
- ١٠٥ ابْتِسَامَةُ الرِّضَا
- ١١٥ البَسْمَةُ التَّاسِعَةُ
- ١١٧ الْحُبُّ وَالْخَوْفُ

- ١٢٩ البِسْمَةُ العَاشِرَةُ
- ١٣١ ابْتِسَامَةُ السُّخْرِيَّةِ وَالاسْتِهْزَاءِ وَالشَّهَاتَةِ!
- ١٤١ البِسْمَةُ الحَادِيَّةُ عَشْرَ
- ١٤٣ ابْتِسَامَةُ النَّفَاقِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ
- ١٥٣ البِسْمَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَ
- ١٥٥ الِابْتِسَامَةُ فِي التَّرْبِيَةِ
- ١٦٥ البِسْمَةُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَ
- ١٦٧ الِابْتِسَامَةُ فِي تَرْبِيَةِ الْأَطْفَالِ
- ١٧٥ البِسْمَةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَ
- ١٧٧ يَمْزُحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا
- ١٨٣ البِسْمَةُ الخَامِسَةُ عَشْرَ
- ١٨٥ سِرُّ التَّعَامُلِ مَعَ الزَّوْجَةِ
- ١٩٥ البِسْمَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَ
- ١٩٧ الحَبِيبُ الْمُصْطَفَى يَقْطَعُ مَلَلَ الحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ
- ٢٠٥ البِسْمَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَ
- ٢٠٧ العَدَالَةُ فِي بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ

- ٢١٧ البَسْمَةُ الثَّامِنَةُ عَشَرَ
- ٢١٩ هَدْيُ النَّبِيِّ فِي تَرْبِيَةِ بَنَاتِهِ
- ٢٢٠ تَرْبِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِبَنَاتِهِ فِي مَرَحَلَةِ الطُّفُولَةِ: ...
- ٢٢٣ وَتَرْوِجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِبَنَاتِهِ:
- ٢٣١ اِحْتِوَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِبَنَاتِهِ رِضْوَانَهُ عَنْهُمُ:
- ٢٣٣ البَسْمَةُ التَّاسِعَةُ عَشَرَ
- ٢٣٥ ابْتِسَامَةُ الْمُغْضَبِ
- ٢٣٧ أَوَّلًا: الْعُجْبُ:
- ٢٣٨ ثَانِيًا: الْمِرَاءُ:
- ٢٣٨ ثَالثًا: كَثْرَةُ الْمِرَاحِ:
- ٢٣٩ رَابِعًا: بَدَاءَةُ اللِّسَانِ وَفُحْشُهُ: بِشْتَمٍ أَوْ سَبٍّ أَوْ تَغْيِيرٍ بِمَا يُؤْغَلُ الصُّدُورَ
- ٢٤٤ أَوَّلًا: الاستِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
- ٢٤٥ ثَانِيًا: تَغْيِيرُ الْحَالِ:
- ٢٤٥ ثَالثًا: تَرْكُ الْمُخَاصَمَةِ وَالسُّكُوتِ:
- ٢٤٦ رَابِعًا: الوُضُوءُ:
- ٦٤٢ خَامِسًا: اسْتِحْضَارُ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ لِكَظْمِ الْغَيْظِ:

- سَادِسًا: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْقُوَّةَ فِي كَظْمِ الْغَيْظِ وَرَدُّهُ: ٢٤٧
- سَابِعًا: الْإِبْتِسَامَةُ (وَهِيَ مَحْوَرُ حَدِيثِنَا): ٢٤٧
- الْبَسْمَةُ الْعِشْرُونَ ٢٥٥
- بَسْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي التَّشْرِيعِ ٢٥٧
- الْبَسْمَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ ٢٦٣
- اتِّبَاعُ سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَسْبَابِ الْفَرَحِ فِي الدَّارَيْنِ ٢٦٥
- ضَحِكُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ وُضُوئِهِ ٢٧١
- الْبَسْمَةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ ٢٧٥
- الْعَدْلُ فِي قَضَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ٢٧٧
- الْبَسْمَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْعِشْرُونَ ٢٨٧
- مَلَكُ الْقُلُوبِ بِالْإِبْتِسَامَةِ ٢٨٩
- الْبَسْمَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ ٢٩٧
- الرَّحْمَةُ فِي النَّصْحِ وَفَنُّ الْإِبْتِسَامَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ٢٩٩
- الرَّحْمَةُ ٣٠٠
- الْحِكْمَةُ ٣٠٠
- الْمَوْعِظَةُ وَالْجِدَالُ بِالتَّيِّبِ هِيَ أَحْسَنُ ٣٠١

- ٣٠٧ البِسْمَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ
- ٣٠٩ رَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْأَسْرَى
- ٣١٩ البِسْمَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ
- ٣٢١ رَحْمَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَيَوَانَ
- ٣٢٩ البِسْمَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ
- ٣٣١ بَيْنَ التَّنْمِيَةِ وَالتَّرْكِيبَةِ
- ٣٤١ البِسْمَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ
- ٣٤٣ فَوَائِدُ الْاِبْتِسَامَةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ
- ٣٥٣ البِسْمَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ
- ٣٥٥ وَدَاعًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ
- ٣٦٣ البِسْمَةُ الثَّلَاثُونَ
- ٣٦٥ خِتَامًا
- ٣٦٨ وَلِلْاِبْتِسَامَةِ أَنْوَاعٌ وَهِيَ:
- ٣٦٨ ١- اِبْتِسَامَةُ الْمَلَاظِفَةِ وَالتَّرْحِيبِ وَالمُضَاحِكَةِ
- ٣٦٨ ٢- اِبْتِسَامَةُ التَّفَاؤُلِ وَالأَمَلِ وَالبِشَارَةِ
- ٣٦٩ ٣- اِبْتِسَامَةُ الْمُتَعَجِّبِ

٤ - ابْتِسَامَةُ الْمُغْضَبِ ٣٦٩

٥ - ابْتِسَامَةُ السُّخْرِيَّةِ وَالاسْتِهْزَاءِ وَالشَّمَاتَةِ بِالْمُسْلِمِينَ ٣٦٩

٦ - ابْتِسَامَةُ النَّفَاقِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ٣٦٩



مؤسسة

السيد أحمد الطلحي

للأعمال الدعوية



AHMED ELTALHY
www.EltalhyOfficial.com